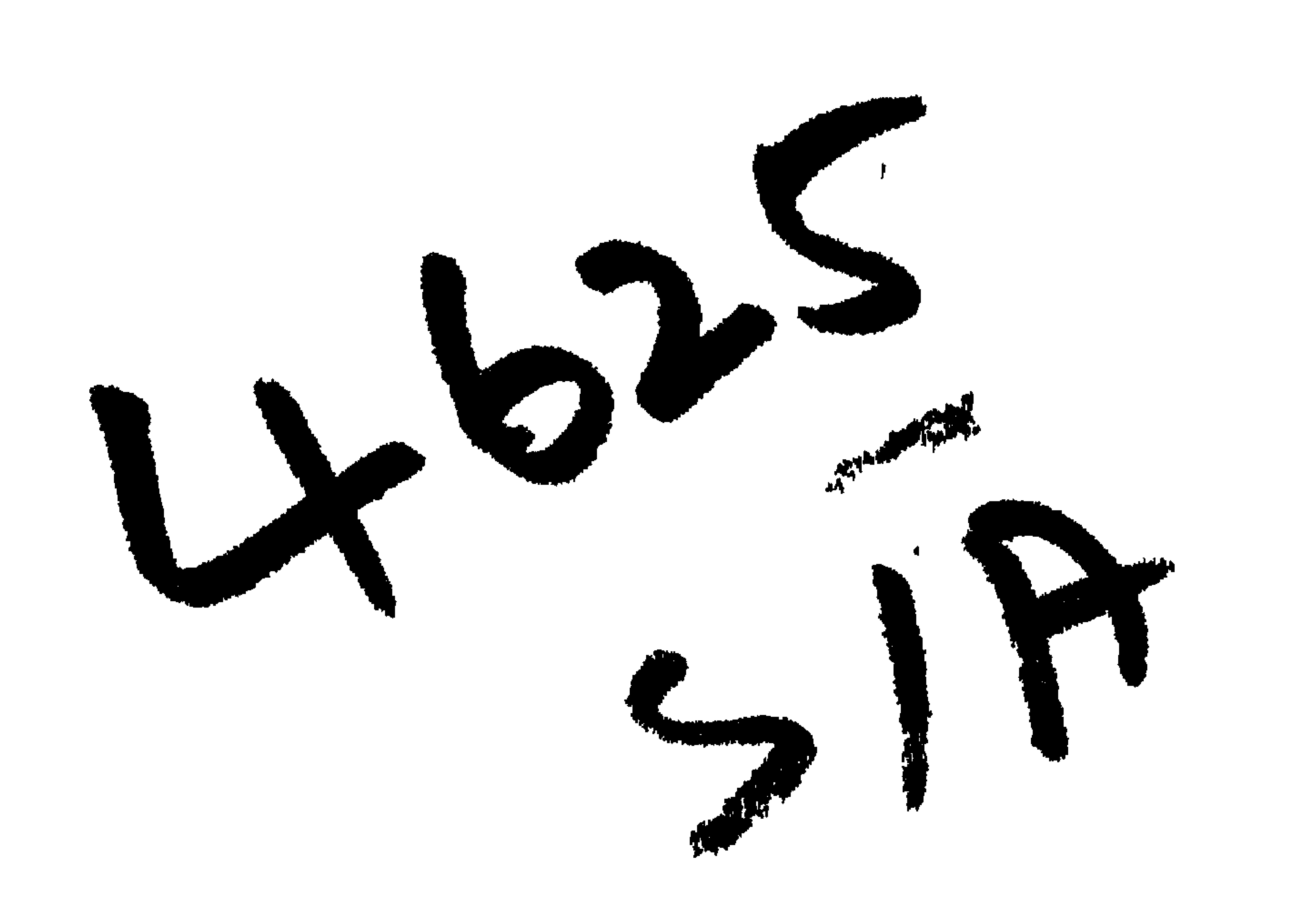


4625
S/A



كتاب

خلاصة الذهب المسبوك
مختصر من سير الملوك

تاليف

المتوكل على الله الازلي عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي

رخصة من مجلس معارف الولاية نمرة ٦٥١

بمطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٨٨٥

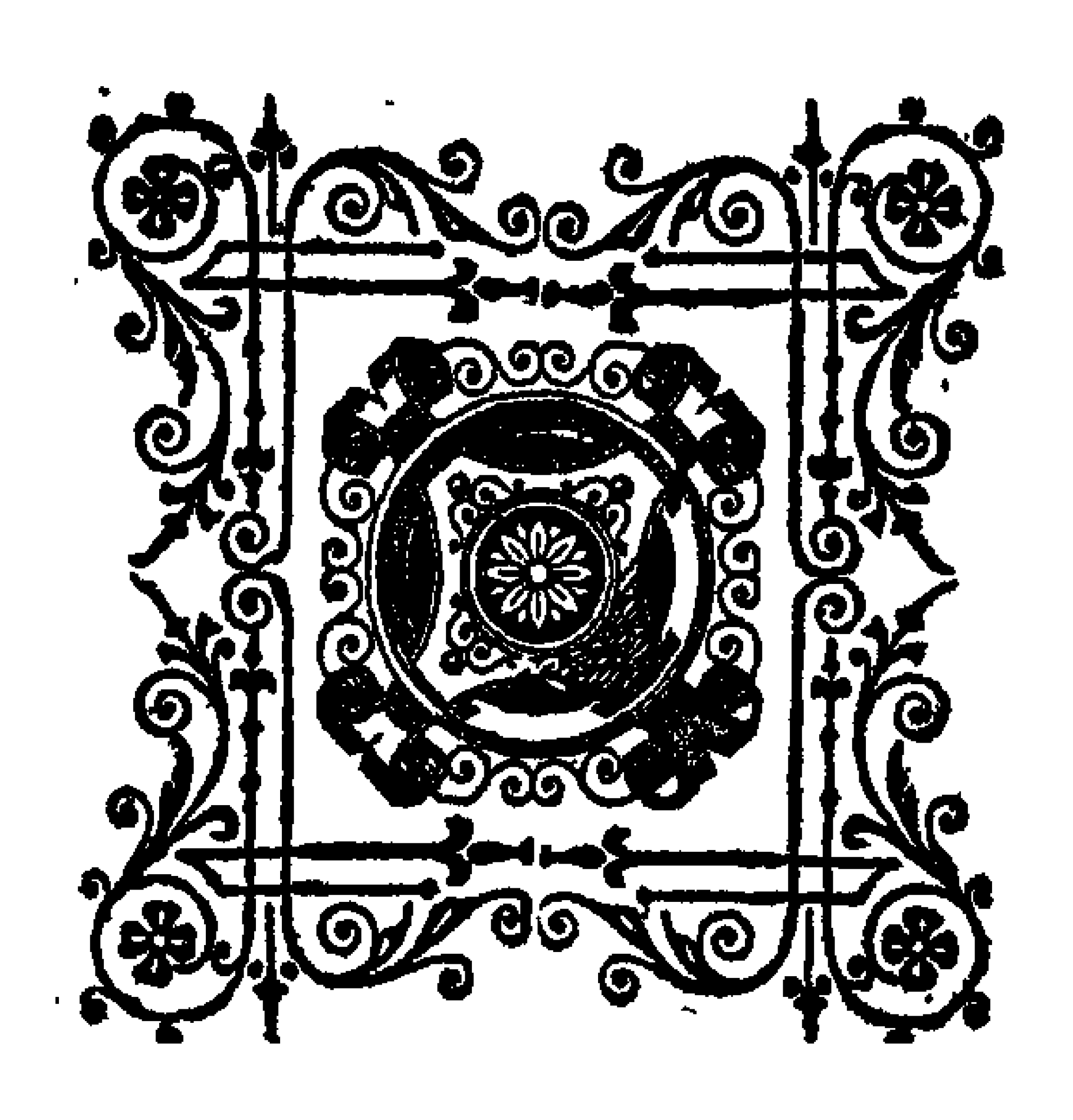


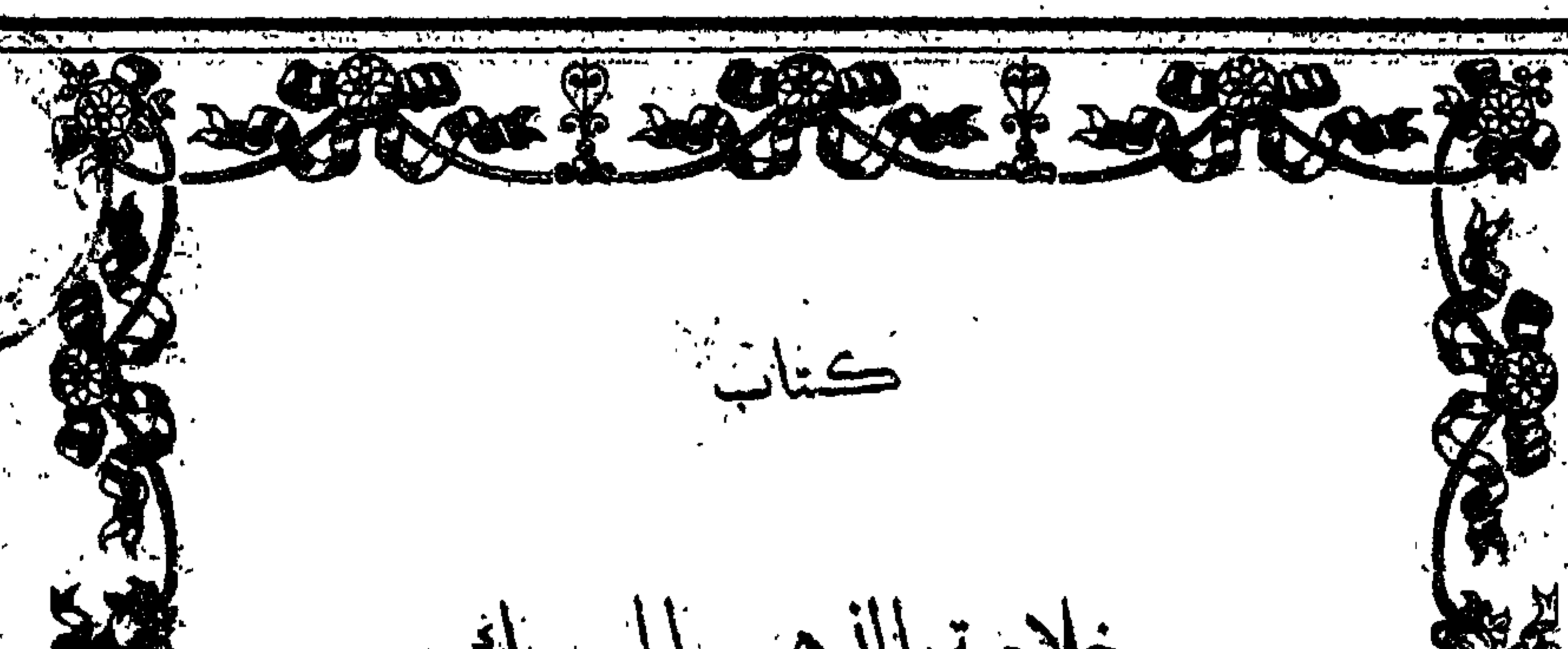
قد عثرنا على نسخة من هذا الكتاب اقتصر فيه مصنفه على تدوين تاريخ الخلفاء العباسيين من يوم ظهور دعوتهم في خلافة الوليد بن عبد الملك الاموي حتى انقراض دولتهم في بغداد في خلافة المستعصم بالله ابي احمد عبد الله بن المستنصر بالله

ولما كان هذا التاريخ وافيًا في بابه وحاويًا من الروايات صحيحها ومن الاخبار اشتاتها وكان للخلافة العباسية شأن يذكر رغبنا في نشره لتعم فائدته جمهور المطالعين ومحبي استقصاء سير الاولين

ولم نقف على ترجمة للمصنف رحمة الله على رغم بحثنا المدقق وتحرينا الكلي في كثير من المصنفات العربية في تراجم العلماء الاعلام وقد يرجح الظن انه جمع تاريخه هذا من اخبار الخلفاء لتاج الدين ابي الحسن علي بن انجب بن عبد الله ابن الخازن البغدادي المعروف بابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ للهجرة (٢٧ كانون الثاني سنة ١٢٧٥) صاحب التاريخ الكبير وغيره من التاليف المشهورة في هذا الفن وكيف كان فكتاب خلاصة الذهب المسبوك في عداد المصنفات العربية الجديرة بالمطالعة

وقد وقع اغلاط طفيفة من مرتبي الحروف لا تخفى على ذكاء القارئ وعلى الله المتكل





كتاب

خلاصة الذهب المسبوك
مختصر من سير الملوك

ذكر خلافة

الوليد بن عبد الملك

ويكنّى ابا العباس وامهُ ولّادة بنت العباس وكان اسمر طويلاً حسن الوجه وكان ذا سطوةٍ شديدة لا يتوقف اذا غضب وكان معماراً وهو الذي بنى المسجد الجامع بدمشق وانفذ عليهِ الاموال وبنى مسجد المدينة بعد وفاة ابيهِ . لما دُفن عبد الملك دخل الوليد المسجد وصعد المنبر فخطب فقال إنّا لله وإنّا اليهِ راجعون الله المستعان على مصيبتنا بموت امير المؤمنين والحمد لله على ما انعم بهِ علينا من الخلافة قوموا فبايعوا . وكان اول من قام فبايعهُ عبد الله بن همام السلولي وفيهِ يقول

الله اعطاك التي لا فوقها   وقد اراد المشركون عوقها
عنكَ ويأبى الله الّا سوقها   اليك حتى قلدوكَ طوقها

ثم تتابع الناس على البيعة وهو اول من اتخذ البيمارستان للمرضى ودار الضيافة وولى عمر بن عبد العزيز المدينة وشيّد مسجد النبي صلعم وادخل فيهِ المنازل التي كانت حولهُ وحجرات ازواجه صلعم وبنى الاميال في الطرقات وانفذ الى عاملهِ على مكّة شرَّفها الله وهو خالد بن عبد الله القسري ثلاثين الف مثقال ذهباً احمر فصفَّح بهِ باب الكعبة والميزاب والاساطين وفي ايامهِ فتح اخوهُ مسلمة الاندلس وطليطلة[1] وحملت منها مائدة سليمان بن داود عليهِ السلام وهي من ذهب وفضة وعليها اطواق ثلاثة

من لؤلؤة وفتح عدة بلاد من السند وفي ايامهِ كان الطاعون الجارف بالبصرة وكانت في ايامهِ زلازل كثيرة بقيت اربعين يوماً وفي ايامهِ مات الحجاج بن يوسف الثقفي ولهُ من العمر ثلاث وخمسون سنة وُلي منها العراق عشرين سنة وعدّة من قتل مائة الف وعشرون الفاً وتوفي وفي حبوسهِ خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة وفيها غزا مسلمة اخوهُ بلاد الروم فسبي سبياً كثيراً حتى عرض عليهِ شيخٌ فامر بقتلهِ فقال ما حاجتك الى قتلي وانا شيخٌ كبير وان تركتني جئتك باميرين من المسلمين شابين قال ومن لي بذلك. قال اني اذا وعدت وفيت قال لست اثق بك قال فدعني اطوف في عسكرك لعلي اعرف من يكفلني الى ان امضي واجيء بالاسيرين . فوكل بهِ من امرهُ بالطواف معهُ في عسكرهِ والاحتفاظ بهِ فما زال الشيخ يتصفح الوجوه حتى مرَّ بفتى من بني كلاب قائماً يحس فرساً لهُ فقال يافتى اضمنّي للامير وقصَّ عليهِ قصتهُ. قال فجاء الفتى معهُ الى مسلمة فضمنهُ فاطلقهُ مسلمة فلما مضى قال أتعرفهُ . قال لا والله قال فلمَ ضمنتهُ قال رأيتهُ تصفح الوجوه فاختارني من بينهم فكرهتُ أن اخلف ظنهُ . فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعهُ اسيران من المسلمين شابان فدفعهما الى مسلمة وقال اسأل الامير ان يأذن لهذا الفتى ان يسير معي الى حصني لاكافئهِ على فعلهِ بي . قال مسلمة للفتى ان شئت فامضِ معهُ فمضى معهُ فلما صار الى حصنهِ قال لهُ يافتى أتعلم انك ابني قال وكيف اكون ابنك وانا رجلٌ من العرب وانت رجلٌ من الروم نصراني . قال الشيخ الرومي فاخبرني عن امك ما هي قال الفتى رومية . قال الشيخ فاني اصفها لك . فبالله ان صدقتُ الا صدقتني . فاقبل الشيخ الرومي يصف أمَّ الفتى لايخرم منها شيئاً . قال هي كذلك فكيف عرفت اني ابنها قال بالشبه وتقارب الارواح وصدق الفراسة ووجود شبهي فيك . ثم اخرج اليهِ امرأةً فلما رآها الفتى لم يشك انها امهُ لشدة شبهها بها وخرجت معها عجوز كانها هي فاقبلا يقبلان رأس الفتى . فقال الشيخ هذه جدتك لامك وهذه خالتك ثم طلع من حصنهِ فدعى بشباب في الصحراء فاقبلوا فكلموهُ بالرومية فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديهِ ورجليهِ فقال هولاء اخوالك وبنو خالاتك وبنو عم والدتك ثم اخرج اليهِ حلياً كثيراً وثياباً فاخرة وقال هذه لوالدتك عندنا منذ سبيت فخذها معك وادفعهُ اليها فانها ستعرفهُ ثم اعطاهُ لنفسهِ مالاً كثيراً وثياباً جليلة وحملهُ على عدّة دواب وبغال والحقهُ بعسكر مسلمة وانصرف واقبل الفتى قافلاً حتى دخل منزله واقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرّفهُ الشيخ انهُ لامهِ فتراهُ وتبكي وتقول قد وهبتهُ لك فلما كثر عليها قالت يا ابني اسالك بالله العظيم اي بلد دخلت حتى صارت اليك هذه الثياب وهل قتلتم اهل هذا الحصن الذي كان فيهِ هذا فقال لها الفتى صفة الحصن كذا وصفة البلد كذا ورأيت فيهِ قوماً من حالهم كذا وكذا فوصف لها امها واختها وهي تبكي وتقلق فقال ما يبكيكِ فقالت الشيخ والله ابوك والعجوز امي وتلك اختي فقص عليها الخبر واخرج بقية ما كان

انفذ معهٔ ابوها اليها فدفع ذلك اليها وبقي الوليد في الخلافة تسع سنين وثمانية اشهر ومات ودُفن بدمشق في منتصف جمادى الاخرة سنة ست وتسعين وعمرهُ ثمان واربعون سنة وحج بالناس سنة ثمان وثمانين وسنة احدى وتسعين وسنة اربع وتسعين وكان نقش خاتمهِ "ياوليد انك ميتٌ ومحاسبٌ" عفى الله تعالى عنهٔ

ذكر اولادهِ وامرائهِ وقضاتهِ وكتابهِ وحجابهِ

كان لهٔ من الولد اربعة عشر ذكرًا سوى البنات منهم يزيد وابرهيم وليا الخلافة ومنهم العباس فارس بني مروان وعمر فحلهم وكان يركب في ستين نفرًا من صلبهِ وعمر وعبد العزيز وبشر وكان اميرهُ على مصر قُرَّة بن شريك وقضاتهٔ عبد الله بن عبد الرحمن وعياض بن عبد الله وعبد الملك ابن رفاعة وكتابهٔ قَبيصةَ بن ذؤيب والضحاك بن ملك ويزيد ابن ابي كبشة وحجابهٔ خالد وسعيد مولياه

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافتهِ

وفي سنة سبع وثمانين ولي الوليد عمرَ بن عبد العزيز المدينة فقدم واليًا في ربيع الاول من السنة وهو ابن خمسة وعشرين سنة فنزل دار مروان (اي بالمدينة) فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة منهم عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وابو بكر بن عبد الرحمن وابو بكر بن سليمان بن ابي خيثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وعبد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا عليهِ فحمد الله واثنى عليهِ. ثم قال اني انما دعوتكم لامرٍ تؤجرون عليهِ وتكونون فيهِ اعوانًا على الحق . اريد ان لا يقطع امرًا الّا برأيكم او برأي من حضر منكم . قال وان رأيتم احدًا تعدّى او بلغكم عن عامل لي ظلامة فأُحرّج على من بلغهٔ ذلك الّا بلّغني فجزوهُ خيرًا وافترقوا. وفيها مات مطرف بن عبد الله بن الشخير ابو عبد الله. روى الحديث عن عثمان وعليّ وابي ذر وكان ثقةً ذا فضلٍ وورعٍ وعقلٍ وافرٍ وكان اكبر من الحسن البصري بعشرين سنة. عن ثابت قال مات عبد الله بن مطرف فخرج مطرف على قومهِ في ثياب حسنة وقد ادّهن فغضبوا وقالوا يموت عبد الله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدهنًا. قال أفاأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك وتعالى في ثلاث خصال كل خصلة منها احبُّ اليَّ من الدنيا كلها . قال الله عزَّ وجلّ الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله وانّا اليهِ راجعون اولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون افاأستكين لها بعد هذا. قال فهوّن المصيبة بولدهِ وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلعم وهدم بيوت ازواجهِ وادخالها في المسجد. فقدم رسولهٔ الى عمر بن عبد العزيز في ربيع الاول بكلماتَ الوليد يامرهُ بادخال حجر ازواجه الى المسجد وان يشتري ما في موخرهِ ونواحيهِ حتى يكون مائتي ذراع ويقول له قدّم القبلة ان قدرت وانت

نقدر لمكان اخوالك فانهم لا يخالفونك . فمن ابى منهم فامر اهل التبصر فليقوّموه قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع اليهم الثمن فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فاقرأهم الكتاب وهم عنده فاجاب القوم الى الثمن فاعطاهم اياه وامر بهدم بيوت ازواج رسول الله صلعم فهدمها فلم يلبث الا يسيرًا حتى قدم الفعلة اقدمهم الوليد . وبعث الوليد الى صاحب الروم يخبره انه امر بهدم مسجد رسول الله وان يعينه فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال من الذهب وبمائة عامل وباربعين حملاً من الآلات وبعث بهم الى عمر وتجرّد عمر بن عبد العزيز لذلك واستعمل صالح بن كيسان على ذلك ولما امر بهدم بيوت ازواج رسول الله قال ما رأيت يومًا اكثر باكيًا من ذلك اليوم

قال عطاء سمعت سعيد بن المسيّب يقول يومئذٍ والله لوددتُ انهم تركوها على حالها فينشأ الناشئ من اهل المدينة ويقدم القادم من كل فج فيرى ما اكتفى به رسول الله صلعم في حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها اعني الدنيا . وفيه (اي في عام ٨٨) بنى المسجد الجامع بدمشق واخرج عليه اموالاً عظيمة . قيل انه انفق عليه خراج البلاد ثلث مرّات وانه بلغ ثمن البقل الذي اكله الصناع ستة الاف دينار . وكان فيه سلاسل ستمائة من ذهب فلم يقدر احد ان يصلي فيه من عظم شعاعها فدُخّنت قال وامر الوليد ان يسقف الجامع بالرصاص فطلب الرصاص من كل البلاد ما حضر وبقيت قطعة لم يوجد لها رصاص الا عند امرأة فأبت ان تبيعه الا بوزنه ذهبًا فقال اشتروهُ منها ولو بوزنه مرتين ففعلوا ووزنوا بمثله فلما قبضته قالت انني ظننت في صاحبكم انه يظلم الناس في بنائه فلما رأيتُ انصافه رددتُ الثمن . فلما بلغ الوليد ذلك امر ان يكتب على صفائح المرأة لله ولم يدخله فيما عمله وفيما كتب عليه اسمه

ثم دخلت سنة تسع وثمانين . فيها أُبتدئ بالدعاء لبني العباس وكان الدعاء لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس وسمي بالامام وكوتب وأُطيع ثم لم يزل الامر ينمى ويقوى ويتزايد الى ان توفي سنة اربع وعشرين ومائة . وفي سنة سبع وثمانين توفي الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب وفي سنة اثنين وتسعين توفي انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عيسى بن النجار امه ام سليم بنت ملحان . لما قدم رسول الله صلعم المدينة ذهبت به امه اليه ليخدمه . عن سنان بن ربيعة قال سمعت انس بن مالك يقول ذهبت بي امي الى رسول الله صلعم فقالت يارسول الله خويدمك انس ادعُ الله له قال اللهمّ اكثر ماله وولده واطل عمرهُ واغفر ذنبه قال انس قد دفنت من صلبي مائة غير اثنين اوقال مائة واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرّتين ولقد عشت حتى سئمت الحياة وانا ارجو الرابعة وتوفي انس بالبصرة وهو ابن تسع وتسعين سنة وقيل انه عاش مائة وسبع سنين وهو اخر من مات من اصحاب رسول الله صلعم ورُزِق مائة ولد ولا يعرف في

الاسلام من ولد له مائة ولد من صلبه سوى اربعة نفر انس بن مالك وعبد الله بن عمر الليثي وحذيفة السعدي وجعفر بن سليمان الهاشمي . وفيها توفي وضاح اليمن . عن ابن مشهر قال كان وضاح اليمن ينشأ هو وام البنين صغيرين فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها حتى اذا بلغت حجبت عنه وطال بها البلاء فحج الوليد فبلغه جمال ام البنين وأدبها فتزوجها ونقلها الى الشام قال فذهب عقل وضاح اليمن عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء خرج الى الشام يطيف بقصر الوليد في كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى يوماً جارية صفراء فلم يزل حتى انس بها فقال لها هل تعرفين ام البنين قالت انك تسأل عن مولاتي فقال لها انها لابنة عمي وانها لتسر بمكاني وموضعي لو اخبرتها . قالت اني اخبرها فمضت الجارية واخبرت ام البنين فقالت ويلك أحي هو قالت نعم . قالت قولي له كن مكانك حتى يأتيك رسولي فلن أدع الاحتيال واحتالت الى ان ادخلته في صندوق فمكث عندها حيناً فاذا امنت اخرجته فقعد معها واذا خافت عين رقيب ادخلته الصندوق . فأهدي يوماً للوليد جوهر . فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر وامض به الى ام البنين فقل لها أهدي الى امير المومنين هذا فوجّه به اليك فدخل الخادم من غير استئذان ووضاح معها فلمحه ولم تشعر ام البنين فبادر الى الصندوق فدخله فأدى الخادم الرسالة اليها وقال هبي لي من هذا الجوهر حجراً فقالت لا امّ لك ما تصنع انت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الى الوليد فاخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه ودخله فقال له كذبت لاامّ لك . ثم نهض مسرعاً فدخل اليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق عداد فجاء فجلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها يا امّ البنين هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه فقالت يا امير المومنين هي لك وانا لك فقال لها ما اريد غير هذا الذي تحتي قالت يا امير المومنين ان فيه شيئاً من احوال النساء قال لها ما اريد غيره قالت هو لك فامر به فحمل ودعى بغلامين فامرهما بحفر شر فحفرا حتى بلغا الماء فوضع الوليد فمه على الصندوق وقال ايها الصندوق قد بلغنا عنك شيء فان كان حقاً فقد دفنا خبرك ودرسنا أثرك وان كان كذباً فما علينا في دفن صندوق من خشب حرج ثم امر به فالقي في الحفيرة وأمر بذاك الغلام الذي اخبره فقذف في ذلك المكان فوقه فطمّ عليهما جميعاً التراب ولم يذكر الوليد لام البنين جرماً واحداً الى ان فرّق بينهما الموت فكانت ام البنين بعد ذلك توجد في ذلك المكان لتبكي الى ان وجدت فيه يوماً مكبوبة على وجهها ميتة عفى الله عنها

ثم دخلت سنة اربع وتسعين فيها قتل الحجاج سعيد بن جبير وفيها مات سعيد بن المسيب بن حزن ابن ابي وهب بن عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم بن لقطة وكان من كان منسوباً الى عايذ بن عمران فهو عايذي بالذال المعجمة ومن نسب الى عمر بن محرم فهو عايدي بالدال المهملة ويكنى سعيد اباعبدالله

ويقال له ابو عبد الملك قال عبد العزيز زيد بن اسلم لما مات العبادلة عبدالله بن عمر وعبدالله ابن عباس وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن الزبير صار الفقة في جميع البلدان الى الموالي فكان فقيه اهل مكة عطاء بن ابي رباح وفقيه اهل اليمن طاووس بن كيسان وفقيه اهل اليمامة يحيى بن ابي كثير وفقيه اهل البصرة الحسن وفقيه اهل الشام مكحول وفقيه اهل خراسان عطاء الخراساني الاّ المدينة فان الله خصّها بقرشيّ وكان فقيه اهل المدينة سعيد بن المسيّب غير مدافع . قال قدامة وموسى الجمحي كان سعيد بن المسيب يفتي واصحاب رسول الله (صلعم) احياء وقال سعيد بن المسيب ما بقي احدٌ اعلم بكل قضاء قضاه رسول الله وابو بكر وعمر مني ولما نزل في عين سعيد بن المسيب الماء قيل له اقدحها قال على مَن افتحها . وفي هذه السنة مات علي بن الحسين المعروف بزين العابد بن صلوات الله عليه وعلى والديه. أمّه ام ولد اسمها غزالة. روى عن ابيه وعن ابن عباس وجابر ابن عبدالله وصفيةٌ وام سلمة وشهد مع ابيه كربلاء وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضًا حينئذٍ ملقى على الفراش فلما قتل الحسين قال شمرٌ لعنة الله اقتلوا هذا الشاب فقال رجلٌ من اصحابه سبحان الله أتقتلون غلامًا حدثًا مريضًا . ووقع حريقٌ في البيت الذي كان فيه علي بن الحسين وهو ساجدٌ فجعلوا يقولون يا ابن رسول الله النار فما رفع رأسهُ حتى طفئت فقيل له ما الذي الهاك عنها قال ألهتني النار الأخرى . وقال علي بن الحسين عليهما السّلام سألت الله عزّ وجلّ في دبرِ كل صلوة سنة ان يعلمني اسمهُ الاعظم قال فوالله اني لجالسٌ قد صلّيت ركعتي الفجر اذ ملكتني عيناي فاذا رجل جالس بين يدَي قال قد استجيبت لك فقل اللهمّ اني أسألك باسمك الله الله الله الذي لا اله الاّ هو ربّ العرش العظيم ثم قال أفهمت ام أعيد عليك. قلت أعد عليّ ففعل. قال عليّ فما دعوت بها في شيء قط الاّ رأيتهُ واني لارجو ان يذخر لي عندهُ الجنة . توفي علي بن الحسين بالمدينة ودُفن بالبقيع هذه السنة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ومن العجائب ثلاثة كانوا في زمانٍ واحدٍ وهم بنو اعمام كل واحد اسمهُ علي ولهم ثلاثة اولاد كل واحد اسمهُ محمد والاباء والابناء اشراف وهم علي بن الحسين وعلي بن عبدالله ابن عباس وعلي بن عبدالله بن جعفر الطيّار وفيها مات عروة بن الزبير بن العوّام روى عن ابيه وعن زيد بن ثابت وعن اعمامهِ وابي ايوب وابن عمر وابن عباس وكان فقيهًا فاضلاً شديد الصوم ومات صائمًا

ثم دخلت سنة خمس وتسعين . فيها مات الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابي عقيل وهو عتبة بن مسعود بن ثقيف من الاحلاف وامهُ الفارعة بنت همّام وكان الحجاج اخفش العينين دقيق الصوت فصيحًا حسن الحفظ للقرآن الاّ انهُ قد أُخذ عليهِ فيهِ لحنٌ وكان الحجاج اول زمانهِ معلمًا وكان يقرأ في كل ليلةٍ ربع القران وكان قد اذلّ اصحاب رسول الله (صلعم) واحتجّ عليهم بانهم لم ينصروا عثمان

وعن عوانة بن الحكم قال دخل انس بن مالك على الحجاج فلما وقف وسلم عليه فقال له الحجاج ايهٍ ايهٍ لك يا أُنيس يومًا لك مع عليٍّ ويومًا لك مع ابن الزبير ويومًا مع ابن الاشعث . والله لاستأصلنك كما تستأصل الشافة ولا دمغنّك كما تدمغ الدامغة . فقال انس اياي يعني الامير اصلحه الله قال اياك صكّ الله سمعك قال انس انا لله وانا اليه راجعون. والله لولا الصبية الصغار ما باليت اي قتلة قتلتُ ولا اي ميتةٍ متُّ . ثم خرج من عنده فكتب الى عبد الملك بن مروان يخبرهُ بذلك . فلما قرأ كتابهُ استشاط غيظًا وصفق عجبًا وتعاظم ذلك من الحجاج . وكان كتاب انس الى عبد الملك . بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الملك بن مروان امير المؤمنين من انس بن مالك . اما بعد ان الحجاج قال لي هجرًا واسمعني نكرًا ولم اكن له منك ومنه اهلاً فخذ لي على يديهِ واعفني عليهِ فاني أمتّ عليك بخدمتي رسول الله (صلعم) وصحبتي اياهُ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. فبعث الى اسمعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر وكان صافيًا للحجاج فقال دونك كتابيَّ هذين فخذهما واركب البريد الى العراق فابدأ بانس بن مالك فادفع اليهِ كتابهُ وابلغهُ مني السلام وقل لهُ يا ابا حمزة قد كتبت الى الملعون الحجاج كتابًا اذا قرأهُ كان اطوع لك من أمتك وكان كتاب عبد الملك الى انس . بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى انس بن مالك . اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما كتبت من شكايتك الحجاج وما سلطتهُ عليك ولا أمرتهُ بالاساءة اليك . فان عاد الى مثلها فاكتب اليَّ بذلك انزل بهِ عقوبتي وتحسن لك معونتي فلما قرأ كتابهُ قال جزا الله امير المؤمنين خيرًا وعافاهُ فهذا كان ظني بهِ والرجاء ففال لهُ اسمعيل يا ابا حمزة الحجاج عامل امير المؤمنين وليس بهِ عنك غنى ولا باهل بيتك ولو جُعل لك في جامعةٍ ثم دُفع اليك لقدران يضرّك وينفع فقاربهُ وداره فقال افعل ان شاء الله تعالى . ثم خرج اسمعيل من عنده فدخل على الحجاج فلما رآهُ قال مرحبا برجلٍ أُحبهُ وقد كنت احب لقاءهُ فقال والله قد كنت احب لقاءكَ في غير ما اتيتك بهِ قال وما اتيتني بهِ قال فارقت امير المؤمنين وهو اشد الناس عليك غيظًا ومنك بعدًا. فاستوى جالسًا مرعوبًا فرمى اليهِ بالطومار فجعل ينظر فيهِ مرةً ويطرق وينظر الى اسمعيل اخرى فلما فهم قال مُر بنا الى ابي حمزة نعتذر اليهِ ونترضاهُ قال لا تعجل قال كيف لا اعجل وقد اتيتني بآبدة ثم رمى بالطومار اليهِ قال اقرأ فاذا فيهِ. بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف اما بعد فانك عبدٌ طمحت بك الامور فسموت فيها وعدوت عن طورك وجاوزت قدرك وأردت ان تتعلل بالاماني فتوغلت كربًا ومضيت قلبًا وان رجعت القهقرى فلعنك الله عبدًا اخفش العينين منقوص الجاعرتين . أنسيت مكاسب آبائك بالطائف وحفرهم الآبار ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب والله لاغمزنك غمزة الليث للثعلب والصقر للارنب وثبت على رجلٍ من اصحاب رسول الله فلم تقبل لهُ احسانًا ولم

تجاوز إساءة جرأةً منك على الرب عزّ وجلّ واستخفافًا منك بالعهد . والله لوان اليهود والنصارى رأت رجلاً خدم عزير بن عزرة وعيسى بن مريم لعظّمتهُ وشرّفتهُ وكرمتهُ . فكيف وهذا انس بن مالك خادم رسول الله (صلعم) خدمهُ ثمان سنين يطلعهُ على سرّهِ ويشاورهُ في امرهِ ثم هو مع هذا بقية من بقايا اصحابهِ . فاذا قرأت كتابي هذا فكن لهُ اطوع من خفّهِ ونعلهِ والاَّ اتاك مني سهم بحتف قاضٍ ولكل نبأ مستقرٌ وسوف تعلمون . فاتاهُ وترضاهُ ولم يُعرف لعبد الملك منقبةٌ اكرم من هذه

ذكر قتلهِ عليهِ من الله ما يستحقهُ لسعيد بن جبير رحمة الله عليهِ . كان سعيد بن جبير قد يخرج مع الامراء الذين خرجوا على الحجاج وشهد دير الجماجم فلما انهزم اصحاب ابن الاشعث هرب فلحق بمكة شرفها الله فبقي زمانًا طويلاً ثم ان خالد بن عبد الله وكان واليًا للوليد على مكة اخذهُ وانفذهُ الى الحجاج بن يوسف مع اسمعيل بن اوسط البجلي فقال لهُ الحجاج ما الذي اخرجك فقال كانت لابن الاشعث في عنقي بيعةٌ وعزم عليّ فقال رأيت لعدوّ الله عزيمةً لم ترها لله ولامير المومنين والله العظيم لاارفع يدي حتى اقتلك واعجّلك الى النار . فقام مسلمة الاعور ومعهُ سيفٌ فامرهُ فضرب عنقهُ

عن انس . ان الحجاج بن يوسف بعث الى سعيد بن جبير فاصابهُ الرسول بمكة فلما سار ثلثة ايام رآهُ يصوم نهارهُ ويقوم ليلهُ فقال لهُ الرسول والله اني لاعلم اني لا ذهب بك الى من يقتلك فاذهب اي طريقٍ شئت فقال لهُ سعيد انهُ سيبلغ الحجاج انك اخذتني فان خلّيت عني خفت ان يقتلك . لكن اذهب بي اليهِ فذهب بهِ . فلما دخل عليهِ قال لهُ الحجاج ما اسمك قال سعيد بن جبير قال فقل شقي بن كسير قال امي سمّتني سعيدًا قال شقيتَ قال الغيب يعلمهُ الله قال لهُ الحجاج اما والله لابدلنّك من دنياك نارًا تلظى قال لو سمعت ان ذلك اليك ما اتخذت الهًا غيرك ثم قال الحجاج ما تقول في رسول الله قال نبيٌّ مصطفى خير الباقين وخير الماضين قال فما تقول في ابي بكر الصديق قال ثاني اثنين اذ هما في الغار اعز بهِ الدين وجمع بهِ الفرقة قال فما تقول في عمر ابن الخطاب قال ما رزق من خيرهِ الله في ارضهِ احب رسول الله ان يعزّ الاسلام باحد الرجلين فكان احبهما بالخيرة والفضيلة قال فما تقول في عثمان بن عفان قال مجهز جيش العسرة والمشتري بيتا في الجنة والمقتول ظلمًا قال فما تقول في عليّ بن ابي طالب قال اولهم اسلامًا تزوّج بنت رسول الله التي هي احب اولادهِ اليهِ قال فما تقول في معاوية قال كاتب رسول الله قال فما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله والى الان قال فسرور ومستور لست عليهم بوكيل قال فما تقول في عبد الملك بن مروان قال ان يكن محسنًا فعند الله ثواب احسانهِ وان يكن مسيئًا فلن يعجز الله . قال فما تقول فيّ قال انت أعلم بنفسك قال بثّ لي علمك قال اذن اسوءك ولا اسرّك قال بثّ قال نعم ظهر منك جورٌ في حكم الله وجرأة على معاصيهِ بقتلك اولياء الله قال والله لاقطعنّك قطعًا ولا فرقنّ

اعضاءك عضوًا عضوًا . قال إذن تفسد عليّ دنياي وافسد عليك آخرتك والقصاص امامك .
قال الويل لك من الله . قال الويل لمن زحزح عن الجنة وادخل النار . قال فاذهبوا به فاضربوا
عنقه . قال سعيد اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدًا رسول الله استحفظكها حتى القاك يوم
القيمة . فلما ذهبوا به ليقتل تبسّم فقال له الحجاج مما ضحكت قال من جرأتك على الله وحلمه عنك .
فقال الحجاج اضجعوه للذبح فاضجع فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقال الحجاج اقلبوا
ظهره الى القبلة فقرأ سعيد فاينما تولّوا فثم وجه الله . قال كبوه على وجهه فقرأ سعيد منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى . فذبح من قفاه رحمة الله عليه . فلما بلغ ذلك الحسن البصري قال
يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج بن ثقيف فما بقي الا ثلاثًا حتى وقع في جوفه الدود فمات . وقيل عاش بعده
احد عشر يومًا . ولما بان راس سعيد قال لا اله الا الله . ثم قال الثانية فلم يتمها . وقال الحسن لما قتل
سعيد وكان متواريًا لعنة الله والناس على الحجاج بن يوسف ثم قال والله لو ان اهل المشرق والمغرب اجتمعوا
على قتل سعيد ادخلهم الله النار وقتل ومقدار عمره سبع وخمسون سنة وقيل تسع واربعون سنة وقيل
اقل والله اعلم

ثم دخلت سنة ست وتسعين فيها اراد الوليد الشخوص الى اخيه سليمان ليخلعه ويبايع لابنه
عبد العزيز بعده فمرض فمات قبل ان يسير فاستخلف سليمان

ذكر خلافة

سليمان بن عبد الملك

هو ابو ايوب سليمان بويع له بعد وفاة اخيه وكان بالرملة فوصل الخبر اليه بعد سبعة ايام فبويع
وسار الى دمشق على فاقة من الناس اليه لما كانوا فيه من جور الوليد . فلما بويع احسن السيرة
وحلّ المظالم وفك الاسرى واطلق اهل السجون واتخذ عمر بن عبد العزيز وزيره وعهد اليه . وكان
طويلاً جميلاً ابيض فصيحًا اديبًا معجبًا بنفسه متوقفًا عن الدماء . وكان شرهًا على الطعام مغرمًا بالنساء
ويأكل في كل يوم مائة رطل . وفي ايامه فتحت مدينة الصقالبة في سنة ثمان وتسعين وكان قد نشا
بالبادية عند اخواله فلما قدم دمشق صعد المنبر فخنقته العبرة ثم قال

ركبٌ تخبُّ به المطيُّ فغافلٌ عن سيره ومشمرٌ لم يغفلِ
لابدّ ان يرد المقصّر والذي خبّ النجاء محلّةً لم تحللِ

ايها الناس رحم الله من ذُكّر فاذكر فان العظة تجلو العماء انكم لو طنتم انفسكم دار الرحلة واطمأنتم الى دار الغرور فالماكم الامل وغرتكم الاماني فانتم سفرٌ وان اقمتم ومرتحلون وان وطنتم . لاتنشكى مطاياكم ألم الكلال ولا ينفيها دأب السير ليلٌ يدلج بكم وانتم نائمون يجدّ بكم وانتم غافلون . لكم في كل يوم مشيع لا يستقبل ومودع لا يؤوب ولا ترون رحمكم الله الى ما انتم فيه متنافسون وعليه مواظبون وله موثرون من كثير يفني وجديد يبلي كيف اخذته المخلفون وحوسبوا به دون المتنعم به فاصبح كلٌ منهم رهنًا بما كسبت يداهُ وما الله بظلاّم للعبيد فيا ايها اللبيب المستبصر فيمَ تذهب ايامك ضياعا وعما قليل يقع محذورك وينزل بك ما اطّرحته وراء ظهرك فاسلمك عشيرك وفرّ منك قرينك فنُبذت بالعراء وانتفضت عنك الدنيا . فامهد لنفسك ايها المغرور واعمل قبل ركوب المضيق وسدّ الطريق فكأني بك قد ادرجت في اطمارك واودعت بلحدك وتصدّع عنك اقربوك واقتسم مالك بنوك ورجع القوم يرعون في زهرات مونق دنياك التي كدحتَ لها وارتحلت عنها . وانت كما قيل

سترحل عن دنيا قليلٌ بقاؤها عليك ولن تبقى فانك فاني

ان لله عبادًا فروا منه اليه فجالت فكرتهم في ملكوت العظمة فعزبت عن الدنيا نفوسهم . ايها الناس اين الوليد وابو الوليد وجدُّ الوليد خلفاء الله وامراء المومنين وساسة الرعية أسمعتم الداعي وقبض العارية معيرها واضمحل ما كان كأن لم يكن واتى كأنهُ لم يزل وباؤا به وانقضت بهم المدد ورفضتهم الايام وشمرتهم الحادثات فسلبوا عزّ السلطنة ونغصوا لذّة الملك وذهب عنهم طيب الحيوة . فارقوا والله القصور وسكنوا القبور واستبدلوا بلين الغطاء خشونة الثرى فهم رهائن التراب الى يوم الحساب . فرحم الله عبدًا مهّد لنفسهِ واجتهد لدينهِ واخذ بحظهِ وعمل في حياته وسعى في صلاحهِ . يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضرًا وما عملت من سوء تودُّ لو ان بينها وبينهُ امدًا بعيدًا . ايها الناس ان الله عزّ وجلّ جعل الموت حتمًا سبق بحكمهِ ونفذ به قدرهُ لئلا يطمع احدٌ في الخلود ولا يطغي المعمّر عُمرهُ وليعلم المخالف المقدم انهُ غير مخلد . جعل الله الدنيا دارًا لا تقوم الاّ بائمة العدل ودعاة الحق وان لله عبادًا يملكهم ارضهُ ويسوس بهم عبادهُ ويقيم بهم حدودهُ ويجعلهم دعاة عبادهِ وقد اصبحت في هذا المقام الذي انا به غير راغب فيهِ ولا منافس عليهِ ولكنها احدى الربق اغلقها الراهن مساغ المزدرد ومخرج النفس ولولا ان الخلافة نحلة من الله كفرٌ بالله خلعها لتمنيتُ اني كاحد المسلمين يضرب لي منهم فعلي رسلكم بني الوليد فاني شبل عبد الملك وناب مروان لا يضلعني حمل الناس ولا يقرعني صريف الاجفر وقد وليت من امركم ما كنت لهُ مكفيًا واصبحت خليفةً واميرًا وما هو الاّ للعدل او للنار . وليجدني المارس لهُ اخشن من مضرس الكذان . فمن سلك المحجة حُذي نعل السلامة ومن عدل عن

الطريق وقع في وادي التهلكة والضلالة. الا فانّ الله سائلٌ كلاً عن كلٍّ فمن صحت نيته ولزم طاعته كان له بصراط التوفيق ومرصد المعونة فكتب له سبيل الشكر والمكافاة . فابلوا العافية فقد رزقتموها والزموا السلامة فقد وجدتموها . فمن سلمنا منه سلم ومن تاركنا تاركناهُ ومن نازعنا قتلناهُ . فارغبوا الى الله في صلاح شانكم وقبول اعمالكم وطاعة سلطانكم فاني والله غير مبطلٍ حدًّا ولا تارك له حقًّا . اشكمها عثمانية عمرية . وقد عزلت كل اميرٍ كرهتهُ رعيتهُ ووليت اهل كل بلد من اجمع عليه خيارهم واتفقت عليه كلمتهم وقد جعلت للغزو اربعة اشهر وفرضت لذرية المغازي سهم المقيمين وامرت بصدقة كل مصرٍ في اهله الاّ سهم العامل عليها وفي سبيل الله وابن السبيل فان ذلك اليّ . وانا اولى بالنظر فيه فرحم الله امرءًا عرف سهو المغفل عن مفروض حقٍ او واجبٍ فاعان برأيٍ وانا اسأل الله العون على صلاحكم فانهُ يجيب السائلين جعلنا الله واياكم ممن ينتفع بموعظته ويوفي بعهده فانهُ سميعٌ للدعاء واستغفر الله لي ولكم

ذكر طرف من اخباره

قيل انهُ وفد عليه ابو هشام عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب فاكرمهُ وسار يريد فلسطين فأنفذ من جلس له على الطريق بتينٍ مسموم فاكل منهُ فأحسَّ بالموت فعاد الى الحميمة فاجتمع بمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس فاعلمهُ أنّ الامر في ولده وأولهم عبد الله بن الحارثية . وعن سليمان بن عبد الله عن ابيه قال كان سليمان بن عبد الملك اكولاً وكانت بينهُ وبين عبد الله بن عبد الله وصلة. قال قال لنا سليمان يومًا اني قد أمرتُ قيّمَ بستاني أن يحبس الفاكهة ولا يجني منها شيئًا حتى تُدرِك فاغدُ عليّ مع الفجر فغدونا عليه فاذا به يقول لاصحابه الذين كان أنس بهم لنأكل الفاكهة في بَرد النهار. فغدونا في ذلك الوقت وصلّى الصبح وصلّينا ثم دخل ودخلنا معه فاذا الفاكهة متهدّلة على اغصانها واذا كل فاكهةٍ مختارة قد ادركت اكلها فقال كلوا ثم اقبل عليها فاكلنا جُهدَ الطاقة واقبلنا نقول يا امير المؤمنين هذا العنقود فيخرطهُ في فيه . يا امير المومنين هذه التفاحة وكلما رأينا شيئًا نضجًا أومأنا اليه فياخذهُ فياكلهُ حتى ارتفع الضحى ومَتَعَ النهار ثم اقبل على قيم البستان فقال ويحك يا فلان اني قد استجعتُ فهل عندك شيءٌ تُطعمنيهِ فقال نعم يا امير المؤمنين عناق حولية حمراء قال ايتني بها ولا تأتني معها بخبز فجاء بها على خوانٍ لا قوائم له وقد ملأت الخوان فاقبل يأخذ العضو فيحطهُ في فيه ويلقي العظم حتى اتى عليها ثم عاد لاكل الفاكهة . ثم قال للقيم ويحك يا فلان ما عندك شيءٌ تطعمنيهِ قال بلى يا امير المومنين دجاجتان داجنتان قد عُجّتا شحمًا قال ايتني بهما ففعل بهما كما فعل بالعناق ثم عاد لاكل الفاكهة فاكل مليًا . ثم قال للقيّم هل عندك شيءٌ تطعمنيهِ فاني قد جعت قال عندي سويق كأنهُ قطع الاوتار وسمن وسكرٌ قال أفلا اعلمتني هذا قبل أن أتيتني .

ايتني بهِ واكثر. فأتى بقعب يقعد فيهِ الرجل وقد ملأهُ من السويق وقد خلطهُ بالسكر فصبّ عليهِ السمن واتى بجزءٍ من ماءٍ باردٍ وكوز فأخذ القعب على يدهِ واقبل القيّم يصبّ عليهِ الماء فيحركه وياكلهُ او قال يشربهُ حتى كفأهُ على وجههِ فارغًا . ثم عاد الى الفاكهة فاكل مليًّا حتى علت الشمس ودخل وأمرنا أن ندخل الى مجلسهِ فدخلنا فما مكث أن خرج علينا فلما جلس قام كبير الطبّاخين حيالهُ يستأذنهُ بالغداء فأوما ان ائت بالغداء فوضع مائدة فاكل فما فقدنا من اكلهِ شيئًا

ذكر وفاتهِ

توفي بذات الجنب بدابق في عاشر صفر سنة تسع وتسعين ولهُ خمس واربعون سنة وكانت خلافتهُ سنتين وثمانية اشهر ونقش خاتمهِ آمنتُ باللهِ مخلصًا

ذكر اولادهِ وقضاتهِ وكاتبهِ وحاجبهِ

كان لهُ من الولد اربعة عشر ذكرًا . وكان قاضيهُ محمد بن حزم وكاتبهُ يزيد بن المهلب وحاجبهُ ابو عسكر مولاه

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافتهِ

سنة سبع وتسعين توفي فيها ابرهيم بن يزيد بن الاسود ابو عمران النخعي كان امامًا في الفقه تعظمهُ الاكابر. وكان سعيد بن جبير يقول أتستفتوني وفيكم ابرهيم بن يزيد وكان في بكرة هذه السنة حوادث كثيرة تركناها لموضع الاختصار. وفي سنة ثمان وتسعين بايع فيها سليمان بن عبد الملك لابنهِ ايوب وجعلهُ ولي عهدهِ . وفيها مات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ويكنى ابا عبد الله وكان شاعرًا. قال ابن ابي الزناد قدمت المدينة امرأةٌ من هُذيل وكانت جميلة جدًّا فرغب الناس فيها فخطبوها وكادت تذهب بعقولهم فقال عبيد الله بن عبد الله شعرًا

أحبكِ حبًّا لا يحبكِ مثلهُ ... قريبٌ ولا في العاشقين بعيدُ
أحبك حبًّا لو شعرتِ ببعضهِ ... لجدتِ ولم يصعب عليَّ شديدُ
وحُبيكِ يا أمَّ الصبيِّ مدلهي ... شهيدٌ ابو بكرٍ فنعمَ شهيدُ
ويعرفُ وجدي قاسمٌ ومحمدٌ ... وعروةُ ما القى بكم وسعيدُ
ويعلمُ ما القى سليمان علمهُ ... وخارجة يبدي بنا ويعيدُ
متى تسألي عما اقول وتخبري ... فوالله عندي طارفٌ وتليدُ

فقال سعيد ابن المسيّب فاما انت فقد والله امنتَ ان تسألنا ولو طمعت ان نشهد لك بزور قال الزبير وهولاء الذين استشهدهم فقهاء المدينة السبعة الذين اخذ عنهم الدين. ثم دخلت سنة تسع وتسعين وفيها مات سليمان وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز

ذكر خلافة

عمر بن عبد العزيز

بن مروان بن الحكم

ويكنى ابا حفص امهُ ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . روى عن ابن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر وعمر بن ابي سلمة والسائب بن يزيد وارسل الحديث عن جماعة من القدماء وروى عن خلق كثير من التابعين. وكان عالمًا اديبًا دينًا. قال ابن شوذب لما اراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوّج ام عمر قال لقيّمهِ اجمع لي اربعمائة دينار من طيب مالي فاني اريد ان اتزوّج الى اهل بيت لهم صلاحٌ فتزوج ام عمر وما زال عمر يميل الى الخير والدين مع انهُ ولي الامارة وكانوا يفزعون اليهِ في احوالهم ولما مرض سليمان بن عبد الملك كتب كتاب العهد لابنهِ ايوب ولم يكن بالغًا فردهُ عن ذلك رجاء بن حيوة فقال لهُ ما ترى في ابني داوُد فقال لهُ هو غائب عند القسطنطينية وانت لا تدري أحيٌّ هو ام ميت قال فمن فقال رأيك يا امير المؤْمنين قال فما ترى في عمر فقال اعلمهُ والله فاضلاً خيرًا فقال لهُ ان وليتهُ ولم اولِ احدًا من ولد عبد الملك لتكوننَّ فتنة ولا يتركونهُ فكتب لهُ وجعل من بعدهِ يزيد اخاهُ وختم الكتاب وأمر ان يجمع اهل بيتهِ وامر رجاء بن حيوة ان يذهب بكتابهِ اليهم وامرهم ان يبايعوا من فيهِ ففعلوا . ثم دخلوا على سليمان والكتاب بيدهِ فقال هذا عهدي فاسمعوا لهُ واطيعوا وبايعوا ففعلوا قال رجاء بن حيوة فجاءني عمر بن عبد العزيز فقال يا رجاء قد كان لي عند سليمان حرمة وانا اخشى ان يكون قد اسند اليَّ من هذا الامر شيئًا فان كان فاعلمني استعفهِ فقال رجاء والله لا اخبرك بحرفٍ واحد فمضى قال وجاءني هشام فقال لي بلك حرمة وعندي شكر فاعلمني فقلت لا والله لا اخبرك بحرفٍ فانصرف هشام وهو يضرب بيدٍ على يدٍ ويقول فالى مَن . فلما مات سليمان جدِّدت البيعة قبل ان يموت فبايعوا ثم قرأَ الكتاب فلما ذُكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام والله لا نبايعهُ فقال رجاء والله اذن اضرب عنقك قم فبايع فقام يجرُّ رجليهِ ويسترجع اذ خرج عنهُ هذا الامر وعمر يسترجع اذ وقع فيهِ ثم جيءَ بمراكب سليمان بن عبد الملك

مراكب الخلافة فقال عمر قربوا اليَّ بغلتي وانشد

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت في حبِّ الهوى كل زاجرِ

قضى ما قضى فيما مضى ثمَّ لاترى له صبوةٌ اخرى الليالي الغوابرِ

ثم قال ان شا الله ثم خطب فقال ايها الناس قد ابتليت بهذا الامر من غير رأيٍ كان مني فيهِ ولا مشورة واني قد خلعتُ ما في اعناقكم من بيعتي فاختاروا لانفسكم فصاح الناس صيحةً واحدةً قد اخترناك يا اميرالمومنين ورضينا بك تلي امرنا باليمن والبركة فقال اوصيكم بتقوى الله خلف من كل شيءٍ ليس من تقوى الله خلف فاعملوا لاخرتكم فانهُ من عمل لاخرتهِ كفاهُ الله امر دنياهُ واصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم واكثروا ذكر الموت واحسنوا الاستعداد له قبل ان ينزل بكم وانَّ امرءًا لايذكر من آبائهِ فيما بينهُ وبين آدم ابًا حيًا لمغرّق في الموت

ثم نزل فدخل دارهُ فامر بالستور فهُتكت والثياب التي كانت بسط للخلفاء فحُملت وامر ببيعها وادخال ثمنها في بيت المال وردَّ المظالم ولما بلغ الخوارج سيرة عمر بن عبد العزيز وما ردَّ من المظالم قالوا ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل وبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب اليهِ انك قد اذريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضًا وسبًا لمن بعدهم من اولادهم قطعت ما امر الله بهِ ان يوصل اذ عمدت الى اموال قريش ومواريثهم فادخلتها بيت المال جورًا وعدوانًا ولم نترك على هذا فلما قرأ كتابهُ كتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر اميرالمومنين الى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . اما بعد فانني بلغني كتابك وسأجيبك بنحوٍ منهُ اما اوّل شأنك ابن الوليد كما زُعم فانك نباتة امة السكون كانت تطوف في سوق جمين وتدخل في حوانيتها ثم الله اعلم بها اشتراها ذبيان من المسلمين فاهداها لابيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جبارًا عنيدًا تزعم اني من الظالمين لم حرمتك واهل بيتك في الله عزَّ وجلَّ الذي فيهِ حق القرابة والمساكين والارامل وان اظلم مني واترك بعهد الله من استعملك صبيًا سفيهًا على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له في ذلك نية الا حبة الزائد لولدهِ فويلٌ لك وويلٌ لأبيك ما اكثر خصماكا يوم القيمة وكيف ينجو ابوك من خصمائهِ وان اظلم مني واترك مني بعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف الثقفي ليسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام وان اظلم مني واترك مني بعهد الله من استعمل قرّة بن شريك اعرابيًا جافيًا على مصر اذن له في المعازف واللهو والشرب . وان اظلم مني واترك لعهد الله من جعل لغالية اليزيدية سهمًا في خمس الاسلام فرويدًا يا ابن نباتة فلو التقيا حلقتا البطان وردَّ الشيء الى اهلهِ لتفرّغت لك ولاهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق واخذتم في بنيّات الطريق

ومن وراء هذا ما ارجو ان اكون رايتهُ ببيع رقبتك ويقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والارامل فان لكل فيك حقًا والسلام علينا ولا ينال سلام الله القوم الظالمون وكان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز الوفاء عزيز . وكانت مبايعتهُ بدابق يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين وكان اسمر نحيفًا حسن الوجه يؤثر دينهُ على دنياهُ في وجههِ شجة من دابةٍ ضربتهُ واشترى ملطية من الروم بمائة الف اسير وبناها وهو الذي منع من سبّ عليّ بن ابي طالب عليهِ السلام على المنابر يوم الجمعة وجعل عوض ذلك إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القُربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي الاية وفيهِ يقول الشريف السيد الرضي الموسوي

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـ ـنُ فتًى من أميّة لبكيتُك
أنتَ نزّهتنا عن السب والشتـ ـمِ فلو كنت مجزيًا لجزيتُك
غير اني اقولُ انك قد طبـ ـتَ وان لم يطب ولم يزكُ بيتُك

ومات في رجب سنة احدى ومائة عن نيفٍ وخمسين سنة وخلافتهُ سنتان وشهر

ذكر اولادهِ ونوّابهِ

كان لهُ اربعة عشر ذكرًا وخمس بنات منهم عبد الملك وكان ناسكًا ومات في حيوتهِ عن تسع عشرة سنةً . وعبد الله وكان شجاعًا ولّي العراق ليزيد بن عبد الملك واحتفر نهر ابن عمر بالبصرة واراد اهل البصرة ان يبايعوهُ بعد يزيد . وكان اميرهُ على مصر ايوب بن شرحبيل وقاضيهُ عبد الله بن سعيد وعبد الله بن يزيد وكاتبهُ رجاء بن حيوة الكندي وابن ابي رقية وحاجبهُ حبيس ومزاحم مولياهُ

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافتهِ

قيل دخل كُثيّر على عمر بن عبد العزيز فاستأذن في الانشاد فقال قل ولا تقل الاّ حقًا فقال

وَليتَ فلم تشتم عليًا ولم تُخِفِ بريًا ولم تقبل إشارةَ مجرمِ
وصدَّقتَ بالفعلِ المقالَ مع الذي اتيت فامسى راضيًا كلُّ مسلمِ
وقد لبستْ لبس الملوك ثيابها ولاحت لك الدنيا بوجهٍ ومعصمِ
وتومض احيانًا بعينٍ مريضةٍ وتبسمُ عن مثل الجمانِ المنظَّمِ
فاعرضتَ عنها مشمئزًا كأنما سقتك مدوفًا من سمامٍ وعلقمِ
وقد كنت في اجبالها في ممنعٍ وفي بحرها من مزبدِ الموجِ مُفعمِ
فلما اتاكَ الله غصبًا ولم يكن لطالب دنيا بعدها من تكلّمِ

تركتَ الذي يفنى وان كان مونقًا وآثرتَ ما يبقى برايٍ مصمّمِ
سما لك همٌّ في الفواد مؤرّقٌ بلغت به اعلى البناء المقدّمِ
فما بين شرق الارض والغرب لم يكن منادٍ ينادي من فصيحٍ واعجمِ
يقولُ امير المومنين ظلمتني باخذٍ لدينارٍ ولا اخذ درهمِ
ولا بسط كفٍّ بامرئٍ غير مجرمٍ ولا السفك منهُ ظالمًا ملءَ محجمِ
فاربح بها من صفقةٍ لمبايعٍ واعظم بها اعظم بها ثم اعظمِ

فقال له يا كثير انك تُسأل عما قلت. ثم تقدم الاخوص فاستأذن فقال قُل ولا تقُل الاَّ حقًّا فقال

وما الشعر الاَّ خطبةٌ من مؤلّفٍ بمنطق حقٍ او بمنطق باطلِ
فلا تقبلَن الاَّ الذي وافق الرضى ولا ترجعن مثل النساء الارامل
رأيناك لا تعدو عن الحق يمنةً ولا شأمةً فعل الظلوم المخاتل
ولكن اخذتَ القصد جهدك كلهُ بقدر مثال الصالحين الاوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ومن ذا يردُّ الحق من قول قائلِ
ومن ذا يردُّ السهمَ بعد مضائهِ على فوقه اذ غار من نزع ناسلِ
ولولا الذي قد عودتنا خلائقٌ غطارفُ كانوا كالليوث البواسلِ
لما وخدت شهرًا برحليَ رسلةٌ تقدُّ قفار البيد دون الرواحلِ
فان لم يكن للشعر عندك موضعٌ وان كان مثل الدرّ من قول قائلِ
فان لنا قربى ومحض مودّة وميراث آباء مشوا بالمناصلِ
فذادوا عمود الشرك عن عقر دارهم وارسوا عمود الدين بعد التمايلِ
وقبلك ما اعطى هنيد اوحلّة على الشعر كعبًا من سديس وبازلِ
رسول الاله المستضاء بنورهِ عليهِ سلام بالضحى والاصائلِ
فكل الذي عدّدتُ يكفيك بعضهُ وقلّك خيرٌ من بحور سوائلِ

قال يا أخوص انك تسأل عما قلت. وتقدم نُصيب فاستأذن في الانشاد فلم يأذن له وامرهُ بالغدو الى دابق فخرج وهو محموم ثم امر للاخوص بمثل ما امر لكثير من الدراهم ولنصيب بخمسين درهمًا وما زال عمر بن عبد العزيز منذ ولي مجتهدًا في العدل وبمحو الظلم وترك الهوى. وكان يقول للناس الحقوا ببلادكم فاني انساكم هاهنا واذكركم في بلادكم. ومن ظلمهُ عاملهُ فلا اذن لهُ عليَّ. وخيَّر جواريه فقال لهنّ لما ولي قد جاءني امرٌ شغلني عنكنّ فمن احبت اني اعتقها اعتقتها ومن احبت اني امسكها امسكتها ولم يكن مني اليها شيء. قالت زوجتهُ فاطمة ما اعلم انهُ اغتسل لا من جنابةٍ ولا من

احتلام منذ ولي الى ان مات . وقيل لها اغسلي قميصه فقالت والله ما يملك غيره

عن الهيثم بن عدي. قال كانت لفاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز جارية ذات جمال فائق وكان عمر معجبا بها قبل الخلافة فطلبها منها وحرص وغارت من ذلك فلم تزل في نفسه حتى استخلف فلما استخلف امرت فاطمة بالجارية فاصلحت ثم حليت فكانت حديثا في جمالها . ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر فقالت يا امير المومنين انك قد كنت بجاريتي فلانة معجبا وسألتنيها فأبيت ذلك عليك وان نفسي قد طابت لك بها فدونكها . فلما قالت ذلك استبانت الفرح في وجهه . ثم قال ابعثي بها الي ففعلت فلما دخلت عليه نظر الى شيء اعجبه فازداد بها عجبا فقال لها ألقي ثوبك فلما همت ان تفعل قال على رسلك اقعدي اخبريني لمن كنت ومن اين انت لفاطمة. فقالت كان الحجاج بن يوسف الثقفي أغرم عاملا كان له من اهل الكوفة مالا وكنت في رقيق ذلك العامل فاستصفاني عنه مع الرقيق واموال فبعث بي الى عبد الملك وانا يومئذ صبية فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة . قال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال وما ترك ولدا قالت بلى قال ما دينك قالت سنية . قال اعيدي عليك ثوبك . ثم كتب الى عبد الحميد عامله على الكوفة ان سرح الي فلان بن فلان على البريد فسرحه فلما مثل بين يديه قال ارفع الي جميع ما اغرم الحجاج اباك فلم يرفع اليه شيئا الا دفعه اليه ثم امر بالجارية فدفعت اليه فلما اخذ بيدها قال اياك وإياها فانك حدث السن ولعل اباك ان يكون قد وطئها فقال الغلام يا امير المومنين هي لك قال لا حاجة لي فيها قال فابتعها مني قال لست اذن ممن ينهى النفس عن الهوى ويرجع فمضى بها الفتى . فقالت له الجارية ما موجدتك بي يا امير المومنين قال انها لعلى حالها ولقد ازدادت . فلم تزل الجارية في نفس عمر الى ان مات

وفي سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز توفي ابرهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله التيمي وكان شريفا كريما ويسمى اسد قريش واسد الحجاز. وكان اعرج وهو اخو عبد الله بن حسين بن حسن لامه فاطمة ابنة الحسين . روى عن ابي هريرة وابن عمر وابن عباس واستعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة وتوفي ليلة جمع بني محرما ودفن اسفل العقبة . وفي هذه السنة توفي سليمان بن عبد الملك في ليلة الجمعة لعشر بقين وقيل مضين من شهر صفر وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر وخمسة ايام وهو ابن اربعين سنة

ثم دخلت سنة مائة وفيها خرجت الخارجة على عمر بن عبد العزيز . ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان الذي خرج على عبد الحميد بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب من بني بسطام من بني يشكر وكان مخرجه في ثمانين فارسا اكثرهم من ربيعة . فكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد

الحميد ان لايحركهم الآن يفسدوا في الارض اويسفكوا دمًا فان فعلوا فخل بينهم وبين ذلك وانظر رجلًا حازمًا فوجهه اليهم ووجه معهُ جندًا واوصه بما امرت به وعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير في الفين من اهل الكوفة وامره بما امره عمر وكتب عمر الى بسطام يدعوه ويسألهُ عن مخرجهِ وقدم كتاب عمر عليهِ وفيهِ بلغني انك خرجت غضبًا لله تعالى ولنبيهِ (صلعم) ولست اولى بذلك مني فهلمَّ اناظرك فان كان الحق بايدينا دخلت فيما دخل فيهِ الناس وان كان في يدك نظرنا في امرك . فلم يحرك بسطام شيئًا وكتب الى عمر قد انصفت وقد بعثت اليك برجلين يناظرانك فدخلا عليهِ فقالا اخبرنا عن يزيد بن عبد الملك لَم تعدّهُ خليفةً بعدك قال صيَّرهُ غيري . قالا أرأيت لووليتهُ مالاً لغيرك ثم وكلت الى غير مأمونٍ عليهِ أتراك كنت اديت الامانة الى من ائتمنك . قال انظراني ثلاثًا فخرجا من عندهِ . وخاف بنو أمية ان يخرج ما في ايديهم من الاموال وان يخلع فدسوا الى عمر من سقاهُ سمًا فلم يلبث بعد خروجها الاثلاثًا ومات

ذكر خلافة

يزيد بن عبد الملك

وكنيتهُ ابو خالد وامهُ عاتكة بنت يزيد بن معاوية بويع الخلافة في خامس عشر رجب سنة احدى ومائة . وكان جميلاً جسيمًا ابيض مدور الوجه كبيرًا شديد الكبر عاجزًا . وكان صاحب لهوٍ ولذّاتٍ وكان لهُ جارية اسمها حبابة وكان مشغوفًا بها . فلما ماتت مات اسفًا وحزنًا وتركها اياماً لم يدفنها . فلما دفنها نبشها بعد الدفن وشاهدها حتى عوتب في ذلك فدفنها ثم نبشها مرَّةً أُخرى وشاهدها من وجدهِ عليها . وفي ايامهِ خرج يزيد بن المهلب بالبصرة فوجَّه اليهِ اخاهُ مسلمة فقتلهُ ولم يحجَّ في سني خلافتهِ . وكان نقش خاتمهِ فني الشباب يا يزيد

ذكر وفاتهِ

توفي بحوران خامس شعبان سنة خمس ومائة ولهُ تسع وعشرون سنة وخلافتهُ اربع سنين وشهرًا

ذكر اولادهِ ونوابهِ

كان لهُ من الولد ثمانية ذكور منهم عبدالله ولد سبع خلفاء ابوهُ يزيد وجدهُ عبد الملك وجد

ابيه مروان وجدته عاتكة بنت يزيد بن معاوية وامه سعدى بنت عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان وام عبدالله بنت عمر بن الخطاب ومنهم الوليد بن يزيد ولي الخلافة ثم قتل. وكان اميرهُ على مصر بشر بن صفوان وقاضيه ابو مسعود عبدالله المقدم ذكرهُ وعبد الرحمن بن الخشخاش وكاتبه عمر بن هبيرة وابرهيم بن جبلة واسامة بن زيد وحاجبهُ سعيدا مولاهُ

ذكر خلافة

هشام ابو الوليد

هشام بن عبد الملك بويع بعهد اخيهِ يزيد وكان احول ابيض يخضب بالسواد مسمنًا منقلب العين ربعة ولهُ سياسة في الملك ويتيقظ في امورهِ مباشرها بنفسهِ. وفي ايامهِ خرج زيد بن علي بالكوفة فدعا الى نفسهِ فقتلهُ يوسف بن عمر فصلبهُ وذلك في سنة احدى وعشرين ومائة وفي ايامهِ بنى اخوهُ سعيد بيت المقدس وحج بالناس سنة ست ومائة وفي ايامهِ ظهرت دعاة بني العباس بخراسان وكثرت اتباعهم ومات بكير بن ماهان وكان من كبار الدعاة واستخلف بعدهُ ابو سلمة الخلال وتوفي علي بن عبدالله بن العباس عن ثمان وتسعين سنة لانهُ ولد في الليلة التي قتل في صبيحتها عليّ بن ابي طالب كرم الله وجهه

ذكر وفاة هشام بن عبد الملك

توفي بالرصافة في سادس شهر ربيع الاخر من سنة خمس وعشرين ومائة عن ثلاث وخمسين سنة وكانت خلافتهُ تسع عشرة سنة وسبعة اشهر. ونقش خاتمهِ الحكم الحكيم

ذكر نوابه

كان اميرهُ على مصر اخاهُ محمد بن عبد الملك ثم استعفى فولاّها حفص بن الوليد الحضرمي ثم عزلهُ وولاها عبد الملك بن رفاعة ثم توفي فولى عبد الرحمن بن خالد ثم صرفهُ وولى حنظلة بن صفوان ثم سيّرهُ الى افريقية وولى عوضهُ حفص بن الوليد. وكان قاضيه محمد بن صفوان ثم يحيى بن ميمون ثم سعيد بن ربيعة وكان حاجبهُ غالبا مولاه ومدّة خلافتهِ تسع عشرة سنة وثمانية اشهر ونصف

ذكر شيء من الحوادث التي جرت في ايام دولتها وايام خلافتها ومن توفي في المدة من المذكورين

قد ذكرنا انه لما تولى عمر بن عبد العزيز قام بالعدل وكان بنوا امية قد لقوا من التخليط وخافوا ان يعهد الى غيرهم فسموه ولما ثقل عمر بن عبد العزيز دُعي له با لطبيب فلما نظر اليه قال الرجل قد سقي السم فلا آمن عليه الموت فرفع بصره فقال ولا تامن الموت ايضاً على من لم يشرب السم قال فتعالج يا امير المومنين فاني اخاف ان تذهب نفسك قال ربي خيرٌ مذهوب اليه والله لو علمت ان شفاءي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته . اللهمّ جزّ لعمر في لقائك فلم يلبث الاّ اياماً ومات . ولما سموهُ قال للخادم الذي سمّهُ لِمَ سممتني قال اعطاني فلان الف دينار قال اين الدنانير قال هي ههنا فاتى بها اليه فامر ان توضع في بيت المال وقال للخادم اذهب ولم يعاقبه . وتوفي عمر لعشر ليال بقين من رجب لسنة احدى ومائة وهو ابن تسع وثلثين سنة وستة اشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر ومات بدير سمعان واشتري قبره فدفن فيه . ولما توفي عمر بكت فاطمة (زوجته) حتى غشي عليها فدخل عليها اخواها مسلمة وهشام فقالا اما هذا الامر الذي قد دمت عليه اجزعكِ على بعلكِ فاحق من جزع على مثله ام على ما فاتكِ من الدنيا فها نحن بين يديكِ واموالنا واهلونا فقالت ما من كلّ جزعت ولا على واحدةٍ منها اسفت ولكني والله رأيت منه منظراً وهولاً عظيماً . قالا وما رأيتِ منه قالت رأيته ذات ليلةٍ قائماً يصلي فاتى على هذه الآية . يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش . فصاح واسوء صباحاه . ثم وثب فسقط فجعل يخور حتى ظننت ان نفسه تستخرج ثم هدا فظننت انه قد قضى ثم افاق افاقةً فنادى واسوء صباحاه ثم وثب وجعل يخور في الدار ويقول ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش

ثم دخلت سنة اثنتا ومائة فيها قتل يزيد بن المهلب بن ابي صفرة ابو خالد . قتل في محاربته وخروجه على يزيد بن عبد الملك وكان جواداً كريماً وقد ورد شيء من اخبار كرمه في باب ذكر الاجواد ومن اعطى منهم وجاد

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة . فيها مات عطاء بن يسار . روى عن أُبيّ بن كعب وابن مسعود وابي ايوب وعن كثير من الصحابة وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان خيراً صالحاً متدينا

ثم دخلت سنة اربع ومائة فيها مات ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن حصين العبسي وكان ثقةً صدوقاً . ويقال انه ما كذب كذبةً قط . وروى عن عمر وعلي وحذيفة وابي بكرو عمران ابن حصين وكان لربعي بن حراش ابنان عاصيان في زمن الحجاج بن يوسف فقيل للحجاج ان اباهما لم

يكذب كذبةً قط لو ارسلت اليه فسألته عنهما فارسل اليه فقال ابن ابناكَ قال هما في بيتي قال قد عفونا عنهما لصدقك. وفي هذه السنة مات عبدالله بن يزيد ابو قلابة الجرْمي. وكان عالمًا بالفقه بصيرًا بالقضاء فلما طُلب للقضاء هرب ومرض فدخل عليه عمر بن عبد العزيز ليعوده فقال له يا ابا قلابة تشدد لا يشمت بنا المنافقون. ومات بالشام. قال عثمان بن الهيثم كان رجل من اهل البصرة من بني سعد وكان قائدًا من قوّاد عُبيد الله بن زياد لعنة الله فسقط من السطح فانكسرت رجلاهُ جميعًا فدخل عليه ابو قلابة ليعودهُ قال ارجو ان يكون لك خيرة فقال يا ابا قلابة واي خيرٍ في كسر رجليّ جميعًا فقال ما ستر الله عليك اكثر فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب ابن زياد لعنة الله ان تخرج فتقاتل الحسين بن علي عليهما السلام فقال للرسول قد اصابني ما ترى. فما كان الّا سبعًا حتى اتى الخبر بقتل الحسين (رضه) فقال الرجل رحم الله ابا قلابة لقد صدق انهُ كان خيرةً لي. وفي هذه السنة مات عامر بن شراحيل وقيل عامر بن عبدالله بن شراحيل وهو ابو عمر الشعبي من شعب همدان كوفيّ وامهُ من سبي جلولاء وُلِدَ لست سنين من خلافة عمر بن الخطاب هو واخ له في يوم واحدٍ وسمع من علي بن ابي طالب والحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وابن عباس وابن عمرو وابن الزبير واسامة والبراء وجابر وانس وابي هريرة وعلي بن عيسى بن حاتم وسمرة وعمرو ابن حُرَيث والمغيرة وزيد بن ارقم وغيرهم وكان متفننًا في العلوم حافظًا ثقةً. وقال ما كتبتُ سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديثٍ قط الّا حفظتهُ وما احببتُ ان يعيده علي. وما اروي شيئًا اقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهرًا لا اعيد ولقد نسيتُ من العلم ما لو حفظهُ رجلٌ لكان بهِ عالمًا وليتني املت من علمي كفافًا لا عليّ ولا لي. وسمعهُ عمر يحدث بالمغازى فقال كأن هذا الفتى شهد معنا. وكان الشعبي قد خرج مع القراء على الحجاج ثم دخل عليه فاعتذر فقبل عذرهُ وولي القضاء. قال زكرياء بن يحيى دخلت على الشعبي وهو يشتكي قلت كيف تجدك قال اجدني وجعًا مجهودًا اللهمّ اني احتسب نفسي عندك فانها اعزُّ الانفس عليّ. وتوفي في هذه السنة وفي مقدار عمرهِ قولان احدهما سبع وتسعون والثاني ثنتان وثمانون وفي هذه السنة مات مجاهد بن جُبَير يكنّى ابا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي كان فقيهًا اديبًا ثقةً. روي عن ابن عمرو وابي سعيد وابي هريرة وابن عباس واخرين. قال عمر بن ذرّ عن مجاهد قال اذا اراد احدكم ان ينام فليستقبل القبلة ولينم عن يمينهِ وليذكر الله وليكن اخر كلامه لا اله الّا الله فانها وفاةٌ لا يدري لعلّها منيّتهُ ثم قرأ وهو الذي يتوفاكمُ بالليل. ثم توفي مجاهد وهو ساجد في هذه السنة وقد بلغ من العمر ثلاثًا وثلاثين سنة؛

ثم دخلت سنة خمس ومائة فيها توفي يزيد بن عبد الملك وولي بعدهُ هشام اخوهُ وقد ذكرنا مدة خلافتها ولمعًا من اخبارها. قيل ان هشام اشتهى جاريةً وخلا بها فقالت له يا امير المومنين

ما من منزلة اطمع فيها فوق منزلتي اذ صرت للخليفة ولكن النار ليس لها خطر. ان ابنك فلاناً اشترانی فكنت عنده لا ادري ذكرت ليلة او نحو ذلك وانهُ لا يحلّ لك مني . قال فحسن هذا القول منها عنده وحظيت عنده وتركها و ولّاها امرهُ . قال علماء السير كان هشام اذا صلى الغداة كان اول من يدخل عليهِ صاحب حرسهِ فيخبرهُ بما حدث في الليل ثم يدخل عليهِ مولیان لهُ مع كل واحدٍ منهما مصحف فيقعد احدهما عن يمينهِ والاخر عن شماله حتى يقرأ عليهما جزئيه ثم يقومان ويدخل الحاجب فيقول فلان بالباب وفلان وفلان فيقول ائذن فلا يزال الناس يدخلون عليهِ حتى اذا انتصف النهار وضع طعامهُ ورفعت الستور ودخل الناس واصحاب الحوائج وكاتبهُ قاعد خلف ظهرهِ فيقوم اصحاب الحوائج فيسألون حوائجهم فيقول لا ونعم والكاتب خلفه يوقع مايقول حتى اذا فرغ من طعامه وانصرف الناس صار الى قائلتهِ فاذا صلى الظهر دعى بكتّابهِ فناظرهم فيما ورد من امور الناس حتى يصلي العصر ثم يأذن الناس . فاذا صلى العشاء الاخرة حضر سمّارهُ الذهبي وغيرهُ فجاءهُ الخبير يخبر ان خاقان ارمنيَّة قد خرج فنهض في الحال وحلف لا ياويهِ سقف بيت حتى يفتح الله عليهِ . قال بُشر مولى هشام تفقد هشام بعض مواليهِ لم يحضر الجمعة فقال مامنعك فقال نفقت دابتي قال أفعجزت عن المشي فتركت الجمعة فمنعهُ الدابّة سنة . وفي هذه السنة مات عكرمة مولى عبدالله بن عباس يكنى ابا عبدالله توفي ابن عباس وهو عبدٌ فاشتراهُ خالد بن يزيد بن معوية من علي بن عبدالله بن عباس باربعة الاف دينار فراح الى خالد فاستقاله فاقالهُ فاعتقهُ . وكان يروي عن ابن عباس وابي هريرة والحسن بن علي وعائشة . وكان الشعبي يقول ما بقي احدٌ اعلم بكتاب الله من عكرمة . وقال جابر بن زيد عكرمة اعلم الناس وقد ضعّفهُ مجاهد وابن سيرين ويحيى بن سعيد ومالك بن انس . وتوفي عكرمة بالمدينة هذه السنة وهو ابن ثمانين سنة . وفي هذه السنة مات كُثير بن عبد الرحمن ابن الاسود بن عامر بن عديم ابو صخر الشاعر الخزاعي واسم امهِ جمعة بنت الاشيم وقيل جمعة بنت كعب ابن عمرو وكان شاعراً مجيداً وكان شيعيًّا ويقول بامامة محمد بن الحنفية وانهُ احق من الحسن والحسين بالامامة ومن سائر الناس وانهُ حيٌّ مقيم بجبل رَضوى لا يموت ومدح عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وكان يقول بالتناسخ والرجعة . وكان يقول انا يونس بن متى معناهُ انهُ روحهُ نسخت فيهِ . وقال يوماً ما تقول الناس فيَّ . قيل يقولون الناس انك الدجّال فقال اني لاجد في عيني ضعفاً مذ ايام . وكان بمكة فامرّ بلعن علي عليهِ السلام فرقي المنبر واخذ باستار الكعبة وقال

لعن الله من يسبُّ عليا … وبنيهِ من سوقةٍ وامامِ
أَ يُسَبُّ المطهّرونَ اصولاً … والكرام الاخوال والاعمامِ
يا من الطيرُ والحمامُ ولا يأ … من آلُ الرسول عند المقامِ

فانزلوهُ من المنبر واثخنوهُ ضربًا بالنعال وغيرها فقال

ان امرءًا كانت مساويه حبُّ النبي لغير ذي عتبِ
وبني ابي حسنٍ ووالدهم من طاب في الارحام والصلبِ
أترون ذنبًا ان نحبهم بل حبهم كفّارة الذنبِ

وكان كُثير دميم الخلقة فاستوزرهُ عبد الملك فازدراهُ لدمامتهِ فقال تسمع بالمعيدي لا ان تراهُ . فقال كُثير

ترى الرجُلَ النحيف فتزدريهِ وفي اثوابهِ أسدٌ يزيرُ

فقال عبد الملك ان كُنّا اسأنا اللقاء فلسنا نسيّ الثواء حاجتك. قال تزوجني عزّة فاراد اهلها على ذلك فقالوا هي بالغ واحقُّ بنفسها . فقيل لها فقالت أبعدَ ما شبَّب بي وشهرني في العرب مالي الى ذلك سبيل . ولما دخل على عبد الملك فقال تسمع بالمعيدي خيرٌ من ان تراهُ . قال كُثير مهلاً يا امير المؤمنين فانما الرجُل باصغريهِ لسانهِ وقلبهِ . فان نطقَ نطق ببيان وان قاتلَ قاتل بجنان . وانا الذي اقول

وجرّبتُ الامور وجرّبتني فقد أبدت عريكتي الأمورُ
وما تخفى الرجالُ عليَّ اني بهم لاخو مثابتهٍ خبيرُ
ترى الرجُلَ النحيف فتزدريهِ وفي اثوابهِ أسدٌ يزيرُ
ويعجبك الطرّير فتبتليهِ فيخلف ظنكَ الرجُلُ الطريرُ
وما عظمُ الرجالِ لهم بزينٍ ولكن زينها كرمٌ وخيرُ
بغاثُ الطير اكثرها فراخًا وامُّ الصقر مقلاتٌ نزورُ
لقد عظم البعير بغير لبٍّ فلم يستغنِ بالعظمِ البعيرُ
فيُركبُ ثم يضرب بالهراوي فلا عرفٌ لديهِ ولا نكيرُ

ثم قال لهُ ياكثير انشدني في اخوان دهرك فانشدهُ

خيرُ اخوانك المشاركُ في المُرِّ وأين الشريكُ في المرِّ وأينا
الذي ان حضرتَ سرّك في الحيِّ وان غبت كان اذنًا وعينا
ذاك مثل الحسام اخلصهُ القين جلاهُ الجلاءُ فازداد زينا
انتَ في معشرٍ اذا غبت عنهم بدلوا كلما يزينك شينا
واذا ما رأوك قالوا جميعًا انتَ من اكرم الرجال علينا

فقال عبد الملك يغفر الله لك ياكثير فاين الاخوان غيرانّي اقول

صديقك حين تستغني كثيرٌ ... وما لك عند فقرك من صديقِ
فلا تنكر على احدٍ اذا ما ... طوى عنك الزيارة عند ضيقِ
وكنتُ اذا الصديق اراد غيظي ... على حنقٍ واشرقني بريقي
غفرت ذُنوبهُ وصفحت عنهُ ... مخافةَ ان اكون بلا صديقِ

ولما اتي يزيد بن عبد الملك باسارى بني المهلب امر ان تُضرَبَ اعناقهم وكان كُثيِّر حاضرًا فقام وأنشأ يقول

فعفوًا امير المؤمنين وحسبةً ... فما تحتسب من صالحٍ لك يُكتبِ
أساؤا فان تعفو فانك قادرٌ ... وأفضل حلمٍ حسبةً حلمُ مغضبِ

قال يزيد يا كُثيِّر اطَّتْ بِكَ الرحِمُ قد وهبناهم لك هم لك . قال ابو بكر أطت حنت . وتوفي كُثيِّر عزة وعكرمة هذه السنة في يومٍ واحدٍ بعد الظهر فقال الناس مات أفقهُ الناس واشعر الناس وكان كُثيِّر يقول عند موتهِ لا تبكو عليَّ فاني بعد اربعين يومًا ارجع اليكم وفي هذه السنة مات يزيد بن عبد الملك بالبلقاء من ارض دمشق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقد تقدَّم ذكرهُ

ثم دخلت سنة ست ومائة فيها مات سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ويكنى ابا عمر وروى عن ابيهِ وعن ابي ايوب وابي هريرة وكان فقيهًا عابدًا جوادًا صالحًا وكان اشبه اولاد ابيهِ بهِ وكان ابوهُ شديد المحبة لهُ فاذا ليمَ على ذلك انشد

يلومونني في سالمٍ والومهم ... وجلدةُ بين العين والانف سالمُ

وفيها توفي طاووس بن كيسان اليماني ويكنى ابا عبد الرحمن مولًى لهمدان حجَّ اربعين حجةً وجالس سبعين من اصحاب رسول الله (صلعم) . قيل عن عبد الرحيم بن ادريس عن ابيهِ انهُ صلى وهب بن منبه وطاووس اليماني الغداة بوضوء العتمة اربعين سنة

ثم دخلت سنة ثمان ومائة فيها مات بكر بن عبدالله المزني اسند عن ابن عمر وجابر وانس وغيرهم وكان فقيهًا حجةً ثقةً وكان يلبس الثياب الحسان وكان قيمة كسوتهِ اربعة الاف درهم . وفيها مات القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وكان دينًا . روى عن ابي هريرة وابن عباس وعائشة . وفيها مات محمد بن كعب ابو حمزة القرظي وكان صالحًا عابدًا ورعًا كثيرا التهجد ليلاً والتضرُّع . وفيها مات نصيب بن رياح وقتل ابو محجن الشاعر مولى عبد العزيز بن مروان وكان اسود شديد السواد جيد الشعر عفيف الفرج كريمًا تفضل بمالهِ وطعامهِ وكان اهل البادية يدعونهُ النصيب تفخيمًا لما يوقن من جودة شعرهِ . ولم يهجُ احدًا تدينًا . ومن شعره

ليس السواد بنا قصي ما دام لي ... هذا اللسان الى فؤادٍ ثابتِ

مَن كان يرفعهُ منابت اصلهِ فبيوت اشعاري جعلتُ منابتي

كم بين اسود ناطقٍ بلسانهِ ماضي الجنان وبين ابيض صامتِ

اني ليحسدني الرفيع بناؤهُ من فضل ذاك وليس لي من شامتِ

وكان يمدح هشام بن عبد الملك ويرثي خلفاء بني أمية واخبارهُ واشعارهُ كثيرة اقتصرنا منها على اليسير . وقيل لنصيب انّ الناس يدّعون انك لاتحسن ان تهجو فقال أقرّوا لي أن أحسن أن امدح قالوا نعم قال أفترى لااحسن ان اجعل مكان عافاك الله أخزاك الله قالوا بلى . قال ولكني رأيت الناس رَجُلين . رجُلاً لم أسألهُ فلا ينبغي ان اهجوهُ فاظلمهُ ورجُلاً سألتهُ فمنعني فكانت نفسي أحقّ بالهجاء منهُ اذ سوّلت لي ان اطلب منهُ

ثم دخلت سنة تسع ومائة . فيها مات عبد الرحمن بن عمار من بني جشم وكان من عباد اهل مكة شرّفها الله . وفي سنة عشر ومائة مات الحسن بن ابي حسن البصري وكان يكنى ابا سعيد ولد في خلافة عمر بن الخطاب وحنّكهُ عمر بيدهِ . وكانت امهُ تخدم ام سلمة فربما غابت فتعطيهِ امّ سلمة ثديها فتعللهُ الى ان تجيء امهُ وكان زاهدًا ناسكًا كثير الحزن والبكاء . قال مسمع لو رأيت الحسن لقلت لقد بثّ عليهِ حزن الخلائق من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج وبكى الحسن فقيل ما يبكيك فقال اخاف من يطرحني غدًا في النار ولا يبالي . وفيها مات محمد بن سيرين ابو بكر البصري مولى انس بن مالك سمع ابا هريرة وعبيد بن عمرو وعبدالله بن الزبير وعمران بن حُصين وكان فقيهًا ورعًا وكان ابوهُ سيرين من اهل جرجرايا وكان يعمل قدور النحاس فجاء الى عين التمر فعمل بها فسباهُ خالد بن الوليد . وولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وولد لهُ ثلاثون ولدًا من امرأةٍ واحدة ورأى محمد بن سيرين في المنام كأنّ الجوزاء تقدّمت الثريّا ففسرهُ على نفسهِ واخذ في وصيتهِ وقال يموت الحسن البصري واموت بعدهُ بمائة يوم . مات لتسع مضينَ من شوّال سنة عشرٍ ومائة وفيها مات وهبُ بن منبّه من ابناء الفرس الذين انفذهم كسرى الى اليمن اسند عن جابر والنعمان ابن بشير وابن عابر وارسل الرواية عن معاذ وابي هريرة . وكان عالمًا عابدًا متهجدًا . ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة فيها مات جرير بن عطية ابن الخطفي والخطفي لقب واسمهُ حذيفة بن بدر الشاعر ولد جرير لسبعة اشهر ومات وعمرهُ نيفًا وثمانين سنة . وكان لهُ ثمانية ذكور وابنتان وهو والاخطل والفرزدق المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية والناس مختلفون أيهم المقدّم وكل من تعرّض لمضاهاتهم في الشعر افتضح وسقط على ان الاخطل انما دخل بين جرير والفرزدق في اخر امرهما وقد أسنّ وليس من نجارهما . وكان ابو عمرو الشيباني يشبه جريرًا بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة . قال ابو عبيدة ويحتجّ من قدّم جريرًا بانهُ كان اكثرهم فنون شعر وأسهلهم الفاظًا وارقّهم

تشبيبًا . وكان دينًا عفيفًا وقد ذكرنا فضل جرير عليهما في فصل تقدَّم ذكرهُ في هذا الكتاب قال جرير يومًا ما عشقتُ قط ولو عشقت لشبيت تشبيبًا تسمعهُ العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها . وكان جرير يهاجي الفرزدق فلقيهُ في طريق مكة للحج فقال الفرزدق والله لافسدنَّ عليهِ احرامهُ فقال الفرزدق لهُ

فانَّك لاقٍ بالمشاعر من منًى فخارًا فخبرني بمن انت فاخرُ

فقال جرير لَبَّيك اللهمَّ لَبَّيك . وذكران جريرًا دخل على عبد الملك بن مروان فقال لهُ يا امير المؤمنين اني قد مدحتك بثلاثة ابيات ما قالت العرب مثلها . ولست انشدك كل بيتٍ الاَّ بعشرة الاف درهم . قال هاتها لله ابوك فانشأ يقول

رأيتكَ أمسِ خير بني معدٍّ وانت اليوم خيرٌ منكَ امسِ
ونبتكَ في المنابت خير بيتٍ وغرسكَ في المغارسِ خير غرسِ
وانت غدا تزيدُ الضعفَ ضعفًا كذاك تزيدُ سادة عبد شمسِ

فامر لهُ بثلاثين الف درهم وخرج فلقيهُ يحيي بن معبد فقال يا ابا حرزة أَما لنا فيك نصيب . قال لهُ كل بيت بعشرة الاف درهم . فقال لهُ قل فقال

اذا قيل من للمجد والجودِ والندى فنادِ باعلى الصوت يحيي بن معبدِ

فقال لهُ زدنا يا ابا حرزة فقال لهُ دع ذا عنك كل شيء وحسابهِ وقد ذكران الابيات الثلاثة للاعشى وانشد بها عبد الملك ومن مستحسن شعر جرير

اذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل بخيرٍ وجلت غمرةً في فؤاديا
الى الله اشكو انَّ بالغورِ حاجةً واخرى اذا ابصرتُ نجدًا بداليا
فقولا لواديها الذي نزلت بهِ أَوادي ذي القيصوم أُمرعت واديا
فيا حسرات القلب في اثرِ من يرى قريبًا ويلقى حين يأتيك قاصيا
فانت ابي ما لم تكن لي حاجةٌ فان عرضت ايقنتُ ان لا ابا ليا

وتوفي جرير باليمامة بعد الفرزدق باربعين يومًا في هذه السنة وفيها مات همام بن غالب بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مشاجع بن دارم وهو الفرزدق الشاعر والفرزدق الرغيف المخبز لشبه وجههِ بالخبزة وهي الفرزدقة فقيل الفرزدق وكان جدهُ صعصعة مستحيي الموءدات في الجاهلية فجاءهُ الاسلام وقد استحيي ثلثمائة وفيهِ يقول الفرزدق

وجدي الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوءدِ

وقد تقدَّم ذكرهُ في اخبار الاجواد في هذا الكتاب وسمع الفرزدق من علي وابن عمرو وابي معبد

وأبي هريرة وروى عنهم . وسئل عن سنه فقال لا ادري ولكني قذفت المحصنات في ايام عثمان . قال عبد الله بن سواد اولاد الفرزدق لبطة وشبطة وخبطة والحنطباء. قال ابو علي الحرمازي كانت النوار بنت اعين بن صعصعة المجاشعي وكان قد وجهه علي بن ابي طالب عليه السلام الى البصرة ايام الحكم فقتلته الخوارج غيلة فخطب ابنته النوار رجل من قريش فبعثت الى الفرزدق وكانت ابنة عمه فقالت انت ابن عمي وأولى الناس بي وبتزويجي فزوجني من هذا الرجل فقال لا افعل او تشهدي انك قد رضيت بمن زوجتك ففعلت فلما اجتمع الناس حمد الله واثنى عليه ثم قال قد علمتم أنَّ النوار قد ولتني أمرها واشهدكم اني قد زوجتها من نفسي على مائة ناقة حمراء سود الحدق فنفرت من ذلك فاستعدت عليه ابن الزبير فقال له وفها صداقها ففعل ودفعها اليه فجاء بها الى البصرة وقد أحبها ومكثت عنده زمانًا ترضى عنه احيانًا وتخاصمه احيانًا ثم لم تزل تتلطف به حتى طلقها وشرط عليها ان لا تخرج من منزله ولا تتزوج بعده واشهد على طلاقها الحسن ثم قال يا ابا سعيد قد ندمت فقال والله اني لأظن دمك يترقرق والله لئن رجعت لنرجمنك بالحجارة فمضى وهو يقول

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوارُ
ولو اني ملكت يدي وقلبي لكان علي للقدر الخيارُ
وكانت جنتي فخرجت عنها كآدم حين اخرجه الضرارُ
وكنت كفاقئ عينيه عمدًا فاصبح ما يضيء له النهارُ

وحكى الفرزدق قال رأيت أثر دواب قد خرجت نحو البرية فظننت أنَّ قومًا خرجوا لنزهة فتبعتهم فاذا نسوة مستنقعات في غدير فقلت لم أر كاليوم ولا بيوم دارة جلجل وانصرفت مستحيًا منهن فنادينني بالله يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شيء فانصرفت اليهن وهن في الماء الى حلوقهن فقلن بالله حدثنا بحديث دارة جلجل فقلت ان امرأ القيس كان يهوى بنت عم له يقال لها عنيزة فطلبها زمانًا فلم يصل اليها حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل وذلك ان الحي احتملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل قال فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار الرجال غلوة فكمن في غابة من الارض حتى مر به النساء فاذا فتيات وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن لو نزلنا فذهب بعض كلالنا فنزلن اليه ونحين العبيد عنه ثم تجردن وانغمسن في الغدير كهيئتكن الساعة فاتاهن امرؤ القيس مخاتلاً كنحو ما اتيتكن وهن غوافل واخذ ثيابهن فجمعها ورمى الفرزدق نفسه عن بغلته فاخذ بعض اثوابهن فجمعها وقال لهن كما اقول لكن والله لا اعطي جارية منكن ثوبها ولو اقامت في الغدير يومها حتى تخرج الي مجردة . فقالت احداهن هذا امرؤ القيس كان عاشقًا لابنة عمه أفعاشق انت لبعضنا فقلت لا والله ولكني أشتهيكن . قال فتشاغلن

مع امرىء القيس حتى تعالى النهار فخشين ان يقصرن دون المنزل . فخرجت احداهنّ فدفع اليها ثوبها وقد وضعة ناحية فاخذتهُ فلبستهُ وتتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة وحدها فناشدتهُ الله ان يطرح لها ثوبها فقال دعينا منكِ وانا حرامٌ إن أخذتِ ثوبكِ إلاّ بيدكِ قال فخرجت فنظر اليها مقبلةً ومدبرةً فاخذت ثوبها واقبلن عليهِ فعذلنهُ ولمنهُ ويقلن عريتنا وحبستنا وجوَّعتنا قال فان نحرت لكنّ ناقتي أتاكلنّ منها قلن نعم فاخترط سيفهُ فعقرها ونحرها وكشطها وصاح بخدمهنّ فجمعوا لهُ حطبًا واجّ نارًا عظيمةً وجعل يقطع لهنّ من سنامها واطايبها وكبدها فيلقيهِ على الجمر فياكل ويأكلن معهُ . فلما اراد الرحيل قالت احداهنّ انا احملُ طنفستهُ وقالت الاخرى انا احمل رحلهُ وقالت الاخرى انا احمل حشيتهُ وانساعهُ فتقاسمن رحلهُ بينهنّ وبقيت عنيزة فقال لها يا بنت الكرام لا بدّ ان تحمليني معكِ فاني لا اطيق المشي وليس من عادتي فحملتهُ على غارب بعيرها فكان يُدخِل راسهُ في خدرها فيقبلها فاذا امتنعت مال حدجها فتقول يا امرأَ القيس عقرتَ بعيري فانزِل فذلك قولهُ

تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنا معًا عقرتَ بعيري يا امرأَ القيسِ فانزِلِ

فلما فرغ الفرزدق من حديثهِ قالت احداهنّ اصرف وجهك عنا ساعةً وهمست الى صويحباتها بشيء لم افهمهُ فانغطين في الماء وخرجن ومع كل واحدةٍ ملء كفها طينًا . قال فجعلن يتعادين نحوي ويضربن بذلك الطين والحمأة وجهي وثيابي وملأن عينيّ فوقعت على وجهي مشغولاً بعينيّ وما فيها فاخذن ثيابهنّ وركبن وركبت تلك الماجنة بغلتي وتركنني ملقى باقبح حال فغسلتُ وجهي وثيابي وانصرفت عند مجيء الظلام الى منزلي ماشيًا وقد وجهن بغلتي الى بيتي وقلن للرسول قل لهُ يقلن لك جوابك طلبت منا ما لا يمكننا وقد وجهنا اليك بزوجتك فكن معها سائر ليلتك وهذا كسر درهم يكون لحمامك اذا أصبحت . وكان يقول ما منيتُ بمثلهنّ . ولقي الفرزدق الحسن البصري عند قبرٍ فقال لهُ الحسن ما أعددتَ لهذا اليوم قال اعددتُ لهُ شهادة أن لا اله الاّ الله وانّ محمدًا رسول الله اعددتها منذ ثمانين سنة وقد قارب المائة ومات في تلك السنة فرآهُ ابنه لبطة في النوم فقال يا بُنيَّ نفعتني الكلمة التي راجعتُ بها الحسن عند القبر وقد غفر الله لي

ثم دخلت سنة اربع عشرة ومائة فيها مات محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب ولد لهُ جعفر وعبد الله من ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر روى ابو جعفر عن ابي سعيد وابي هريرة وابن عباس وانس وتوفي ابو جعفر محمد وهو ابن ثلاث وسبعين سنة واوصى ان يكفَّن في قميصهِ الذي كان يصلّي فيهِ وفي هذه السنة مات الفضل بن قدامة بن عبد الله ويكنى ابا النجم وهو من رجال الاسلام الفحول المتقدمين في الطبقة منهم . قال المدائني دخل ابو النجم على هشام بن عبد الملك وقد انت

عليهِ تسعة وتسعون سنة فقال لهُ هشام ما رأيك في النساء قال اني لا انظر اليهنّ شذرًا فوهب لهُ جاريةً وقال اغدُ عليّ فاعلمني بما كان منك فلما غدا عليهِ قال ما صنعتُ شيئًا ولا قدرت عليهِ فقلت في ذلك ابياتًا وهي

نظرَت فاعجبها الذي في درعها من حسنهِ ونظرتُ في سربالها

فرأَت لها كفلًا ينوء بخصرها وعثًا روادفهِ واجثم رابيا

. . . .

. . . .

. . . .

فضحك هشام وامر لهُ بجائزةٍ

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة فيها مات عطاء بن ابي رباح ابو محمد واسم ابي رباح اسلم المكي مولى الجند ولد لسنتين مضينَ من خلافة عثمان وكان فصيحًا عالمًا فقيهًا وروى عن ابن عمر وابن عمرو وابي سعيد وابي هريرة وزيد بن خالد وابن عباس وابن الزبير وحجّ سبعين حجة . قال سلمة بن كهيل ما رأيتُ احدًا يريدُ بهذا العلم وجه الله غير هولاء الثلاثة عطاء وطاووس ومجاهد قال الاصمعي دخل عطاء بن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريرهِ وحواليهِ الاشراف من كل بطن وذلك بمكة شرّفها الله تعالى في وقت حجهِ في خلافتهِ فلما ابصر بهِ قام اليهِ واجلسهُ معهُ على السرير وقعد بين يديهِ وقال لهُ يا ابا محمد ماحاجتك قال يا امير المومنين اتّقِ الله في حرم الله وحرم رسولهِ فتعاهدهُ بالعمارة واتقِ الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست بهذا المجلس واتقِ الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقّد امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم واتقِ الله فيمن على بابك لا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك . فقال لهُ افعل ثم نهض فقال لهُ عبد الملك يا ابا محمد سألتنا حاجة غيرك وقد قضيناها ما حاجتك فقال ما لي الى مخلوقٍ حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف هذا وابيك السوددُ

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة فيها مات حمزة بن بيض الحنفي الكوفي وكان شاعرًا مجيدًا. قال المأمون للنضر بن شميل ايّ بيتٍ أخلب قال قول حمزة بن بيض

تقول لي والعيون هاجعةٌ أَقم علينا يومًا فلم أقمِ

أيّ الوجوه انتجعتَ قلتُ لها وأيّ وجهٍ الّا الى الحكمِ

متى يقلْ اذ اجيء حاجبهُ هذا ابن بيض بالباب يبتسمِ

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة فيها ماتت سكينة بنت ابن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام

واسمها أُمية وقيل أُميمة وسكينة لقب عرفت به وامها الرباب بنت امرىء القيس بن عيسى بن اوس الكلبي كان نصرانياً جاء الى عمر بن الخطاب فاسلم فدعا له برمح فعقد له على من اسلم بالشام من قضاعة فتولى قبل ان يصلي صلاةً وما امسى حتى خطب اليه الحسين ابنته الرباب فزوجه اياها فولدت له عبد الله وسكينة وكان الحسين يقول

لعمرك انني لاحبُّ ارضاً تكون بها سكينة والربابُ
احبها وابذلُ جلَّ مالي وليس بعاتب عندي عتابُ
ولستُ لهم وان غابوا مضيعاً حياتي أو يغيبني الترابُ

وكانت سكينة من الجمال والادب والفصاحة بمنزلةٍ عظيمة كان منزلها مألف الادباء والشعراء وتزوجت عبد الله بن الحسين بن علي فقتل قبل ان يبني بها ثم تزوجها مصعب بن الزبير ومهرها بالف الف درهم وحملها اليه علي بن الحسين عليهما السلام فاعطاهُ اربعين الف دينار فولدت له الرباب وكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ما أُلبسها إياهُ إلاّ لتفضحهُ . وعن الشعبي ان الفرزدق خرج حاجّاً فلما قضى حجهُ عدل الى المدينة فدخل على سكينة بنت الحسين فسلَّم فقالت له يا فرزدق من اشعر الناس فقال انا فقالت كذبت اشعر منك الذي يقول

بنفسي من تجنبهِ عزيزٌ عليَّ ومن زيارته لمامُ
ومن امسي واصبحَ لا اراهُ ويطرقني اذا هجعَ النيامُ

فقال والله لو اذنت لي لاسمعتكِ احسن منهُ قالت اقيموهُ فأُخرج ثم عاد اليها من الغد فدخل عليها فقالت يا فرزدق من اشعر الناس فقال انا قالت كذبتَ صاحبك جرير اشعر منك حيث يقول

لولا الحياء لهاجني استعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيب يُزارُ
كانت اذا هجرَ الضجيعُ فراشها كتم الحديث وعفَّت الاسرارُ
لايلبثُ القرناء ان يتفرَّقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهـــارُ

قال والله لو اذنتِ اسمعتكِ احسن منهُ فامرت به فأُخرج ثم عاد اليها في اليوم الثالث وحولها مولدات لها كانهنَّ التماثيل فنظر الفرزدق الى واحدةٍ منهنَّ فاعجب بها وبهت ينظر اليها فقالت له سكينة يا فرزدق من اشعر الناس قال انا قالت كذبت صاحبك اشعر منك حيث يقول

انَّ العيون التي في طرفها حوَرٌ قتلننا ثمَّ لم يحيينَ قتلانا
يصرعنَ ذا اللبِّ حتى لاحراك له وهنَّ اضعفُ خلقِ الله أركانا

فقال والله لو تركتني لاسمعتك احسن منهُ فامرت باخراجهِ فالتفت اليها فقال يا بُنيَّة رسول الله ان لي عليكِ حقّاً عظيماً صرتُ من مكة ارادة التسليم عليكِ وكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي

وتفضيل جرير عليّ ومنعك اياي ان انشدك من شعري ولي ما قد عيل عنه صبري وهذه المنايا تغدو وتروح ولعلي لا افارق المدينة حتى اموت فاذا متُّ فمري بي ان أُدرج في كفن وأُدفن في حرِ هذه الجارية يعني التي اعجبته فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية فخرج بهـــا وأمرت الجواري فدفعن في اقفيتها فنادته يافرزدق احتفظ بها واحسن صحبتها فاني آثرتك بها على نفسي . وفي هذه السنة مات علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ولدَ ليلة قتل علي بن ابي طالب رضه فسمي باسمهِ وذلك في شهر رمضان سنة اربعين وكان كثير الصلاة يُصلي في اليوم والليلة الف ركعة وكان يصبغ بالسواد وكان اذا قدم مكة حاجًّا او معتمرًا عطّرت قُريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلَقها ولزمت مجلس علي بن عبد الله اعظامًا واجلالاً وتبجيلاً فان قعد قعدوا وان نهض نهضوا وان مشى مشوا جميعًا حوالهُ وتوفي بالشام في هذه السنة وقيل في سنة ثمان عشرة ومائة وفيها ماتت ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان اخت عمر وكانت من الاجواد الكرائم

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة فيها توفي مالك بن دينار

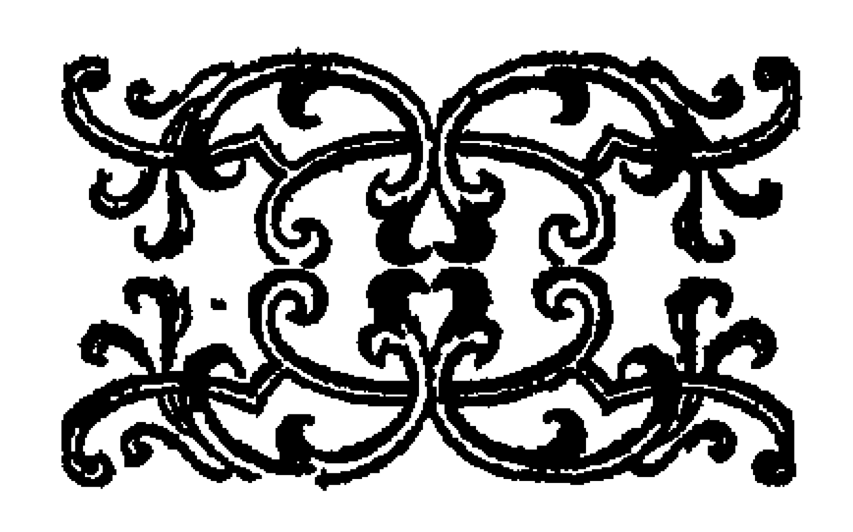
ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة فيها مات حبيب ابو محمد الفارسي وكان يقال له حبيب العجمي حضر مجلس الحسن البصري فتأثر بموعظتهِ وخرج مما كان من ملكهِ وتعبَّد وساح

وفي سنة عشرين ومائة مات محمد بن واسع بن خانس بن الاخنس اسند عن انس وغيرهِ وكان خيرًا متواضعًا وكان الحسن يُسميهِ سيد القراء وكان صائم الدهر

ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومائة فيها قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان عمرهُ اثنتين واربعين سنة

وفي سنة اثنتين وعشرين ومائة مات اياس بن معوية وقرّة بن اياس المزّي

وفي سنة خمس وعشرين ومائة مات هشام وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك عقد يزيد بن عبد الملك الخلافة لولدهِ الوليد بعد اخيهِ هشام وكان يومئذٍ ابن احدى عشرة سنة



ذكر خلافة

الوليد هو ابو العباس

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بويع له في شهر ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة واول من ولي من ولد عبد الملك آكبر منهُ سنًّا لانهُ ولي وقد جاوز الاربعين وكان ابيض ربعة قد وخطهُ الشيب وكان شاعرًا فصيحًا مصروف الهمة الى الاكل والشرب. وجعل ولديهِ عثمان والحكم ولياعهدهِ . ودفع خالد بن عبد الله القسري الى يوسف بن عمر فقتلهُ وحبس ولديهِ عثمان والحكم فلم يزالا في الحبس الى ان ولي مروان فقُتلا. وكانت ولايتهُ سنة وشهرين وعشرين يومًا

ذكر اولادهِ ونوَّابهِ

كان لهُ من الولد ثلاثة عشر ذكرًا وعشر بنات . وكان اميرهُ على حمص حفص بن الوليد . وأقرَّ محمد بن صفوان على القضاء وكاتبهُ العباس بن مسلمة وحاجبهُ قطري مولاه . وكان نقش خاتمهِ "ياوليد احذر الموت" وفي ايامهِ وصلت الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس هدايا من خراسان ثم مات محمد المذكور اخر سنة ست وعشرين ومائة بعد أن وصَّى ان الامر بعدهُ يكون في ولدهِ ابرهيم وان قتل او مات فابن الحارثية يعني بهِ عبد الله السفَّاح

ذكر شيء من الحوادث التي جرت في ايام خلافتهِ

توفي في سنة خمس وعشرين ومائة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وكان بينهُ وبين ابيهِ في السن اربع عشرة سنة وكان اشبه الناس بهِ لا يفرق بينهما الى ان خضب علي فعرف بخضابهِ . وكان لهُ من الولد اثنا عشر ذكرًا وخمس بنات فمن الذكور ابرهيم الامام واليهِ اوصى فقام بالامانة من بعده وعبد الله السفَّاح وعبد الله المنصور ومحمد اوَّل من نطق با لدولة العباسيَّة واول من دعي لهُ من بني العباس وسمي بالامام وكوتب وأُطيع وكان ذلك في سنة تسع وثمانين في خلافة الوليد بن عبد الملك. وكان عبد الله محمد بن الحنفية قد اوصى اليهِ ودفع اليهِ كتبهُ وقال إنَّما الامر في ولدكَ . وتوفي محمد بن علي قبل تمام الدعوة في ذي القعدة من هذه السنة وكان بين وفاته ووفاة ابيهِ سبع سنين و بلغ من العمر ستين سنة وقيل ثلاث وستين. واوصى الى ابنهِ ابرهيم فسمي الامام . وفيها مات هشام بن عبد الملك

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة . فيها تولى الخلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وامهٔ شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار اخر ملوك الفرس

ذكر خلافة

يزيد بن الوليد بن عبد الملك

كان يكنى اباخالد بويع لهٔ في ثامن عشر جمادى الاخرة سنة ست وعشرين ومائة وكان اسمر نحيف البدن مربوعاً خفيف العارضين فصيحاً شديدا لعجب اظهر حسن السيرة . ونقص الجند من عطاياهم فلُقِّب الناقص

ذكر وفاتهِ

توفي يوم الاضحى سنة ست وعشرين ومائة بالطاعون وعمرهُ اربعون سنة وخلافتهُ خمسة اشهر. ونقش خاتمهِ . يايزيد قم بالحق

ذكر نوّابهِ

كان اميرهُ على مصر حفص بن الوليد وقاضيهِ عثمان بن عمرو وحاجبهُ قطز مولاهُ

ذكر شيءٍ مما جرى في ايام خلافتهِ

فيها مات الكميت بن زيد بن جيش بن مجالد . كان عالمًا باللغة وكان في ايام بني أُمية ولم يدرك الدولة العباسيّة تكلم مع حمّاد الراوية فافحم حمادًا . وانشد هشامًا فاعطاهُ مائة الف درهم . وهو اشعر الاولين والاخرين . وشعرهُ خمسة الاف بيت ومائتين وتسعة وثمانين . وفيها قتل الوليد بن يزيد . قتل لليلتين بقيتا من شهر جمادى الاخرة . وكانت خلافتهُ سنة وثلاثة اشهر . وكان عمرهُ ست وثلاثين سنة وقيل احدى واربعين سنة

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة فيها كان مسير مروان بن محمد بن مروان الى الشام فلما دنا من حمص خرج اهل حمص فبايعوهُ وساروا معهُ وفيها بويع لمروان بالخلافة بدمشق . وذلك انهُ لما قيل قد دخلت خيل مروان دمشق هرب ابرهيم بن الوليد وتغيب ونهب بيت المال وثار من بدمشق من موالي الوليد بن يزيد فقتلوا عبد العزيز بن الحجاج ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوهُ على باب الجابية ودخل مروان دمشق فبايعوهُ واستوت لهُ الشام وانصرف فنزل حرّان فطلب منهُ الامان ابرهيم

ابن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهما وخُلع ابرهيم في ربيع الاخر وكان مكثة اربعة اشهر وقيل سبعين يومًا وقيل غير ذلك والله اعلم بغيبهِ واحكم

ذكر خلافة

ابرهيم هو ابو اسحق

ابرهيم بن الوليد بن عبد الملك امهُ ام وَلدِ اسمها نُعم بويع لهُ في ذي الحجة من سنة ست وعشرين ومائة ثم خلع نفسهُ وسلَّم الامر الى مروان بن محمد في صفر سنة سبع وعشرين ومائة وكانت ولايتهُ شهرين وعشرة ايام ولم يزل باقيًا الى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فقتلهُ ابو عون بالزاب وكان عاجزًا ضعيف الرأي ما لهُ ظفر . وكان نقش خاتمهِ توكلت على الحي القيوم

ذكر نوابهِ

كان قاضيهُ عثمان بن عمر التيمي وحاجبهُ قطز مولى الوليد وكاتبهُ دكين اللخمي

ذكر خلافة

مروان هو ابو عبد الملك

مروان بن محمد بن مروان امهُ ام ولد كردية بويع لهُ في صفر سنة سبع وعشرين ومائة وكان واليًا على ارمنية من قِبَل الوليد بن يزيد فلما قتل الوليد سار الى يزيد بن الوليد بطلب دم الوليد فمات يزيد قبل وصولهِ ووليَ اخوهُ ابرهيم ووصل مروان الى حمص وبايعه اهلها وانفذ اليهِ ابن الوليد عسكرًا عليهِ سليمان بن هشام فالتقيا فدعاهم مروان الى الكف عن قتالهِ واطلاق عثمان والحكم وكانا في سجن دمشق فأبوا واقتتلوا وانهزم سليمان ومن معهُ وقُتل من عسكرهِ خلق كثير واتى مروان بالاسرى فاخذ عليهم البيعة للغلامين المحبوسين ورجع سليمان ثم قُتل الغلامان بدمشق ثم بايعهُ ابرهيم بن الوليد واهل الشام وكان مروان ابيض شديد الشهلة ضخم الهامة ابيض الراس واللحية صبورًا على النصب

والمشقة ذا بلاغةٍ وفصاحةٍ ولهُ رسائل يقتدى بها ولم يحج في سني خلافتهِ ولم يزل امرهُ مضطربًا الى ان ظهر ابو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس وانفذ مروان الى الحميمة يطلب ابا العباس فأُتي بابرهيم بن محمد اخي المذكور فامر بهِ فجعل راسهُ في جراب فيهِ نورةٌ حتى مات فهرب اخواهُ ابو العباس وابو جعفر المنصور وعمومتهما الى الكوفة وذلك في المحرَّم سنة اثنتين وثلاثين ومائة فاقاما بها شهرين . ثم بويع لابي العباس السفاح في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وسار عبد الله ابن علي بن عبد الله بن العباس الى مروان بامر السفاح فلقيه على الزاب قرب الموصل فانهزم مروان وتبعهُ عبد الله المذكور حتى نزل قريبًا من حرَّان فواقعهُ ايضًا وقتل خلقًا من اصحابهِ فانهزم هاربًا في نفرٍ يسيرٍ من خواصهِ فلحقهُ صالح بن علي اخو عبد الله فقتلهُ في ليلة الاحد سابع وعشرين ذي الحجة من السنة ولهُ تسع وخمسون سنة وولايتهُ الى ان خرج السفاح خمس سنين وشهر والى ان قتل خمس سنين وعشرة اشهر وهو اخر خلفاء بني أُمية

ذكر اولادهِ

كان لهُ ولدان عبد الله وعبيد الله فهربا بعد قتلهِ فقُتل عبد الله بالحبشة وسلم عبيد الله ولهُ عقب واحد فحبس ولم يزل محبوسًا الى ايام الرشيد واخرج ضريرًا فمات ببغداد نعوذ بالله من سوء العاقبة

ذكر نوَّابهِ

كان قاضيهُ عثمان التيمي وحاجبهُ صقلاب مولاهُ وكان نقش خاتمهِ اذكر الموت يا غافل وكان اميرهُ على مصر حفص بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله

ذكر الحوادث التي جرت في ايام مروان

في سنة ثمان وعشرين ومائة اول من توفي من المشهورين في ايام خلافتهِ يزيد بن ابي حبيب واسم ابي حبيب سويد مولى شريك بن الطفيل العامري يكنى ابا رجاء وكان لهُ من العمر ثلاث وخمسون سنة وكان نوبيًّا من اهل دمقلة فابتاعه شريك بن الطفيل العامري فاعتقهُ روى عن ابي الطفيل وعبد الله ابن الحرث وروى عن سليمان التيمي . وكان يزيد يفتي اهل مصر في ايامهِ وهو اول من اظهر العلم بمصر في الحلال والحرام ومسائل الفقه . وانما كانوا يحدثون قبل ذلك بالفتن والملاحم والترغيب والترهيب والخبر وكان احد الثلاثة الذين جعل اليهم عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر وكان حليمًا عاقلاً ولما كثرت مسائل الناس لهُ لزم منزلهُ ثم توفي في هذه السنة

ودخلت سنة تسع وعشرين ومائة فيها امر ابرهيم بن محمد ابا مسلم الخراساني بالذهاب الى شيعتهِ بخراسان وأمرهم باظهار الدعوة والتسويد فقدم ابو مسلم مرو اول شعبان من سنة تسع وعشرين ومائة ولما

كان يوم عيد الفطر أمر ابو مسلم سليمان بن كثير ان يصلي بهِ وبالشيعة العيد ونصب له منبرًا في العسكر وامرهُ ان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولا اقامة وكان بنو أمية تبدأ بالخطبة باذانٍ ثم الصلاة باقامةٍ على صلوة الجمعة ويخطبون على المنابر جلوسًا في الاعياد والجمع وأمرَ ابو مسلم سليمان ابن كثير ان يكبر في الركعة الاولى ست تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات وكانت بنو أمية تكبر في الركعة الاولى اربع تكبيرات وفي الثانية ثلاث تكبيرات يوم العيد فلما قضى سليمان الصلوة والخطبة انصرف ابو مسلم والشيعة الى طعامٍ اعدَّهُ لهم ابو مسلم فطعموا مستبشرين وكتب نصر بن سيّار الى مروان يعلمهُ حال ابي مسلم وخروجهُ وكثرة من معهُ وانهُ يدعو الى ابرهيم بن محمد وكتب بابيات شعرٍ وهي

اري خلل الرمادِ وميض نارٍ ويوشك ان يكون له ضرامُ
فان لم تطفها عقلاء قومٍ يكون وقودها جثثٌ وهامُ
فان النار بالعودين تذكو وان الحرب اولها كلامُ
وقلت من التعجب ليت شعري أَ أيقاظٌ أُميّة ام نيامُ

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة فيها دخل ابو مسلم مرو ونزل في دار الامارة بها . وفيها مات الخليل بن احمد يكنى ابا عبد الرحمن الفراهيدي الازدي النحوي البصري . ولا يعرف سميُّ احمد بعد رسول الله (صلعم) قبل احمد والد الخليل . سمع الخليل من جماعةٍ وبالغ في علم اللغة وانشأ العروض وروى عنهُ حماد بن زيد والفضل بن اسمعيل المازني وكان متعبدًا ذا زهادةٍ في الدنيا كتب سليمان بن علي الهاشمي يستدعيهُ لتعليم ولدهِ بالنهار ومنادمته بالليل وبعث اليهِ بالف دينار ليستعين بها على حالهِ . فاخرج الى الرسول زنبيلاً فيهِ كسر يابسة وقال اني ما دمتُ اجد هذه الكسر فاني غنيٌّ عنهُ وعن غيرهِ وردَّ الالف دينار على الرسول وقال اقرأ على الامير السلام وقل له اني قد ألفتُ قومًا والفوني اجالسهم طول نهاري وبعض ليلي وقبيحٌ بمثلي يقطع عادةً عوَّدها اخوانهُ واني غنيٌّ عنهُ وعن غيرهِ وكتب اليهِ بهذه الابيات

ابلغ سليمان اني عنهُ في سعةٍ وفي غنًى غير اني لست ذا مالِ
وان بين الغنى والفقر منزلةً معروفة بجديد ليس بالبالِ
شحًّا بنفسي اني لا ارى احدًا يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالِ
والفقر في النفس لا في المال تعرفهُ ومثل ذاك الغني في النفس لا المالِ
والرزق عن قدرٍ لا العجز ينقصهُ ولا يزيدك فيهِ حول محتالِ
كل امرئٍ بحبال الموت مرتهنٌ فاعمد لبالك اني عامدٌ بالي

قال محمد بن عبدالله بن عائشة كان الخليل يحجّ سنة ويتعبد سنة حتى مات . وقال النضر بن شميل ما رأينا احدًا اقبل الناس الى علمهِ فطلبوا ما عندهُ اشدّ تواضعًا من الخليل وكانوا يقولون لم يكن في العرب بعد الصحابة اذكى من الخليل ولا اجمع ولا كان في العجم اذكى من ابن المقفّع ولا اجمع . قال النضر بن شميل سمعتُ الخليل يقول الايام ثلاثة معهود وهو امس ومشهود وهو اليوم وموعود وهو غد . وقال بثلاثة تنسى المصائب مرّ الليالي والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال . وانشد لنفسهِ

يكفيك من دهرك هذا القوت ... ما اكثر القوت لِمَن يموتُ

وقال

وما بقيت من اللذّات الاّ ... محادثة الرجال ذوي العقولِ

وقد كنّا نعدّهمُ قليلًا ... فقد اضحوا أقلّ من القليلِ

وحدّث النضر بن شميل المازني قال . قال الخليل الرجال اربعة رجل يدري ويدري انهُ يدري فذاك عالمٌ فاتبعوهُ ورجل يدري ولا يدري انهُ يدري فذاك غافل فنبهوهُ ورجل لا يدري ويدري انهُ لا يدري فذاك جاهل فعلموهُ . ورجل لا يدري ولا يدري انهُ لا يدري فذاك مائق فاحذروهُ . قال الناشئ الازدي يهجو داود بن علي الاصفهاني الفقيه

اقول كما قال الخليل بن احمدٍ ... وان شبت ما بين الطائل في الشعرِ

عذلت على ما لو علمتَ بقدرهِ ... بسطتَ مكان العذل واللوم من عذري

جهلتَ ولم تعلم بانك جاهلٌ ... فمن لي بأن تدري بانك لا تدري

وقال حمّاد عجرد في المعنى

واقسمُ لو اصبحتَ في لمّة الهوى ... لقصرت عن لومي واطنبت في عذري

ولكن بلائي منكَ انكَ جاهلٌ ... فانك لا تدري بانك لا تدري

وقال الخليل ما جادل احداحدًا الاّ عاداهُ واني لاعجب ممن يفعل ذلك وفي هذه السنة المذكورة مات محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير ابو عبدالله وكان المنكدر دخل على عائشة فقالت لهُ الك ولد فقال لا فقالت لو كان عندي عشرة الاف درهم لوهبتها لك فما امست حتى بعث لها معاوية بمال فقالت ما اسرع ما ابتليت وبعثت الى المنكدر بعشرة الاف درهم فاشترى جارية فهي ام محمد وعمر وابي بكر وكانوا عباد المدينة . واتى صفوان بن سليمان ودخل على محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال يا ابا عبدالله مالي اراك قد شق عليك الموت قال فما زال يهون عليهِ الامر ويتجلى عن وجههِ حتى كأنّ في وجههِ المصابيح . ثم قال محمد لو ترى ما انا فيهِ لقرّت عينك ثم قضى رحمة الله تعالى . وفيها مات مالك بن دينار ابو يحيى مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي وكان ثقة يكتب المصاحف وكان

زاهدًا في الدنيا واسند الحديث عن انس بن مالك وعن جعفر بن سليمان قال كان يرى مالك بن دينار يوم التروية بالبصرة ويوم عرفة بعرفات ودخل اللصوص على مالك بن دينار فلم يجدوا شيئًا فارادوا الخروج من دارهِ فقال مالك ما عليكم لو صلّيتم ركعتين

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيها كان طاعون بن قتيبة قال الاصمعي كان يمرُّ بطريق المربد كل يوم احد عشر الف نعش قال مات في اول يوم سبعون الفًا وفي الثاني نيف وسبعون الفًا واصبح الناس في اليوم الثالث موتى وكان يغلق الباب على الموتى مخافة ان تاكلهم الكلاب . وفيها مات ايوب بن ابي تميم السختياني يُكنَّى ابا بكر مولى لعنزة واسم ابي تميم كيسان كان ثقةً دينًا ورعًا يسترحالهُ حجَّ اربعين حجّة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنةً . وفيها مات ابرهيم بن محمد بن عبد الله بن عباس ابن الامام امهُ امُّ ولد وهو الذي يقال لهُ الامام اوصى اليهِ ابوهُ وانتشرت دعوتهُ في خراسان كلها وكان شيعتهُ يختلفون اليهِ ويكاتبونهُ ووَجَّهَ ابا مسلم الى خراسان واليًا على شيعتهِ ودعاتهِ فخرج ابو مسلم لمحاربة عمّال بني أُميَّة واظهر لبس السواد وغلب على البلاد الى ان أظهر اسمهُ فعلم بالحال مروان بن محمد فاخذ ابرهيم فحبسهُ فمات في حبسهِ بارض الشام وهو ابن ثمان واربعين سنة . وقيل انهُ هدم عليهِ بيتًا وقيل سُقِيَ لَبنًا فأصبحَ ميتًا

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيها بويع لابي العباس السفّاح ولنذكر شيئًا من تلخيص احوال بني أُميَّة ونعود الى خلافة بني العباس على الترتيب بتوفيق الله وعصمتهِ ومنهِ بالخير

ذكر تلخيص اخبار بني أُميَّة

جميع خلفائهم من معاوية الى مروان بن محمد اربعة عشر خليفة ومدة خلافتهم منذ خلص الامر لمعاوية الى ان قتلَ مروان احدى وتسعون سنة وتسعة اشهر . ثم تفرقوا بعد قتل مروان بن محمد في البلاد وتمزّقوا كل ممزّقٍ فهرب عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك الى الاندلس فبايعهُ اهلها وذلك في سنة تسع وثلثين ومائة فاقام واليًا ثلاثًا وثلثين سنةً واربعة اشهر ثم ولي بعدهُ ابنهُ هشام سبع سنين وتسعة اشهر ومات سنة ثمانين ومائة وكان عاقلاً حازمًا خيّرًا عادلاً ثم ولي الحَكَم بن هشام سبعًا وعشرين سنة وكان فصيحًا شاعرًا وهو اول من استكثر من المماليك بالاندلس وربط الخيل وتشبه بالجبابرة فحاربهُ عمهُ سليمان فقتلهُ ثم ولي عبد الرحمن بن الحكم اثنين وثلاثين سنة واحد عشر شهرًا ثم ولي اخوهُ عبد الله خمسًا وعشرين سنة ومات فولي ابن ابنهِ عبد الرحمن بن محمد وتسمى امير المؤمنين الناصر لدين الله وكان من قبله من الأمويين يسمون بني الخلافة ولم يزل واليًا خمسين سنة ثم ولي بعدهُ ابنهُ الحَكَم بن عبد الرحمن ولُقِّبَ المستنصر بالله فاقام في الملك واليًا الى ان مات خمس عشرة

سنة وشهراً ثم ولي ابنهُ هشام ولهُ تسع وستون سنة فاقام والياً تسعاً وثلاثين سنة الى ان غلب على الامر محمد بن عبد الجبار وتلقب بالمهدي وظهر عليهِ سليمان بن الحكم وتلقب بالمستعين وحاصر المهدي وقتلهُ وتغلب سليمان على الامر ثم قام علي بن حمود الفاطمي فقاتل سليمان فظفر بهِ فقتلهُ وتلقب بالناصر لدين الله ولم يزل والياً الى ان قتلهُ مملوكهُ بالحمّام ووُلي بعدهُ اخوهُ القاسم بن حمود وتلقب بالمامون. وظهر هشام ورجع الى الاندلس في سنة اربع وعشرين واربعمائة . هذا اخر ما انتهى الينا من اخبارهم والله اعلم بالصواب

ذكر خلافة

ابي العباس السفاح

وهي اول خلافة بني العباس وهو اول الخلفاء منهم وهو ابو العباس عبدالله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس عم النبي (صلعم) امهُ ريطة بنت عبدالمدان الحارثي مولدهُ سنة خمس ومائة وبويع لهُ بالخلافة يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان طويلاً ابيض اقنى الانف حسن الوجه جواداً سديد الرأي كريم الاخلاق اشترى بردة النبي (صلعم) باربعمائة دينار وكان ذا فضل وحزم ومخاشنة. وروى في الحديث ان النبي (صلعم) اعلم العباس ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولدهُ يتوقعونها ويتحدثون بذلك بينهم . وعن ابي سعيد الخدري عن النبي (صلعم) انهُ قال يخرج رجل في انقطاعٍ من الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح . وعن ابن عباس قال والله لو لم يبقَ من الدنيا الاَّ يوم لأَزال الله من بني أُمية ليكونن منها السفاح والمنصور والمهدي . وكان اول قائم من بني العباس ابرهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فحبسهُ مروان بن محمد فمات في الحبس فاوصى الى اخيهِ ابي العباس السفاح وجعلهُ الخليفة من بعدهُ وامر اهلهُ بالمسير الى الكوفة مع اخيهِ حتى قدموا الكوفة في صفر فافرد لهم ابوسلمة داراً الزيد بن سعدٍ مولى بني هاشم وكتم امرهم نحواً من اربعين ليلة من جمع القواد والشيعة ويقال انهُ اراد تحويل الامر الى آل ابي طالب لما بلغهُ الخبر عن موت ابرهيم بن محمد وذهب قومٌ من الشيعة فدخلوا على ابي العباس وجاء ابو سلمة فمنعوهُ ان يدخل معهُ احدٌ فدخل وحدهُ فسلم عليهِ بالخلافة فقال ابو حميد على رغم انفك

وبويع ابو العباس السفاح بالكوفة في يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الاخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتقل الى الانبار فسكنها حتى مات . واستخلف وعمرهُ سبع وعشرون سنة وكان اصغر سنًّا من اخيهِ المنصور وكان يقال لهُ السفاح والمرتضي والقائم وقيل انما لُقّب بالسفاح لما سفح من دماء المبطلين . وكان نقش خاتمهِ . الله ثقة عبدالله . واول من وزر لبني العباس ابو سلمة حفص بن سليمان بن الخلال ثم خالد بن برمك . ولما ولي الخلافة خرج يوم الجمعة فصلى بالناس فقال في خطبتهِ . الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسهِ وكرّمهُ وشرّفهُ وعظّمهُ واختارهُ لنا وايدهُ بنا وجعلنا اهلهُ وكهفهُ وحصنهُ والقوّام بهِ والذابين عنهُ والناصرين لهُ وخصّنا برحم رسول الله (صلعم) وانبتنا من شجرتهِ واشتقنا من نبعتهِ وأنزل بذلك كتابًا فقال فيهِ قُل لا اسألكم عليهِ اجرًا الّا المودّة في القُربى . فلما قبض الله رسولهُ قام بذلك الامر اصحابهُ وأمرهم شورى بينهم فعدلوا وخرجوا خماصًا . ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها واستأثروا بها ظلمًا لاهلها فاملى الله لهم حينًا فلما اسفوهُ انتقم منهم بايدينا وردّ علينا حقّنا . وانا السفاح المبيح والثائر المبيد . وكان موعوكًا فاشتدّ عليهِ الوعك فجلس على المنبر ولم يتكلم . فوثب عمهُ داوُد بن علي وكان بين يديهِ فقال إنا والله ما خرجنا لنكثر لجينًا ولا عقيانًا ولا لنحفر نهرًا ولا لنبني قصرًا وانما أخرجتنا الانفة من ابتزازهم حقنا . ولقد كانت اموركم ترمضنا . لكم ذمّة الله وذمة رسولهِ وذمة العباس وان نحكم فيكم بما انزل الله ونعمل بكتاب الله ونسير فيكم بسنّة رسولهِ واعلموا ان هذا الامر فينا وليس بخارجٍ منا حتى نسلمهُ الى عيسى بن مريم . ثم نزل ابو العباس وداود امامهُ حتى دخل القصر واجلس ابا جعفر واخذ البيعة على الناس في المسجد واحكم التدبير ابو سلمة حفص بن سليمان ولقب بالوزارة وهو اوّل من تسمى بها . وكتب اليهِ ابو مسلم الى ابي سلمة وزير آل محمد عبد الرحمن مسلم آل محمد . ثم استعمل السفاح على الكوفة عمهُ داود بن علي وعلى واسط اخاهُ ابا جعفر وحضرهُ جماعة من اهل بيتهِ فذكروا جمع المال فقال عبدالله بن حسن بن حسين بن حسن سمعتُ بالف الف درهم وما رأيتها مجتمعة . فقال ابو العباس السفاح انا أصلك بها حتى تراها مجتمعة فلما قبض المال استأذنهُ في الخروج الى المدينة فأذنهُ ودفع اليهِ مالًا ليقسمهُ على بني هاشم بالمدينة فلما قسمهُ اخذوا يشكرون ابا العباس فقال عبدالله بن حسن بن حسين هولاء احمق الناس يشكرون من اعطاهم لبعض حقهم فبلغهُ ذلك فاخبر اهلهُ فقالوا أدّبهُ فقال من شدّد تأنف ومن لان تألّف والتغافل من اخلاق الكرام ودخل عبدالله بن حسن بن حسين ومعهُ مصحف فقال يا امير المؤمنين اعطنا حقنا الذي جعلهُ الله لنا في هذا المصحف قال فأشفق الناس ان يعجل السفاح بشيء اليهِ ولا يريدون ذلك في شيخ من بني هاشم او يعيى بجوابهِ فيكون ذلك عارًا عليهِ قال فاقبل عليهِ غير مغضب ولا منزعج فقال ان جدّك عليًا كان خيرًا مني واعدل وُلي هذا الامر واعطا جدّيك الحسن والحسين وكانا خيرًا منك

شيئًا وكان الواجب ان اعطيك مثله فان كنت فعلت فقد أنصفتك وان كنت قد زدتك فما هذا جزاهي منك فما ردّ عبدالله جوابًا وانصرف والناس يتعجبون من جوابه له . ذكر عبدالله بن عائشة قال لما استقام الامر لابي العباس السفاح خطب يومًا فاحسن في خطبته . فلما نزل عن المنبر قام ابو السيد الحميري فانشد

دونكموها يا بني هاشم ... فجدّدوا من آيها الطامسا
دونكموها فالبسوا تاجها ... لاتعدموا منكم لها لابسا
دونكموها لاعلى كعب من ... امسى عليكم ملكها نافسا
خلافة الله وسلطــانه ... وعنصرًا كان لكم دارسا
لو خُيِّرَ المنبرُ فرسانهُ ... ما اختار الّامنكمُ فارسا
والملك لو شوورَ في ساسةٍ ... ما اختار الّا منكمُ سائسا
لم يبق عبدالله بالشام من ... آل ابي العاص امرأ عاطسا

فقال له ابو العباس السفاح سل حاجتك فقال ترضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب وتوليه الاهواز فدفع الى السيد ما طلب فاخذهُ وقدم على سليمان بالبصرة فلما وقعت عينهُ عليهِ انشدهُ

أتيناك يا قرم اهل العراقِ ... بخير كتابٍ من القائمِ
اتيناك من عند خير الانامِ ... وذاك ابن عمّ ابي القاسمِ
اتيناك بعهدك من عندهِ ... على من يليك من العالمِ
يوليك فيهِ جسام الامورِ ... فانت صنيع بني هاشمِ

فقال له سليمان شريف شافع ووافد وشاعر ونسيب سل حاجتك قال جارية فارهة جميلة ومن يخدمها وبدرة ومن يحملها وفرس رابع وسائسه وتخت من صنوف الثياب وحامله قال قد امرت لك بجميع ما سألت ولك عندي في كل سنة مثله وقيل انشد في ذلك ابياتًا

ساحكم ان حكمتني غير مسرفٍ ... ولا مقصر يا ابن الكماة الاكارمِ
ثلاثة الافٍ وعبــد وبغلــة ... وجارية حسناء ذات ماكمِ
وسرجٌ وبرذونٌ ضليعٌ وكسوةٌ ... وما ذاك بالاكثار من حكم حالمِ
علي ذي ندًى يعطيك حتى كأنما ... يرى بالذي يعطيك احلام نائمِ
أرحني بها من مجلسي ذا فانني ... وحقك ان لم أُعطها غير رائمِ

وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد وذلك انهُ لما هرب من الزاب مرَّ بقنسرين وعبدالله بن علي يتبعهُ ثم مضى الى حمص فتلقاهُ اهل قنسرين بالسمع والطاعة فاقام بها يومين او ثلاثة ثم شخص منها فلما

رأوا قلة من معهٔ طمعوا فيهِ وقالوا مرعوب مهزوم فاتبعوهُ بعد ما رحل فلحقوهُ على اميال فلما رأى غبرة خيولهم كمّن لهم كمينين ثم صافهم وناشدهم المسالمة فأبوا الاَّ قتالهُ فنشب القتال بينهم وثار الكمينان من خلفهم فهزمهم ومرَّ مروان بدمشق ومرَّ بالاردن ومرَّ ببلاد صفد وفلسطين فاتبعهُ عبد الله بن علي فانفذ ابو العباس السفاح عمهُ صالح بن علي في جمع كثير الى الشام على طريق السماوة حتى لحق باخيهِ عبد الله وسارا الى دمشق وبها الوليد بن معوية بن مروان بن الحكم خليفة مروان فحصراها وفتحاها عنوةً وقتل الوليد ونهب البلد ثلاثة ايام وقلع سورها حجرًا حجرًا وبعث يزيد بن معوية وعبد الله بن عبد الجبَّار بن يزيد الى ابي العباس فقتلها وصلبها وهرب مروان الى مصر فدخلها في رمضان وبها عبد الله قد سبقهُ ونزل عبد الله بن علي على نهر ابي فطرس من فلسطين وجمع بني أُمية واظهر انهُ يريد ان يفرض لهم العطاء فلما اجتمعوا وهم نيف وثمانون انسانًا خرجوا عليهم فقتلوهم وجاء كتاب ابي العباس ان تنفذ صالح بن علي لطلب مروان وان تجعل على مقدمتهِ اباعون عامر بن عبد الله بن يزيد فمضى ومعهُ ابو عون والحسن بن قحطبة فبلغوا العريش وبلغ مروان الخبر فأحرق ما حولهُ من علف وطعام وهرب ومضى صالح ومن معهُ في طلبهِ الى الصعيد فساروا حتى ادركوهُ بقرية تعنَّى بوصير من اخر الليل وقد نزل الكنيسة ومعهُ حرَمه وثقلهُ وولدهُ قال عامر فوصلنا في جمع يسير فلو علم قلَّتنا لشدَّ علينا فلجأنا الى شجرٍ ونخلٍ وقلت لاصحابي ان اصبحنا ورأى قلَّتنا اهلكونا . وخرج مروان فقاتل وهو يقول كانت لله علينا حقوقٌ وضيعناها ولم نقم بما يلزمنا فحلم عنا ثم انتقم منا وكان قد عرض جيشهُ بالرقة فمرَّ بهِ ثمانون الف عربي على ثمانين الف فرس عربية . ففكر ساعةً ثم قال اذا انقضت المدة لم تنفع العدَّة . ثم بالغ في القتال فقتل ثلاثمائة رجل واثخنهُ الجراح وحمل عليهِ رجلٌ فقتلهُ واحتزَّ رأسهُ رجل من اهل البصرة كان يتبع الرجال فقال الحسن بن قحطبة اخرجوا اليَّ اكبر بنات مروان فاخرجوها وهي ترتعد فقال لها لا بأس عليكِ فقالت اي بأس اعظم من اخراجك اياي حاسرة من حيث لم ارَ رجلاً قط فاجلسها ووضع الرأس في حجرها فصرخت واضطربت فقيل لهُ ما حملك على هذا قال كفعلهم بيزيد بن عليّ حين قتلوهُ فانهم جعلوا رأسهُ في حجر زينب بنت علي وبعث برأسهِ الى صالح بن علي فنصب على باب مسجد دمشق وبعث بهِ الى السفاح فخرَّ ساجدًا وتصدَّق بعشرة الاف دينار . واوغل اولاد مروان الى بلاد النوبة فقتل بعضهم وأفلت بعضهم وكان فيهم بكر بن معوية الباهلي فسلم حتى كان في خلافة المهدي وفي هذه السنة مات عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي الكاتب المعروف المشهور بالفضل صاحب اساس الكتابة والبلاغة وهو الذي رسم رسومها وأصّل اصولها وفرَّع فروعها وقام في الخلافة مقام الوزير وكان من كتَّاب مروان بن محمد

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة فيها ماتت رابعة العدوية وحديثها في عبادتها وزهدها ودينها وورعها مشهور. وفيها مات عبدالله بن السائب المخزومي وكان دينًا فاضلاً خيرًا عفيفًا لكنهُ كان مشتهرًا بحب الغزل والتسبيب ويهش عند استماع الشعر ويطرب له

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة وفيها توفي ابو العباس السفاح توفي بالجدري في ثالث عشر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وعمرهُ ثلاث وثلاثون سنة وخلافتهُ اربع سنين وثمانية اشهر ودفن بالانبار

ذكر اولاده

وهم صالح ومحمد وكان فاضلاً ولهُ شعر وبنت واسمها ربطة تزوجها المهدي

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجّابهِ

وُزِرَ لهُ ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال الكوفي وقتلهُ واستوزر بعدهُ خالد بن برمك . واستقضى عبدالرحمن بن ابي ليلى ثم يحيى بن سعيد الانصاري واستحجب ابا غسّان

ذكر خلافة

المنصور العباسي

هو ابو جعفر عبدالله بن محمد بويع بعد وفاة اخيهِ السفاح وكان مولدهُ سنة خمس وتسعين بارض الشام وامهُ سلامة البربرية أتاهُ خبر نعيهِ وهو حاج في موضع يقال لهُ صفينة فقال صفي لنا امرنا ان شاء الله تعالى وتلقب بالمنصور بالله وهو اول من تلقب من الخلفاء . وكان اسمر خفيف اللحية رحب الجبهة اقنى الانف وكان نقش خاتمهِ . عبدالله وبهِ يومن . وكان عالمًا بليغًا حازمًا ومن كلامهِ. التعريض عقوبة الاحرار والاماني مخائل الجهال وما يؤثر من ذكائهِ انهُ لما دخل المدينة قال للربيع اطلب لي رجلاً يعرّفني دور الناس فاني احب ان اعرفها فجاءهُ بمن يعرّفه وقال لهُ لا تبتدئه حتى يسألك فركب معهُ فلما فارقهُ أمر لهُ بالف درهم . فطالب الرجل الربيع فقال ما قال لي شيئًا فاذا ركب غدا فاذكرهُ . فلما كان من الغد وركب على العادة فلم يرَ موضعًا للكلام فلما اراد ان يفارقهُ قال لهُ مبتدئًا وهذه يا امير المومنين دار عاتكة التي يقول فيها الاخوص حيث يقول

يا دار عاتكـــة التي انعزّلُ حذَرَ العدى وبها الفؤاد موكلُ

فانكر المنصور ابتداءهُ فامرَّ القصيدة على قلبهِ فاذا فيها

واراك تفعل ما تقول وبعضهم ملقُ اللسان يقول ما لا يفعلُ

فعلم انهُ لم ياخذ ما امرلهُ بهِ فضحك وقال ياربيع الف درهم وعدته بها والف اخرى

ذكر وفاتهِ

كان قد خرج محرمًا من مدينة السلام يريد الحج في سنة ثمان وخمسين ومائة . وكان قد رأى في منامهِ كأن اتيًا اتاهُ فانشدهُ مشيرًا الى قصرهِ

كأني بهذا القصر قد باد اهلهُ وَعرّيه منهُ اهلهُ وَمنازلُه

وصار رئيس القوم من بعد عزّهِ الى جدثٍ تبني عليهِ جنادلُه

فعند ذلك اغتسل وصلى ركعتين ولبس احرامهُ وتوجه الى الحج فلما وصل الى القادسية كتب على حائطٍ هناكَ

المرءُ يأملُ أن يعيـــش وطول عُمرٍ قـد يضرُّه

تبلى بشاشتهُ ويبقى بعد حلو العيش مرُّه

وتخـــونه الايام حتى لا يرى شيئًا يسرُّه

كم شامتٍ بي ان هلكـــت وقائلٍ للهِ درُّه

فلما انتهى الى بئر ميمون توفي بها يوم التروية ودُفن بالمعلى ظاهر مكة شرّفها الله مكشوف الرأس وذلك يوم السبت سادس ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وعمرهُ ثلاث وستون وخلافتهُ احدى وعشرون سنة واحد عشر شهرًا وثمانية ايام

ذكر اولادهِ

وهم جعفر الاكبر وجعفر الاصغر وعبد العزيز وعلي وابو عبدالله محمد وابرهيم ويعقوب وحجَّ بالناس وصالح المسكن وحجَّ بالناس ايضًا وسليمان وعيسى والعباس وفاطمة والعالية واسماء

ذكر وزرائهِ

وُزّرَ لهُ خالد بن برمك وعزلهُ واستوزر ابا الهون سليمان بن خالد الثوري ثم عزلهُ واستوزر الفضل بن الربيع الى حين وفاتهِ وقضاته عبدالله بن صفوان وشريك بن عبدالله والحسن بن عمارة والحجاج بن ارطاة . وحجّابهُ الخصيب ثم الربيع ثم الفضل لبنة والخلفاء كلهم من عقبهِ لان اخاهُ السفاح لا عقب لهُ في الخلافة

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافتهِ

قال الاصمعي لما تولى المنصور الخلافة صعد المنبر فقال الحمد لله احمدهُ واستعينهُ واؤمن بهِ واتوكل عليهِ واشهد ان لا اله الاّ الله وحدهُ لا شريك لهُ. فقام اليهِ رجلٌ فقال يا امير المؤمنين. اذكرك من انت تشكرهُ. فقال ابو جعفر مرحبا لقد ذكرتنا جليلاً وخوفتنا عظيمًا واعوذ بالله ان اكون ممَّن اذا قيل لهُ اتقِ الله اخذتهُ العزَّة بالاثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت. وانت يا قائلها فاحلف بالله ما الله اردت بها انما اردت ان يقال قام فقال فعوقب فصبر واهون بها من قائلها. واياكم معشر الناس من امثالها. واشهد أنّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ. فعاد الى الخطبة كانما يقرأها من قرطاس. وكان المنصور يشتغل في صدر نهارهِ بالامر والنهي والولايات وشحن الثغور والاطراف والنظر في الخراج والنفقات ومصالح الرعية. فاذا صلى العشاء نظر فيما وَرَدَ عليهِ من كتب الثغور والاطراف وشاور سمارهُ. وكانت ولاة البريد يكتبون اليهِ كل يوم بسعر القمح والحبوب والادام وكل ماكول وكل ما يقضي بهِ القاضي في نواحيهم وما يرد الى بيت المال وكل ما حدث. فاذا صلى المغرب يكتبون اليهِ بما كان ذلك اليوم فاذا نظر في كتبهم فان رأى الاسعار على حالها سكت وان تغيَّر منها شيء كتب الى العامل هناك وسأَل عن العلة فاذا وَرَدَ الجواب تلطف حتى يعود سعر ذلك البلد الى حالهِ. وان شكَّ في شيء مما قضى بهِ القاضي كتب اليهِ في ذلك وسأَل من بحضرتهِ عن عملهِ فان انكر شيئًا كتب يوبخهُ ويلومهُ. فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشهِ وانصرف سمارهُ. فاذا مضى الثلث الثاني قام من فراشهِ فاتبع الوضوء وصف في محرابهِ حتى يطلع الفجر. ووَقَّعَ الى عامل من عمَّالهِ. قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت. قال ابو بكر الصولي اول من وزر لبني العباس ابو سلمة الخلاّل ثم خالد بن برمك فلما تولى السفاح اقرهُ المنصور لديهِ. ثم استوزر ابا ايوب سلمان بن ابي ليلى سليمان الموریاعي ثم ولي ابو الفضل الربيع بن يونس بعد ابي ايوب. قال المؤمل بن اميل قدمت على المهدي وهو بالريّ وهو اذ ذاك ولي عهدٍ فامتدحتهُ بابياتٍ فأمر لي بعشرين الف درهم فكتب بذلك الى المنصور وهو بمدينة السلام يخبرهُ فكتب الى كاتب المهدي ان توجه اليَّ بالشاعر فطلبت فلم يقدر عليَّ وكتب الى ابي جعفر انهُ قد توجه الى مدينة السلام فاجلس المنصور قائدًا من قوَّادهِ على جسر النهروان وامرهُ ان يتصفح الناس رجلاً رجلاً فجعل لا يمرُّ بهِ قافلة الاَّ تصفح من فيها. حتى مرَّت بهِ القافلة التي فيها المؤمل بن اميل فتصفحهُ فلما سأَلهُ من انت قال انا المؤمل بن اميل المحاربي الشاعر احد زوَّار المهدي قال اياك طلبت. قال المؤمل فكاد قلبي ان ينصدع خوفًا من ابي جعفر فقبض عليَّ وسلمني الى الربيع فدخل على ابي جعفر وقال هذا الشاعر قد ظفرنا بهِ قال ادخلوهُ اليَّ فدخلت اليهِ فسلمت عليهِ تسليم مروَّع فردَّ السلام وقال ليس ها هنا

الا خيرًا أنت المؤمل بن أميل قلت نعم يا امير المؤمنين . قال اتيت غلامًا غرًّا فخدعته قلت نعم اصلح الله امير المؤمنين اتيت غلامًا غرًّا كريمًا فخدعته فانخدع قال فكأن ذلك اعجبه . فقال انشدني ما قلت فيه فانشدته

هو المهديُّ الاَّ انَّ فيهِ	مشابه صورة القمر المنيرِ
مشابه ذا وذا فهما اذا ما	انارا يشكلان على البصيرِ
فهذا في الظلام سراج ليلٍ	وهذا في النهار ضياء نورِ
ولكن فضَّل الرحمن هذا	على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا اميرٌ	وما ذا بالاميرِ ولا الوزيرِ
ونقص الشهر يخمد ذا وهذا	منيرٌ عند نقصان الشهورِ
فيا ابن خليفة اللهِ المصفَّى	بهِ تعلو مفاخرةُ الفخورِ
لئن فتَّ الملوك وقد توافوا	اليك من السهولة والوعورِ
لقد سبق الملوك ابوك حتى	بقوا ما بين كابٍ او حسيرِ
وجئت مصليًا تجري حثيثًا	وما بك حين تجري من فتورِ
فقال الناس ما هذان الاَّ	كما بين الفتيل من النقيرِ
فان سبق الكبير فاهل سبقٍ	له فضل الكبير على الصغيرِ
وان بلغ الصغير مدا كبيرٍ	فقد خلق الصغير من الكبيرِ

فقال له المنصور قد والله احسنت ولكن هذا لا يساوي عشرين الف درهم واين المال قلت ها هوذا فقال يا ربيع امضِ معهُ فاعطهِ الف درهم وخذ منهُ الباقي ففعل الربيع ما امرهُ المنصور. ثم ان المهدي ولي الخلافة بعد ذلك فولى ابن يونان المظالم فكان يجلس للناس بالرصافة فرفعت اليهِ قصةٌ فلما وصلت اليهِ قصتي ضحك فقال له ابن يونان اصلح الله امير المؤمنين ما رأيتك ضحكت من شيءٍ الاَّ من هذه القصة فقال نعم هذه رقعة اعرف قصتها . ردوا عليهِ عشرين الف درهم فردُّوها اليَّ فاخذتها وانصرفت . وفي هذه السنة توفي ربيعة بن ابي عبد الرحمن بن فروخ مولى آل المنكدر التيمي وهو الذي يقال له ربيعة الرأي ويكنى ابا عثمان وهو الذي سمع انس بن مالك والسائب بن زيد وعامة التابعين من اهل المدينة . روى عنهُ مالك والثوري وشعبة والليث بن سعد وغيرهم وكان عالمًا فقيهًا ثقةً . وقال يونس بن زيد رأيت ابا حنيفة عند ربيعة ومجهود ابي حنيفة ان يفهم ما يقولهُ ربيعة

ودخلت سنة سبع وثلاثين ومائة فيها قتل ابو مسلم الخراساني وجه المنصور اليهِ جرير بن يزيد

ابن جرير بن عبد الله وابو مسلم الخراساني واحد زمانه فخدعه ورده . قال جرير نزلت مع ابي مسلم بجسر النهروان فتغدينا فقال ابن امير المومنين فقلت بالمدائن قال في اي موضع قلت في صحراء قال فما اسم الموضع قلت رومية فاطرق ثم قال سر ولا حول ولا قوة الا بالله وضرب بسوطه معرفة فرسه وقال اذا كان كل مقدور كائن فاي شيء ينفع الحذر. قال جرير. وقد كان قبل ذلك قيل له تموت او تقتل برومية فظنها بلاد الروم. ثم قال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي بيدي . ثم جعل يخاطب نفسه ويقول . يا ابا مسلم فتح لك باب من المكائد في عدوك وصديقك ما لم يفتح لاحد بمثله حتى اذا دان لك من بالمشرق والمغرب خدعك عن نفسك من كان يهاب بالامس ان ينظر اليك . انا لله وانا اليه راجعون ثم تمثل

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الاقوام

فنزل وتلقاه الناس وانزلوه واكرموه . وكان ممن بعث اليه المنصور عيسى بن موسى فحلف له بعتق كل مملوك له وصدقة ما يملك وطلاق نسائه وقال له لو خير المنصور من موت ابنه وموتك لاختار موت ابنه فانه لايجد عنك خلفًا فاقبل معه فلما دخل ابو مسلم المدائن قال لعيسى بن موسى وهو يسايره ما مثلي ومثالك ومثل ابن عمك الا مثل ثلاثة نفر كانوا في سفر . فاتوا على عظام نخرة فقال احدهم عندي طب اذا رأيت عظامًا نخرة مفرقة الفتها فقال الثاني وانا اذا رأيت عظامًا موصولة كسوتها لحمًا. فقال الثالث وانا اذا رأيت عظامًا مكسوة لحمًا اجريت فيها الروح قال ففعلوا ذلك فاذا الذي احيوه اسد. فقال الاسد في نفسه ما احياني هولاء الا وهم على ان يميتوني اقدر. فوثب عليهم فاكلهم والله ليقتلني وليقتلن عمك وليخلصنك او ليقتلنك . قال اسحق الموصلي . لما عزم المنصور على ان يقتل ابا مسلم هاب ذلك عمه عيسى بن علي فكتب اليه

اذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فان فساد الرأي ان تتعجلا

فوقع المنصور في كتابه

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فان فساد الرأي ان تترددا

ولا تمهل الاعداء يومًا بقدرة وبادرهم ان يملكوا مثلها غدا

والشعر للمنصور. فلما دنا ابو مسلم من المدائن امر امير المومنين الناس فتلقوه . فدخل ابو ايوب على ابي جعفر فقال هذا الرجل يدخل لعشية فما تريد ان تصنع قال اريد ان اقتله حين انظر اليه فقال له ان دخل عليك ولم يخرج لم امن البلاء ولكن اذا دخل عليك فأذن له ان ينصرف فاذا غدا عليك رأيت رأيك . فلما دخل عليه سلم وقام قائمًا بين يديه فقال انصرف يا عبد الرحمن فارح نفسك فان السفر متلف فاغد علي فانصرف ثم ندم ابو جعفر فافترى على ابي ايوب وقال متى اقدر على

مثل هذه الحال ولا ادري ما يحدث في ليلتي فلما اصبحوا جاء ابو ايوب فقال لهُ ابو جعفر يا ابن اللخناء لا مرحبا بك انت منعتني منهُ امس والله ما غمضت الليلة ثم شتمهُ حتى حان ان يأمر بقتلهِ . ثم قال ادع لي عثمان بن نهيك فدعاهُ فقال يا عثمان كيف بلاء امير المومنين عندك فقال يا امير المومنين انما انا عبدك . والله لو امرتني ان اتكي على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت قال كيف انت ان امرتك بقتل ابي مسلم فوجم ساعةً لا يتكلم فقال لهُ ابو ايوب ما لك لا تتكلم فقال بصوتٍ ضعيف اقتلهُ قال انطلق فجئ باربعة من وجوه الحرس اقوياء فمضى فلما كان عند الرواق ناداهُ يا عثمان ارجع واجلس وارسل من تثق بهِ من الحرس فليحضر منهم اربعة فلما حضروا قال لهم ابو جعفر نحوًا مما قال لعثمان فقالوا نقتلهُ قال كونوا خلف الرواق فاذا صفقت فاخرجوا فاقتلوهُ . فارسل الى ابي مسلم رسلاً بعضهم اثر بعض فقالوا قد ركب الى عيسى بن موسى فدعى لهُ بالغداء ثم خرج الى ابي جعفر وابو نصر حاجبه بين يديهِ وحربتهُ معهُ فلما قرب من الباب خرج سلام الحاجب فقال انزل فدخل الدهليز فاغلق الباب دونهُ فقال ابو مسلم تدخل خاصة اصحابي فقال لهُ الربيع لم يؤمر بذلك فنزع السيف من وسطهِ فقال الآن عرف الرامي موضع سهمهِ . وهو مثل يُضرَب لِمَن مكَّنَ عدوَّهُ من نفسهِ . فلما بصر المنصور انحرف الى القبلة فخرَّ ساجدًا ثم دنا منهُ ليقبل اطرافهُ فقال لهُ وراءك يا ابن اللخناء . فنصب لهُ كرسي فقعد فقال لهُ ابو جعفر اخبرني عن نصلين اصبتهما في متاع عبدالله بن علي فقال هذا احدهما الذي عليَّ . قال أرنيهِ فانتضاهُ وناولهُ اياهُ فهزَّهُ ابو جعفر ثم وضعهُ تحت فراشهِ واقبل عليهِ يعاتبهُ فقال لهُ اخترناك وانت لا تدري اتيت ببضة الفقاث عن رأسك ولا من اي وكر نهضت . خامل بن خامل مُلَّ بن ملّ ذُلّ بن ذُلّ عشت ايام حداثتك وخير يوميك يوم تشتري فيهِ لعاصم بن أُويس ابزار قدرهِ ومكنسة دارهِ فرقّينا بك المنابر واوطئنا اعناق العرب والعجم عقبيك . اخبرني عن كتابك الى ابي العباس تنهاهُ عن احياء الموات . اردت ان تعلمنا الدين . قال ظننت اخذهُ لا يحلّ فكتب اليَّ فلما اتاني كتابه علمت ان امير المومنين واهل بيتهِ معدن العلم قال اخبرني عن تقدمك اياي في الطريق . قال كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمت التماس الرفق قال فقولك حين اتاك الخبر بموت ابي العباس لمن اشار عليك ان تنصرف اليَّ نقدم فنرى من رأينا ومضيت فلا انت اقمت حتى الحقك ولا انت رجعت اليَّ . قال منعني ما اخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت نقدم الكوفة . قال فجارية عبدالله بن علي اردت ان تتخذها قال لا ولكن خفت ان تضيع فحملتها في قبةٍ ووكلت بها من يحفظها . قال فمراغمتك وخروجك الى خراسان . قال خفت ان يكون قد دخلك مني شيء فقلت آتي خراسان فاكتب اليك بعذري اما قد ذهب ما في نفسك عليَّ . فقال تالله ما رأيت كاليوم قط والله ما زدتني الاَّ غيظًا . فقال أليس يقال لي هذا بعد بلائي

وما كان مني. قال يا ابن الخبيثة الخنيثة والله لو كانت امةٌ مكانك لاجزأت انما عملت ما عملت في دولتنا بريحنا ولو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلاً ألست الكاتب اليّ تبدأ بنفسك ألست الكاتب تخطب امينة بنت علي وتزعم انك ابن سليط بن عبدالله بن عبّاس. لقد ارتقيت لا امّ لك مرتقى صعباً واخذ يعتذر وابو جعفر يعاتبه الى ان قال ابو مسلم دع هذا فما اصبحت اخاف الاّ الله فغضب وشتمه وضربه بعود وصفق بيديه فخرجوا عليه فضربه عثمان فلم يصنع شيئاً ولم يزد على ان قطع حمائل سيفه وضربه آخر فقطع رجله فصاح المنصور اضربوا قطع الله ايديكم فقال ابو مسلم في اول ضربة استبقني لعدوك فقال واي عدوّ أعدى اليّ منك . فصاح العفو فقال المنصور يا ابن اللخناء والسيوف قد اعتورتك . ثم صاح اذبحوه فذبحوه . ودعا عيسى بن علي فقال له اين ابو مسلم فقال مندرج في الكفن فقال انا لله وانّا اليه راجعون وجعل عيسى بن علي يلطم ويقول أخنتني في ايماني واهلكتني فقال له عليّ لله كل شيء تخرجه ضعفة ويحك اسكت فما تمّ تسلطك ولا امرك الاّ اليوم ثم رمى به في دجلة وذلك لخمس بقينَ من شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة . فقال المنصور

زعمت ان الدين لا ينقضي   فاستوفِ بالكيل ابا مجرمِ
سقيتَ كأساً كنت تسقي بها   أمرّ في الحلق من العلقمِ

وكان ابو مسلم قد قتل في دولته وحروبه ستمائة الف

وروي عن ابن الزبير انه قال ولد ابو مسلم عبد الرحمن المروزي صاحب دعوة الدولة العباسية باصبهان وكان ابوهُ اوصى به الى عيسى بن موسى السرّاج فحمل الى الكوفة وهو ابن سبع سنين فقال له ابرهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس لما عزم على توجيهه الى خراسان غير اسمك فقال قد سمّيت نفسي عبد الرحمن فمضى وله ذؤابة وركب حماراً باكاف وهو ابن سبع عشرة سنة . فقال له خذ نفقةً من مالي لا اريد ان تمضي من مالك ولا من مال عيسى وكان شجاعاً ذا رأيٍ وعقلٍ وعزمٍ الاّ انه كان فتّاكاً . قام رجل الى ابي مسلم وهو يخطب فقال ما هذا السواد الذي عليك فقال حدثني ابن الزبير عن جابر بن عبدالله ان رسول الله (صلعم) دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وهذه ثياب الهيبة وثياب الثقلة يا غلام اضرب عنقه

وقال ابو مسلم . ارتديت الصبر وترديت الكتمان وخالفت الاحزان والاشجان وسامحت المقادير والاحكام حتى بلغت غاية همتي وادركت نهاية بغيتي وانشأ يقول

قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت   عنه الملوك بنو مروان اذ حشدوا
ما زلت اضربهم بالسيف فانتبهوا   من رقدةٍ لم ينمها قبلهم احدُ
طفقت اسعى عليهم في ديارهمِ   والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا

ومن رعى غنماً في ارض مسبعةٍ ونام عنها تولى رعيها الاسدُ

وظهر ابو مسلم لخمس بقين من رمضان سنة تسع وعشرين ومائة ثم سار الى ابي العباس امير المؤمنين سنة ست وثلاثين ومائة وقيل في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة في المدائن فبقي فيما كان فيه ثمانية وسبعين شهراً غير ثلاثة عشر يوماً

قال الشيخ الامام ابو الفرج الجزري نقلت من خط الشيخ ابي الوفاء بن عقيل قال وجدت في تعليق محقق من اهل العلم ان سبعة مات كل واحدٍ منهم وله ست وثلاثون سنة فتعجبت من قصر اعمارهم مع بلوغ كلٍّ منهم الغاية فيما كان فيه وانتهى اليه . فمنهم الاسكندر ذو القرنين وابو مسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة . وسيبويه صاحب التصانيف والمقدَّم في علم العربية . وابو تمَّام الطائي وما بلغ من الشعر وعلومه . وابرهيم النظَّام المعمّق في علم الكلام . وابن الراوندي وما انتهى اليه من التوغل في المخازي هاولاء السبعة لم يجاوز احدٌ منهم ستاً وثلاثين سنة بل اتفقوا على هذا القدر من العمر

ثم دخلت سنة احدى واربعين ومائة مات فيها سلمة بن دينار ابو حازم مولى بني اشجع كان اعرج عابداً زاهداً . يقصُّ بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة وكان ثقةً كثير الحديث عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك . وقال ابو حازم ان بضاعة الاخرة كاسدة فاستكثروا منها ايام كسادها فانه لو جاء يوم نفاقها لم يصل اليَّ منها قليلٌ ولا كثيرٌ . وبعث سليمان بن عبد الملك الى ابي حازم فجاء اليه فقال له يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم اخربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فانتم تكرهون ان تنقلوا من المعمّر الى الخراب . قال صدقت فكيف القدوم على الله . قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله . واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاهُ . فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لنا عند الله يا ابا حازم . فقال اعرض نفسك على كتاب الله عزَّ وجلَّ فانكَ تعلم ما لك عند الله . فقال يا ابا حازم واين أُصيب ذلك . قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجَّار لفي جحيم فقال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين

وفي سنة اربع واربعين ومائة مات عمرو بن عبيد وكان هذا عمرو يسكن البصرة ويجالس الحسن البصري ثم ازاله واصل بن عطاء عن مذهب الاشاعرة واعتزل اصحاب الحسن وقال بالقدر ودعا اليه وكان له سمتٌ واظهار زهدٍ . ودخل على المنصور فوعظه فقال له يا ابا عثمان عظني . فقال ان هذا الامر الذي اصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل اليك فاحذرك ليلةً تمخض بيومٍ لا ليلةَ بعدهُ وانشد

يا أيُّهذا الذي قد غرَّهُ الاملُ ودونما يأمل التنغيص والاجلُ

الا ترى انما الدنيا وزينتها — كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصدٌ وعيشها نكدٌ — وصفوها كدرٌ وملكها دولُ
تظلّ تفزع بالروعات ساكنها — فما يسوغ لهُ لينٌ ولا جذلُ
كانهُ للمنايا والردى غرضٌ — تظلّ فيه نياب الدهر تنتصلُ
يديرهُ ما ادارتهُ دوائرهـا — منها المصيب ومنها المخطئ الزللُ
والنفس هاربةٌ والموت يرصدها — وكل عثرة رجلٍ عندها جللُ
والمرء يسعى لما يسعى لوارثهِ — والقبر وارث ما يسعى لهُ الرجلُ

فبكى المنصور عند ذلك بكاء شديدًا

ودخلت سنة خمس واربعين ومائة وفيها خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وخروج اخيه ابرهيم بن عبد الله بعدهُ بالبصرة ومقتلها وحديثها طويل في ايام المنصور وكتب ابو جعفر المنصور اليهِ كتابًا نسختهُ. بسم الله الرحمن الرحيم من ابي جعفر الى محمد بن عبد الله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسولهُ ويسعون في الارض فسادًا ان يقتلوا الى قولهِ غفورٌ رحيم ولك عهد الله وميثاقهُ وذمة رسولهِ ان تبت ورجعت من قبل ان اقدر عليك ان أؤمنك وجميع ولدك واخوتك واهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم واسوغك ما اصبت من دمٍ ومالٍ واعطيك الف الف درهم وما سألت من الحوائج وانزلك من البلاد حيث شئت وان اطلق من في حبسي من اهل بيتك وان آمن كل من جاءك وبايعك او دخل في شيءٍ من امرك فان اردت ان تتوثق لنفسك فوجّه اليّ من احببت لياخذ لك مني الامان والميثاق بما تثق بهِ والسلام . فكتب اليهِ محمد بن عبد الله المهدي الي عبد الله ابن محمد. طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون الى قولهِ ما كانوا يحذرون وانا اعرض عليك من الامان ما عرضت عليّ فان الحق حقنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم لهُ بشيعتنا وان ابانا عليًا كان الامام فكيف ورثتم ولايتهُ وولدهُ احياء من النبي محمد (صلعم) ومن السلف اولهم اسلامًا علي بن ابي طالب ومن الازواج افضلهن خديجة واول من صلى القبلة من البنات خيرهن فاطمة ومن الولدين حسن وحسين سيدا شباب اهل الجنة وان هاشمًا ولد عليًا مرتين وان عبد المطلب ولد حسنًا مرتين وان رسول الله (صلعم) ولدني مرتين من قبل حسن وحسين واني اوسط بني هاشم نسبًا واصرحهم ابًا لم نعرف في العجم ولم ننازع في امهات الاولاد ولك الله ان دخلت في طاعتي ان أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل امرٍ احدثتهُ الا حدًا من حدود الله او حقًا لمسلمٍ او معاهدٍ وانا اولى بالامر منك واوفى بالعهد لانك اعطيتني من العهد والامان ما اعطيتهُ رجالاً قبلي فاي الامانات تعطيني امان ابن هبيرة ام امان عمك عبد الله بن علي ام امان ابي مسلم الخراساني

فكتب اليهِ ابو جعفر. اما بعد فقد فهمت كتابك فاذا جلُّ فخرك بقرابة النساء لتضل بهِ الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء ولقد بعث الله محمداً (صلعم) ولهُ عموم اربعة فانزل الله عزَّ وجلَّ وانذر عشيرتك الاقربين فانذرهم ودعاهم فاجاب اثنان احدهما ابي وابى اثنان احدهما ابوك فقطع الله ولايتهما منهُ . واما ما فخرت بهِ من علي فقد حضرت رسول الله الوفاة فامر غيرهُ فصلى وكان في الستة فدفعوهُ وقُتل وهولهُ متهم . وقاتلهُ طلحة والزبير. ثم كان حسن فباعها من معاوية بن ابي سفيان بخرق ودراهم فان كان لكم فيها شيءٌ فقد بعتموهُ واخذتم ثمنهُ ثم خرجتم على بني أُمية فقتلوكم وصلبوكم ونفوكم فطلبنا بثاركم واورثناكم ارضهم ولقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج وولاية زمزم ولقد قحط اهل مكة والمدينة فلم يتوسلوا الاَّ بابينا

وندب المنصور عيسى بن موسى لقتال محمد بن عبدالله بن الحسن فاقتتلوا فجاء رجلٌ فضرب محمد بالسيف دون شحمة اذنهِ اليمنى فبرك لركبتهِ وصاح حميد بن قحطبة لاتقتلوهُ فكفوا فجاء حميد فاحتزَّ رأسهُ وحديث هولاء الخلفاء على طلب الدنيا كثير عجيب نقتصر منهُ على القريب

وفي هذه السنة أُسست مدينة بغداد. وكان سبب ذلك ان ابا جعفر المنصور بنى حين افضى اليهِ الامر الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة بينهما عرض الطريق وكانت مدينة ابن هبيرة الى جنب الكوفة ولما بغداد فقال هذا موضع صالح وهذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيءٌ يأتينا فيها كل ما في البحر وتأتينا الميرة من الجزيرة وارمينية وما حول ذلك وهذه الفرات يجيء منها كل شيءٍ بالشام والرقة وضرب عسكرهُ على الصراة وخطَّ المدينة ووكل بكل ربعٍ قائداً . وذكر علماء الاوائل ان اقاليم الارض سبعةٌ وان الهند ثمنها فجعلت صفة الاقاليم كأَنها حلقة . فالاقليم الاول منها اقليم بلاد الهند والاقليم الثاني اقليم بلاد الحجاز والاقليم الثالث اقليم مصر والاقليم الرابع اقليم بابل وهو اوسط الاقاليم واعمرها وفيهِ جزيرة العرب وفيهِ العراق الذي هو سرَّة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم . والاقليم الخامس بلاد الروم والاقليم السادس بلاد الترك والاقليم السابع بلاد الصين فالاقليم الرابع الذي فيهِ العراق وفي العراق بغداد وهو صفوة الارض ووسطها لايلحق من فيهِ عيب شرف ولانقص ولذلك اعتدلت الوان اهلهِ وامتدت اجسامهم . سلموا من شقرة الروم والصقالبة ومن سواد الحبش وسائر اجناس السودان [illegible] ومن جفاء اهل الجبال وخراسان ومن دمامة اهل الصين ومن خساستهم واجتمعت في اهل هذا القسم من الارض محاسن جميع اهل الاقطار وكما اعتدلوا في الخلقة كذلك لطفوا في الفطنة وبالتمسك بالعلم والادب وهم اهل العراق ومن جاورهم من اوساط اهل الاقليم الرابع

كتب عمر بن الخطاب الى كعب الاحبار اختر لي المنازل فكتب يا امير المومنين انهُ بلغنا ان

الاشياء اجتمعت فقال السخاء اريد اليمن فقال حسن الخلق وانا معك . وقال الجفاء أريد الحجاز فقال الفقر انا معك . فقال البأس اريد الشام فقال السيف انا معك . فقال العلم اريد العراق فقال العقل انا معك . فقال الغنى اريد مصر فقال الذلّ انا معك: فاختر لنفسك منزلاً . فلمّا ورد الكتاب قال عمر فالعراق اذن فالعراق اذن

قال سليمان بن مجالد خرج المنصور يرتاد منزلاً فخرجنا على ساباط فتخلّف بعض اصحابي لرمد اصابه فاقام يعالج عينيه فسأله الطبيب ابن يريد امير المومنين قال يرتاد منزلاً قال فانّا نجد في كتاب عندنا ان رجلاً يدعى مقلاصاً يبني مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء فاذا اسسها وبنى غرفاً منها اتاهُ فتقٌ من الحجاز فقطع بناءها واقبل على اصلاح ذلك الفتق فاذا كاد يلتئم اتاه فتق من البصرة هو اكبر منه فلا يلبث الفتقان ان يلتئما ثم يعود الى بنائها فيتمّه ثم يعمّر عمرًا طويلاً ويبقى الملك في عقبه . قال سليمان كان امير المومنين باطراف الجبال في ارتياد منزل اذ قدم عليّ صاحبي فاخبرني الخبر فاخبرت به امير المومنين فدعا الرجل فحدّثه الحديث فكرّ راجعاً عوده على بدئه وقال انا والله ذلك لقد سميت مقلاصاً وانا صبيٌّ ثم انقطع عني . ثم شاور في ذلك فاتفق رأي القوم على بغداد وقيل له تجيئك الميرة من المغرب في الفرات وطرائف مصر والشام وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك الميرة من ارمينية وما اتصل بها من سامرا حتى يصل الى الزاب وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وانت بين انهار لا يصل عدوُّك الاّ على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القناطر لم يصل اليك عدوُّك وانت من دجلة والفرات لا يجيئك احدٌ من المشرق والمغرب الاّ احتاج الى العبور بدجلة والفرات خنادق مدينة امير المومنين . فوجه ان حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة فاحضروا وامر باختيار قوم من اهل الدين والعدالة والفقه والامانة والمعرفة والهندسة فكان من احضر الحجاج بن ارطاة وابو حنيفة النعمان بن ثابت وامر بخط المدينة وحفر الاساس وضرب اللبن وطبخ الآجرّ وكان اول ابتدائه في عملها في تاريخ سنة خمس واربعين ومائة واحب ان ينظر اليها فأمر لن تخطّ بالرماد واقبل يدخل من كل باب ويمرُّ في مطالّتها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد وامر بحفر الاساس على ذلك الرسم . قال ابن عباس فوضع اوّل لبنة بيده وقال بسم الله وبالله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال ابنوا على بركة الله تعالى . ولما احتاج المنصور في بنائه الى الانقاض قال لخالد بن برمك ما ترى في نقض بناء كسرى بالمدائن وحمل نقضه الى مدينتي هذه فقال لا ارى ذلك فقال ولِمَ قال لانه علمٌ من اعلام الاسلام يستدلُّ به الناظر اليه على انه لم يكن ليزال مثل اصحابه عنه بامر دنيا وانما هو بامر دين

فقال له ابيت الا الميل الى اصحابك العجم وامر ان ينقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر في مقدار ما يلزم للنقض والحمل فوجد ذلك اكثر من ثمن الجديد فرفع ذلك الى المنصور فدعا خالداً فاخبره وقال ما ترى قال كنت ارى ان لا تفعل فاما اذ فعلت فارى ان يهدم الان حتى يلحق بقواعده لئلا يقال انك عجزت عن هدمه فاعرض المنصور عن ذلك وامر ان لا يهدم

وقيل ان ابا جعفر المنصور لما امر بحفر الخندق وانشاء بناء الاساس أمر ان يجعل عرض السور من اسفله خمسين ذراعاً وقدر اعلاه عشرين ذراعاً. فلما بلغ البناء قامة اتاه خبر خروج محمد فقطع البناء وخرج الى الكوفة . فلما فرغ من حرب محمد رجع الى بغداد واختطها وجعلها مدورة. يقال لا يعرف في اقطار الارض مدينة مدورة سواها. و وضع الاساس في وقت اختاره له نوبخت المنجم . وهي مدينة ابي جعفر المنصور وهي ثلاثون وماثة جريب خنادقها وسورها ثلاثون جريباً وانفق عليها ثمانية عشر الف الف دينار وقال الخطيب رأيت في بعض الكتب ان المنصور انفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والابواب والاسواق الى ان فرغ من بنائها اربعين الف الف وثلاث مائة الف وثلاثة وثمانين درهماً وقال وكان ابو حنيفة يتولى القيام بضرب اللبن للمدينة وعدده حتى فرغ من استتمام البناء بحائط المدينة مما يلي الخندق وكان ابو حنيفة يعدّ اللبن بالقصب وهو اول من فعل ذلك فاستفاده الناس منه

وكان المنصور اراد ابا حنيفة على القضاء فامتنع فحلف لابدّ ان يتولى له . فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن ليخرج من يمينه فتولى ذلك

وقيل كان من كل باب من ابواب المدينة الى الباب الاخر ميل وفي كل ساف من اسواف البناء مائة الف لبنة واثنان وسبعون الف لبنة . فلما بني الثلث من السور رجع فصيّر في الساف مائة الف لبنة وخمسين الف لبنة فلما جاوز الثلثين رجع فصيّر في البناء مائة الف لبنة واربعين الف لبنة . وارتفاع السور خمسة وثلاثون ذراعاً وعرضه من اسفله نحواً من عشرين ذراعاً . وجعل لها اربعة ابواب فاذا جاء احدٌ من المغرب دخل من باب الشام فاذا جاء احدٌ من الاهواز و واسط والبصرة دخل من باب البصرة فاذا جاء احدٌ من المشرق دخل من باب خراسان ومن باب خراسان الى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع . وعلى كل ازج من ازاج هذه الابواب مجلس ودرجة وعليه قبة عظيمة وعليها تمثال تديره الريح وعلى كل باب باب حديد ونقل الابواب من واسط وهي ابواب الحجاج نقلها من مدينة بناها سليمان بن داود عليه السلام وكان على ابواب المدينة مما يلي البرجات ستور وحجاب وعلى كل باب قبيل فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف وعلى باب البصرة ابو

الازهر التميمي في الفـ وعلى باب الكوفة خالد العلي في الفـ وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيف الغساني في الف وجعل بين كل بابين ثمانية وعشرين برجاً الا بين باب البصرة وباب الكوفة فانه يزيد واحداً وعمل عليها الخنادق وجعل لها سورين وفصلين وكان لا يدخل احدٌ من عمومة المنصور ولا غيرهم من هذه الابواب الا راجلاً الا داوُد بن علي عمه فانه كان منقرساً وكان يحمل في محفة هو والمهدي ثم بنى القصر والجامع وكانت مساحة قصره اربعمائة ذراع ومساحة مسجد الجامع الاول مائتين في مائتين

قال التنوخي سمعت جماعةً من مشايخنا يذكرون القبة الخضراء كان على رأسها صنم على صورة فارس في يدهِ رمح . فكان السلطان اذا رأى ذلك الصنم قد استوى قبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها علم انَّ بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة . وكان ذرع بغداد من الجانبين ثلاثة وخمسون الف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً منها الجانب الشرقي ستة وعشرون الف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً والغربي سبعة وعشرون الف جريب . وكان عدد الحمَّامات في ذلك الوقت ببغداد ستين الف حمَّام واقل ما يكون في كل حمَّام خمسة نفر حمَّامي وقيِّم وزبَّال ووقَّاد وسقَّاء يكون ذلك ثلاثمائة الف رَجل وذكران يكون بازاء كل حمَّام خمسة مساجد يكون ذلك ثلاثمائة الف مسجد وتقدير ذلك ان اقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان

قال ابو الوليد قال لي شعبةُ أدخلت بغداد قلت لا قال فكأنك لم ترَ الدنيا

قال محمد الهمذاني في بغداد

فدًى لكِ يا بغداد كلُّ مدينةٍ … من الارض حتى خطَّتي وبلاديا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها … وسيرت خيلي بينها وركابيا
فلم ارَ فيها مثل بغداد منزلاً … ولم ارَ فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليهـا ارقَّ شمائلاً … واعذب الفاظاً واحلى معانيـا
وكم قائلٍ لو كان ودُّك صادقاً … لبغداد لم ترحل فكان جوابيا
نقيم الرجال الموسرون بارضهم … وترمي النوى بالمقترين المراميا

. وقال محمد بن حبيب كتب اليَّ اخي من البصرة وانا ببغداد

طيب الهواء ببغداد يصرفني … قدماً اليها وان عاقت مقاديرُ
وكيف صبري عنها الآن اذ جمعت … طيب الهوائين ممدودٌ ومقصورُ

ولما دخلت سنة ست واربعين ومائة فيها كان استتمام المنصور بغداد

ولما دخلت سنة سبع واربعين ومائة فيها قيل ان الكواكب تناثرت تناثراً كثيراً . وفيها غارت الترك على المسلمين في ناحية ارمينية وسبت منهم ومن اهل المدينة خلقاً كثيراً ودخل تفليس كبير الترك وقتلهم حرب بن عبد الله الذي تنسب اليه الحربية ببغداد وكان حرب مقيماً بالموصل في الفين من الجند لمكان الخوارج من الجزيرة . ووجه ابو جعفر المنصور اليهم جبرئيل بن يحيى وكتب الى حرب بالمسير معه فسار معه وقتل وانهزم جبرئيل . وفيها كان مهلك عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس حُبس في بيتٍ وجعل اساسه من ملح وارسل عليه الماء فسقط عليه فمات . وفيها خلع المنصور عيسى ابن موسى وبايع لولده المهدي فجعله ولي عهده . وفيها ضرب الامام مالك بن انس ضربه سليمان ابن جعفر بن سليمان بن علي سبعين سوطاً . والسبب في ضربه انهم سألوه عن مبايعة محمد بن عبد الله بن حسين بن حسن وقالوا ان في اعناقنا بيعة ابي جعفر فقال انما بايعتم مكرهين وليس على المكرهين يمين . فاسرع الناس الى محمد فلذلك ضرب

وفي هذه السنة حجّ المنصور بالناس وقبض على جعفر بن محمد الصادق بالمدينة . قال الربيع قال لي ابو جعفر ابعث الى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً قتلني الله ان لم اقتله . فتغافل عنه الربيع لينساه ثم اعاد ذكره للربيع وقال ابعث اليه من يأتي به متعباً فتغافل عنه ثم ارسل الى الربيع برسالة قبيحة فلما اتاه الرسول قال يا ابا عبد الله اذكر الله فانه قد ارسل اليك التي لا شعرى لها . قال جعفر لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم أعلم ابو جعفر حضوره فلما دخل اوعده وقال اي عدوّ الله اتخذك اهل العراق اماماً يجبون اليك زكوة اموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل قتلني الله ان لم اقتلك فقال يا امير المؤمنين ان سليمان أعطي فشكر وان ايوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك النسج فقال له ابو جعفر اليّ وعندي ابا عبد الله البريّ الساحد السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحمٍ افضل ما جزى ذوي الارحام عن ارحامهم ثم تناول يده واجلسه معه على فرشه ثم قال عليّ بالحقة فاتي بدهين فيه غالية فعلفه بيده حتى جعلت لحيته قاطرةً ثم قال في حفظ الله وكلائته . ثم قال يا ربيع الحق اباعبد الله جائزته وكسوته . انصرف يا ابا عبد الله في حفظ الله وفي كنفه فانصرف ولحقته فقلت له اني رأيت قبل ذلك ما لم تره ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت . فما قلت حين دخلت . قال قلت اللهمّ احرسني بعينك التي لا تنام واكفني بركنك الذي لا يرام . وارحمني بقدرتك . عليّ لا اهلك وانت رجائي . اللهمّ انك لاكبر واجلّ مما اخاف واحذر اللهمّ بك ادفع في نحره واستعيذ بك من شره

وقال المنصور لابن عباس المتنوف وكان له انبساط على المنصور على طريق المزاح . نعرف ثلاثة اول اسمائهم عين قتلوا ثلاثة اول اسمائهم عين . قال نعم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله قتل علي

ابن ابي طالب وعبد الملك بن مروان قتل عبدالله بن الزبير ووقع البيت على عمك عبدالله وقال انعرفون عين بن عين بن عين بن عين قتل ميم بن ميم بن ميم بن ميم قالوا نعم عمك عبدالله بن علي ابن عبدالله بن عباس قتل مروان بن محمد بن مروان

ولما دخلت سنة ثمان واربعين ومائة فيهاما مات جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وكان عالمًا زاهدًا عابدًا اسند عن ابيه وعن عطاء وعكرمة قال الهيثم حدثني بعض اصحاب جعفر الصادق قال دخلت على جعفر وموسى ابنهُ بين يديهِ وهو يوصيهُ فكان ممَّا حفظتهُ منها انهُ قال يا بُنيَّ اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان حفظتها تعش سعيدًا وتمُت حميدًا . يا بُنيَّ انهُ من قنع بما لهُ استغنى ومن مدَّ عينيهِ الى ما في يد غيرهِ مات فقيرًا ومن لم يرضَ بما قسم الله لهُ اتهم الله تعالى في قضائهِ ومن استصغر زلَّة نفسهِ استعظم زلَّة غيرهِ ومن استصغر زلَّة غيرهِ استعظم زلَّة نفسهِ . يا بُنيَّ من كشف حجاب جارهِ انكشفت عورات بيتهِ ومن سلَّ سيف البغي قُتل بهِ ومن احتفر لاخيهِ بئرًا القاهُ الله فيها . ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر . ومن دخل مداخل السوء أُتهم . يا بُنيَّ اذا طلبت الجود فعليك بباب الله . يا بنيَّ قُل الحق لك او عليك . وإياك والنميمة فانها تزرع في الرجال الشحناء

وفيها مات سليمان بن مهران ويكنَّى ابا محمد الاعمش مولى كاهل من طبرستان في قرية يقال لها دناوند ولُدَ يوم قتل الحسين بن علي يوم عاشوراء سنة احدى وستين وسكن الكوفة ورأى انس بن مالك ولم يسمع منهُ وكان من اقراء الناس للقرآن واعرفهم بالفرائض واحفظهم للحديث وافقههم

قال عيسى بن يوسف لم نرَ نحن ولا القرون الذين كانوا من قبلنا مثل الاعمش وما رأيت الاغنياء والسلاطين عند احد احقر منهم عند الاعمش مع فقرهِ وحاجتهِ

وقال اسمعيل بن زياد نشزت على الاعمش امرأتهُ وكان يأتيهِ رجل يقال لهُ ابو البلاد مكفوف فصيح يتكلم بالاعراب وبطلب الحديث فقال لهُ يا ابا البلاد امرأتي قد نشزت عليَّ وضيعت بيتي وغمتني فانا احب ان تدخل عليها فتخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم فدخل عليها فقال يا هنتاه ان الله قد احسن قسمك هذا شيخنا وسيدنا وعنهُ ناخذ اصل ديننا وحلالنا وحرامنا لا يغرَّنك عمش عينيه ولا خموشة ساقيه . فغضب الاعمش وقال يا اعمى يا خبيث اعمى الله قلبك هنا تذكرها بعيوبي اخرج من بيتي فخرج

قال الحسن بن يحيى حدَّثتني امي قالت لم يكن بالكوفة امرأة اجمل من امرأة الاعمش فابتليت بالاعمش وقبح وجههِ وسوء خلقهِ توفي في ربيع الاول سنة تسع واربعين ومائة

وفيها مات محمد بن عجلان مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة ويكنَّى ابا عبدالله وكان ثقة كثير الحديث توفي بالمدينة قال صفوان بن عيسى مكث محمد بن عجلان في بطن امهِ ثلاث سنين فشقَّ

بطن امهِ فاخرج وقد نبتت اسنانهُ

ثم دخلت سنة خمسين ومائة . فيها مات النعمان بن ثابت ابو حنيفة التيمي امام اصحاب الرأي . ولد في سنة ثمانين ورأى انس بن مالك وسمع من عطاء بن ابي رباح وابي اسحق السبيعي ومحارب بن دثار وحماد بن ابي سليمان ومحمد بن المنكدر ونافع مولى بن عمر وهشام بن عروة وغيرهم وروى عنهُ هشيم وابن المبارك ووكيع ويزيد بن هرون وغيرهم وكان ربعةً من الرجال تعلوهُ حمرة . حسن الثياب كثير التعطر كريمًا . وكان اول امرهِ يبيع الخزّ ثم تشاغل بالعلم

عن ابي يوسف . قال ابو حنيفة لما اردت ان اطلب العلم جعلت اتخير العلوم واسأَل عن عواقبها فقيل لي تعلَّم القرآن فقلت اذا تعلمت القرآن وحفظتهُ فما يكون اخر امري قالوا تجلس في المسجد ويقرأ عليك الصبيان والاحداث ثم لا يلبث ان يخرج فيهم من هو احفظ منك ويساويك في الحفظ . فتذهب رئاستك . قلت فان سمعت الحديث وكتبتهُ حتى لم يكن في الدنيا احفظ مني قالوا اذا كبرت وحدّثت وقد ضعفت اجتمع عليك الصبيان والاحداث ثم لا تأمن ان تغلط فيرموك بالكذب فيصير عارًا عليك في عقبك فقلت لا حاجةً لي في ذلك . ثم قلت اتعلَّم النحو فاذا حفظت النحو والعربية ما يكون آخر امري قالوا تقعد معلمًا فاكثر رزقك دينار الى الثلاثة قلت وهذا لا عاقبة لهُ. قلت فان نظرت في الشعر فلم يكن احدٌ اشعر مني ما يكون من امري قالوا تمدح هذا فيهب لك ويحملك على دابةٍ ويخلع عليك وان حرمك هجوتهُ فصرت تقذف المحصنات . قلت لا حاجة لي في هذا قلت فان نظرت في الكلام قالوا لا تسلم من نظرٍ في الكلام ومشنعات الكلام فترمى بالزندقة فامّا ان تؤخذ فتقتل واما ان تسلم فتكون مذمومًا ملومًا . قلت فان تعلمت الفقه قالوا تُسأل وتفتي الناس وتطلب القضاء وان كنت شابًا . قلت ليس في العلوم انفع من هذا فلزمت الفقه وتعلمتهُ

قال وكان ابو يوسف مريضًا شديد المرض فعاده ابو حنيفة مرارًا فصار اليهِ آخر مرة فرآهُ ثقيلاً فاسترجع ثم قال كنت آملك بعدي للمسلمين ولو اصيب الناس بك ليموتنَّ معك علمٌ كثيرٌ ثم رزقهُ الله العافية واخبر بقول ابي حنيفة فيهِ فارتفعت نفسهُ وانصرفت وجوه الناس اليهِ فعقد لنفسهِ مجلسًا في الفقه وقصّر عن لزوم مجلس ابي حنيفة فسأل عنهُ فأُخبر انهُ قد عقد لنفسهِ مجلسًا وانهُ بلغهُ كلامك فيهِ فدعا ابو حنيفة رجلاً كان لهُ عندهُ قدر فقال صِر الى مجلس يعقوب فقل لهُ ما تقول في رجلٍ دفع الى قصّارٍ ثوبًا ليقصرهُ بدرهمٍ فصار اليهِ بعد ايام في طلب الثوب فقال مالك عندي شيءٌ ثم ان رب الثوب رجع اليهِ فدفع اليهِ الثوب مقصورًا أَلهُ اجرةٌ . فان قال لهُ اجرة فقل اخطأت وكذا ان قال لا اجرة لهُ . ففعل فقام ابو يوسف من ساعتهِ فاتى ابا حنيفة فقال لهُ ما جاء بك الاَّ مسأَلة القصّار قال اجل . قال سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلسًا يتكلم ويفتي في دين الله

هذا قدره لا يحسن يجيب في مسألة من الاجارات فقال يا ابا حنيفة علمني فقال ان قصره بعد غصبه فلا اجرة له لانه قصره لنفسه . وان كان قصره قبل ان يغصبه فله الاجرة لانه قصره لصاحبه . ثم قال من ظن ان الله يستغني عن العلم فليبك على نفسه واخبار ابي حنيفة واحاديثه في الفقه ومجاوباته كثيرة ما هذا موضع استقصائها في هذا المختصر نفع الله به

ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائة فيها ابتدأ المنصور ببناء الرصافة في الجانب الشرقي من مدينة السلام لابنه المهدي وعمل لها سورًا وخندقًا وميدانًا وبستانًا واجرى لها الماء . قال الخطيب وقيل ان الدروب والسكك ببغداد حصيت فكانت ستة الاف درب وسكة بالجانب الغربي واربعة الاف درب وسكة بالجانب الشرقي وفيها جدد المنصور البيعة لنفسه ولابنه المهدي من بعده

قال مروان بن ابي حفصة . قال طلب المنصور معن بن زائدة الشيباني طلبًا شديدًا وجعل فيه مالاً . قال فحدثني معن باليمن انه اضطر لشدة الطلب حتى قام في الشمس حتى لوحت وجهه وخفف عارضيه ولحيته ولبس جبة صوف غليظة وركب جملاً من الجمال النقالة وخرج ليمضي الى البادية وقد كان ابلى في حرب بين يدي عمر بن هبيرة بلاء حسنًا فغاظ المنصور وجد في طلبه . قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني اسود متقلدًا سيفًا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل وانا خه وقبض علي فقلت مالك قال انت طلبة امير المومنين فقلت ومن انا حتى يطلبني امير المومنين قال انت معن بن زائدة فقلت اتق الله واين انا من معن بن زائدة فقال دع ذا عنك فانا والله اعرف بك من ذلك فقلت له ان كان كما تقول فهذا جوهر حملته معي باضعاف ما بذل المنصور لمن جاءه بي فخذه ولا تسفك دمي قال هاته فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى اسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك . قلت قل . قال فان الناس قد وصفوك بالجود فاخبرني هل وهبت قط مالك كله قلت لا . قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر قال فاستحييت فقلت اظن اني قد فعلت هذا قال ما اراك قد فعلته انا والله رجل راجل رزقي مع ابي جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الاف دنانير فقد وهبته لك ووهبتك نفسك لجودك المأثور بين الناس وليحتقر بهذا كل شيء تعمله ولا تتوقف في مكرمة ثم رمى بالعقد في حجري وخلى خطام الجمل وانصرف فقلت يا هذا والله فضحتني ولسفك دمي اهون علي مما فعلته فخذ ما دفعته اليك فاني عنه غني فضحك وقال اردت ان تكذبني في مقامي هذا والله لا اخذه ولا اخذ لمعروف ثمنًا ابدًا ما عشت ومضى فوالله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبرًا

ثم دخلت سنة اثنين وخمسين ومائة وفيها مات معن بن زائدة بن عبدالله بن مضر بن شريك

ابو الوليد الشيباني وكان من اصحاب المنصور ببغداد لما بنيت ثم ولاهُ اليمن وغيرها وكان جواداً

عن عثمان بن ابرهيم . ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقارب في خطوته فقال ابو جعفر كبرت سنك يا معن . قال في طاعتك يا امير المومنين. قال انك لجليد . قال على اعدائك يا امير المومنين قال وان فيك بقية . قال هي لك

قال سعيد بن اسلم لما ولى المنصور معن بن زائدة اذربيجان قصدهُ قومٌ من اهل الكوفة فلما صاروا ببابهِ واستأذنوا عليهِ فدخل الآذن فقال اصلح الله الامير بالباب وفدٌ من اهل العراق قال من اي العراق قال من الكوفة . قال ائذن لهم فدخلوا عليهِ . فنظر اليهم معن في هيئةٍ زرية وهو على اريكتهِ فانشأ يقول

إذا نوبةٌ نابت صديقك فاغتنم مرمّتها فالدهر بالناس قُلّبُ
فاحسن ثوبيك الذي هو لابسٌ وافره مهريك الذي هو يركبُ
وبادر بمعروفٍ اذا كنت قادرًا زوال اقتدار او غنًى عنك يعقبُ

قال فوثب اليهِ رجلٌ من القوم فقال اصلح الله الامير ألا انشدك احسن من هذا قال لِمَن قال لابن عمك ابن هرمة قال هات فانشد

وللنفس تاراتٌ بها يحل العدى وتسخو عن المال النفوس الشحائحُ
اذا المرء لم ينفعك حيًّا فنفعهُ اقلُّ اذا ضمت عليهِ الصفائحُ
لاية حالٍ يمنع المرء مالهُ غدا فغدا والموت غادٍ ورائحُ

فقال معن احسنت وان كان الشعر لغيرك يا غلام اعطهم اربعة الآف يستعينون بها على امورهم الى ان يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام يا سيدي اجعلها دنانيرًا او دراهم فقال معن والله لا تكون همتك اعلى من همتي صفرها لهم

قال العتبي لما قدم معن بن زائدة بغداد فاتاهُ الناس واتاهُ مروان بن ابي حفصة . فاذا المجلس غاص باهلهِ فاخذ بعضادتي الباب وقال

وما احجم الاعداء عنك تقيةً عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
لهُ راحتان الجود والحتف فيهما ابى الله الّا ان تضرّ وتنفعا

فقال معن احتكم يا ابا السمط فقال عشرة الاف قال معن ربحت عليك تسعين الفًا

قال ابو عبيدة اقام شاعر بباب معن بن زائدة حولاً لا يصل اليهِ وكان معن شديد الحجاب فلما طال مقامهُ سأل الحاجب ان يوصل لهُ رقعةً فاوصلها فاذا فيها

اذا كان الجواد لهُ حجابٌ فما فضلُ الجوادِ على البخيلِ

فالقى معن الرقعة الى كتابه وقال لهم اجيبوهُ عن بيته فخلّطوا واكثروا ولم يأتوا بمعنى . فاخذ الرقعة وكتب فيها

اذا كان الجواد قليل مالٍ   ولم ينفع تعلّل بالحجابِ

فقال الشاعر انا لله لا ابوء بشيء من معروفه . ثم ارتحل منصرفاً فسال معن عنه فاخبر بانصرافه فاتبعه بعشرة الاف وقال هي عندنا كل زورةٍ

قال سليمان خرج المهدي يوماً يتصيد فلقيهُ الحسين بن مطير فانشده

أضحت يمينك من جودٍ مصوّرةً   لكن يمينك منها صورة الجودِ

من حسن وجهك تضحي الارض مشرقةً   ومن بنانك يجري الماء في العودِ

فقال المهدي كذبت يافاسق وهل تركت في شعرٍ موضعاً لاحدٍ مع قولك في معن بن زائدة

ألمّا بمعنٍ ثم قولا لقبرهِ   سقتكَ الغوادي مربعاً ثم مربعا

فيا قبر معنٍ كنت اول حفرةٍ   من الارض خطت للمكارم مضجعا

ايا قبر معنٍ كيف واريت جودهُ   وقد كان منهُ البر والبحر مترعا

ولكن حويت الجود والجود ميتٌ   ولو كان حيًّا ضقتَ حتى تُصدعا

وما كان الّا الجود صوّر وجههُ   فعاش ربيعاً ثم ولّى مودعـــا

فلما مضى معن مضى الجود والندى   واصبح عرنين المكارم اجدعا

فاطرق الحسين ثم قال يا امير المومنين وهل معن الّا حسنةٌ من حسناتك فرضي عنهُ وامر له بالفي دينار

وبلغنا ان بعض فصحاء العرب دخل على معن فقال اصلح الله الامير لو شئت ان اتوسل اليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلاً عليك ولكن استشفعت بقدرك واستعنت عليك بفضلك فان اردت ان تضعني من كرمك حيث وضعت نفسي من رجلك فاني لم اكرم نفسي عن مسألتك فاكرم وجهك عن ردّي . فقال اسأل حاجتك قال الف درهم قال ربحت عليك ربحاً بيناً قال مثلك لا يربح على سائلهِ قال اضعفوا لهُ ما سأل

وقتل معن بن زائدة بارض خراسان سنة اثنتين وخمسين ومائة قال الخطيب بلغني ان المنصور ولّاهُ سجستان فنزل يشب فأساء السيرة في اهلها فقتلوهُ وقيل قتلهُ الخوارج في سجستان

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة فيها اخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلامة

كنا نرجّي من امامٍ زيادةً   فزاد الامام المصطفى في القلانسِ

تراها على هام الرجال كأنها دناني يهودٍ جلّلت بالبرانس

ثم دخلت سنة اربع وخمسين ومائة فيها مات اشعب الطامع ويقال ان اسمهُ شعيب واسم ابيهِ جبير. وُلد أشعب سنة تسع من الهجرة وكان خال الاصمعي وقيل خال الواقدي وكانت كنيتهُ ابا العلاء وعمّر عمرًا طويلاً وكان قد ادرك زمن عثمان بن عفان وقرأ القرآن وتنسك . ولهُ اخبار ظريفة ونوادر حسنة

منها انْ اسلمتهُ فاطمة بنت الحسين في البزّازين فقيل لهُ اين بلغت في معرفة البزّ فقال أُحسن النشر ولا احسن الطوي وارجو ان اتعلّم الطي

ومرّ برجل يتخذ طبقًا فقال لهُ اجعلهُ واسعًا لعلهم يهدون لنا فيهِ شيئًا

وقال اشعب ما خرجتُ في جنازةٍ قط فرأيت اثنين يتشاوران الاّ ظننت ان الميت قد اوصى اليَّ بشيءٍ

وقال سليمان الشاذكوني كان لي بنيّ في المكتب فانصرف اليَّ يومًا فقال يا أبهِ الا احدثك بظريف قلت هات . قال كنت اقرأُ على المعلم . انَّ ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا . واشعب الطامع عندهُ جالس فلبس نعلهُ وقال امش بين يديّ فقلت انما اقرأُ عشري . فقال عجبت ان تفلح او يفلح ابوك

واودعت امرأةٌ عند شعب دينارًا فقال لها ضعيهِ تحت الحصير ففعلت وجاءت في الغد تطلب الدينار فقال لها هو تحت الحصير فرفعت الحصير فرأت الى جانب الدينار درهمًا فقالت ما هذا الدرهم فقال لها وَلدَ . فاخذت الدرهم وتركت الدينار . ثم جاءت من الغد تطلب الدينار فقال خذيهِ حيث وضعتيهِ فرفعت الحصير فرأت الى جانبهِ درهمًا فقالت الى جانبهِ درهم فقال وَلد فاخذتهُ ثم جاءت في اليوم الثالث فلم تجد شيئًا فقالت لم ارَ هنا شيئًا قال مات في النفاس

وفيها مات سليمان بن ابي المورياني مولى بني سليم كان قديمًا مع ابن هبيرة ثم استكتبهُ المنصور

وفيها مات محمد بن عمر بن ابرهيم بن طلحة بن عبدالله التيمي المدني وكان يكنى ابا سليمان وُلي القضاء بالمدينة لبني أُمية ثم ولاّهُ ذلك المنصور وكان مهيبًا قليل الحديث ومات بالمدينة وهو على القضاء فبلغ موتهُ المنصور فقال اليوم استوبأت قريش

قال نمير المديني قدم علينا المنصور المدينة ومحمد بن عمر بن الطلحي في قضائهِ وانا كاتبهُ فاستعدى الجمّالون على امير المؤمنين في شيء ذكروهُ . قال فأمر نمير المديني ان اكتب الى امير المؤمنين كتابًا بالحضور معهم وانصافهم فقلت تعفيني من هذا فانهُ يعرف خطي فقال اكتب فكتبتهُ ثم ختمهُ فقال لا يمضي بهِ احدٌ والله غيرك فمضيت بهِ الى الربيع وجعلت اعتذر اليهِ فقال لا تفعل فدخل

عليه بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه اهل المدينة والاشراف وغيرهم ان امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم اني قد دُعيت الى مجلس الحكم فلا اعلمنّ احدًا قام اليّ اذا خرجت او بدأني بالسلام الاّ فتكت به ثم خرج والمسيب بين يديه والربيع وانا خلفه في ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه احدٌ ثم مضى حتى بدأ بالقبر فسلم على رسول الله ثم التفت الى الربيع فقال يا ربيع ويحك اخشى ان رآني محمد بن عمر بن الطلحي ان يدخل قلبه هيبة فيتحوّل عن مجلسه وبالله لئن فعل لا يولى لي على ولاية ابدًا قال فلما رآه وكان متكئًا اطلق رداءه على عاتقه ثم احتبى به ودعا الخصوم والحمالين ودعا امير المؤمنين ثم ادّعوا وحكم عليه لهم فلما دخل الدار قال للربيع اذهب فاذا قام وخرج من عنده الخصوم فادعهُ فقال يا امير المؤمنين ما دعا بك حتى فرغ من امور الناس جميعًا فلما دخل عليه سلم فقال المنصور جزاك الله عن دينك ونبيك وعن حسبك وعن خليفتك احسن الجزاء قد امرت لك بعشرة الاف دينار فاقبضها . فكانت عامة اموال محمد بن عمر بن الطلحي من تلك الصلة

وفيها مات ابو عمرو بن العلاء القارئ قيل اسمه ريان وقيل سفيان والصحيح ان اسمه كنيته وكان ابو العلاء طرّاز الحجاج وجده عمار حامل راية علي بن ابي طالب يوم صفين ومولدهُ في سنة سبعين في ايام عبد الملك بن مروان ونشأ بالبصرة وقرأ على مجاهد وسعيد بن جبير ويحيى بن معمر وابن كثير وكان مقدمًا في زهده وعالمًا بالقراءة عارفًا بوجهها اعلم الناس بامور العرب مع صدق وصحة سماع وكانت عامةّ اخباره عن اعراب قد ادركوا الجاهلية . توفي بالكوفة وهو ابن اربع وثمانين سنة

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة فيها خندق ابو جعفر المنصور على الكوفة والبصرة وضرب عليها سورًا وجعل ما انفق على ذلك من اموال اهل المكان

قال ابن جرير ولما اراد المنصور بناء سور الكوفة وحفر خندقها امر بقسمة خمس الدراهم على اهل الكوفة اي اعطاء كل واحد خمسة دراهم واراد بذلك علم عددهم فلما عرف عددهم امر بجبايتهم اربعين درهمًا من كل انسان فجبوا ثم امر بانفاق ذلك على سور الكوفة وحفر الخندق فقال شاعرهم

يا لقومي ما لقينا — من امير المؤمنينا

قسم الخمسة فينا — وجبانا اربعينا

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة وفيها مات حمزة بن عمارة الزيات وكان صاحب قرآن وفرائض صدوقًا ثقةً وقد اسند عن الاعمش وفي سنة ثمان وخمسين ومائة روى الجاحظ عن ثمامة قال كان اصحابنا يقولون لم يكن يرى لجليس خالد بن برمك دارًا الاّ خالد قد بناها ولا ضيعة الاّ وهو قد اشتراها ولا ولدًا الاّ وهو اشترى امهُ ان كانت امةً وامهرها ان كانت حرّةً ولا دابةً الاّ وهي

من دوابهِ . وكان خالد البرمكي اول من سمّى اهل الاستماحة والاسترفاد الزوّار فقال بعض من قصدهُ

حذا خالدُ في جودهِ حذو برمكٍ فمجدٌ لهُ مستطرفٌ واثيلُ
وكانوا بنو الاعدام يدعون قبلهُ بلفظٍ على الاعدام فيهِ دليلُ
يسمون بالسؤَّال في كل موطنٍ وان كان فيهم نابهٌ وجليلُ
فسماهم الـزوّار ستراً عليهم واستارهُ في الجيد بن سدولُ

وفي هذه السنة نزل المنصور قصرهُ الذي يعرف بالخلد على دجلة وانما سمي الخلد تشبيهاً له بجنة الخلد وكان موضعهُ وراء باب خراسان . وقد اندرس الان فلا عينٌ ولا اثرُ

قال علي بن ابي مريم . مررت بسويقة عبد الوهاب وقد خربت منازلها وعلى جدارٍ منها مكتوبٌ

هذي منازل قومٍ قد عهدتهمُ في رغد عيشٍ رغيبٍ ما لهُ خطرُ
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا الى القبور فلا عينٌ ولا اثرُ

وفي سنة تسع وخمسين ومائة حجّ المنصور ابو جعفر فلما صار الى بئر ميمون لقيهُ محمد بن ابرهيم فأمر بدوابهِ فضرب وجهها فكان يسير ناحيةً وعدل بابي جعفر عن الطريق في الشق الايسر وأُنيخ بهِ ومحمد بن ابرهيم واقف قبالتهُ ومعهُ طبيبٌ لهُ فلما ركب ابو جعفر وسار وعديلهُ الربيع امر محمد الطبيب فمضى الى موضع مناخ ابي جعفر فرأى نجوهُ فقال لمحمد رأيت نجو رجُلٍ لا تطول بهِ الحياة . فلما دخل مكة لم يلبث ان مات . وكان المهدي معهُ وهو يوصيه بالمال والسلطان يفعل ذلك كل يوم من ايام مقامهِ لا يفتر وقال لهُ اني سائر واني غير راجع فانَّا لله وانَّا اليهِ راجعون فاسأل بركة ما اقدم عليهِ وهذا كتاب وصيتي مختوماً فاذا بلغك اني قد مت فانظر فيهِ وعليَّ دين احب ان توفيهُ وهو ثلاثمائة الف ونيف ولست استحلها من بيت مال المسلمين فاضمنها عني واني ولدت في ذي الحجة ووُليت في ذي الحجة من هذه السنة وهذا الذي حداني على الحج فاتقِ الله واياك والدم الحرام وافتتح عملك بصلةِ الارحام واياك والتبزير. فلما كان في اليوم الذي اراد ان يرتحل فيهِ دعى المهدي فقال لهُ اني لم ادع شيئاً الاَّ تقدمت اليك فيهِ وسأوصيك بخصالٍ والله ما اظنك تفعل واحدة منها وكان لهُ سفط فيهِ دفاتر علمهِ وعليهِ قفل لا يأمن على فتحهِ احداً فقال انظر هذا السفط فاحتفظ بهِ فان فيهِ علم ابائك وانظر هذه المدينة واياك ان تستبدل بها فانها مدينتك وعزُّكَ وقد جمعت لك فيها من الاموال ما لم يجمعهُ خليفة قبلي . ان حبس عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لارزاق الجند والنفقات وعطاء الذرّية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزاً ويبقى عامراً وما

اظنك تفعل واوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم والاحسان اليهم وتوليهم المنابر وتوطئ الناس اعقابهم فان عزهم عزك وذكرهم لك وانظر الى مواليك فاحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدة ان نزلت بك . واوصيك باهل خراسان فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا اموالهم ودماءهم دونك تحسن اليهم وتجاوز عن مسيئهم وتخلف من مات منهم في اهله وولده واياك ان تبني مدينة شرقية فانك لا تتم بناءها . واياك ان تدخل النساء مشورتك وامرك وهذا آخر كلامي بالوصية اليك

ذكر خلافة

المهدي

واسمهُ محمد بن عبدالله المنصور بالله ويكنّى ابا عبدالله وُلدَ بامدوح سنة سبع وعشرين ومائة وامهُ ام موسى بنت منصور بن عبدالله الحميري بويع له بمكة يوم مات ابوهُ واتاهُ الخبر الى مدينة السلام بغداد في سادس عشر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين فخطب الناس ونعى اليهم اباهُ وقال . ان امير المؤمنين عبدٌ دعي فاجاب وأُمر فاطاع . ثم اغرورقت عيناهُ بالدموع وقال . ان رسول الله (صلعم) قد بكى عند فراق الاحبة . ولقد فارقت عظيمًا وقلدت جسيمًا . وعند الله احتسب امير المؤمنين وبهِ استعين على خلافة المؤمنين . ثم بايعهُ الناس

وقال الصولي انهُ لما جلس المهدي للتعزية والتهنئة دخل عليهِ ابو دلامة فانشدهُ

عيناي واحدةٌ ترى مسرورةً بامامها جذلى واخرى تطرفُ
تبكي وتضحك مرّةً وبسوْها ما انكرت ويسرُّها ما تعرفُ
فيسوْها موت الخليفة محرمًا ويسرُّها اذ قام هذا الأرأفُ

فكان اول من وصلهُ . وكان المهدي اسمر طويلاً معتدل القامة جعد الشعر على عينهِ اليمنى نكتة بياض . وكان نقش خاتمهِ "العزّةُ لله" وكان جوادًا عالمًا حليمًا . ولمّا وُليَ اطلق من كان في سجن ابيهِ الأَمَن قبلهُ دمٌ او عرف بالفساد في الارض . وفرّق في الناس اموالاً كثيرة . ووصل ذوي القربى وبرَّ اهلهُ واقرباءُ ومواليه وقرّر لكل واحدٍ من اهل بيتهِ في كل سنة ستة الاف درهم . ولما بنى عيساباذ

وتزلها امران تكتب اسماء اولاد المهاجرين والانصار فجلس مجلسًا عامًّا وفرّق فيهم ثلاثة الف الف درهم فاغنى كل فقير وجبر كل كسير وفرّج عن كل مكروب . ثم خطب الخطباء وانشد الشعراء وفرّق فيهم اموالاً. ثم دعا ببغداديه فحضر اهل خاصته و بطانته فلم ينصرف احدٌ منهم الاّ مجبًّا وكرامةً . ثم أمر ببناء جامع الرصافة وحاط حائطها وخندق خندقها

ومن كلامه . ما توسل احدٌ بوسيلةٍ هي اقرب من يذكّرني يدًا سلفت مني اليه لان منع الاواخر يقطع شكر الاوائل . وكان صاحب نسكٍ وورع ولبس الصوف وعمّ الناس باقصد العدل والمعروف وكان يسمّى راهب بني العباس لنسكه وديانته

ذكر وفاته

توفي بقريةٍ بقرب من قلعة الماهكي تُعرَف بماسبذان في ثاني عشر المحرّم سنة تسع وستين ومائة عن ثلاث واربعين سنة من عمره وكانت خلافته عشر سنين وشهرًا وخمسة ايام ودفن بالقرية التي توفي بها

ذكر اولاده

وهم ابو جعفر هرون وعيسى وموسى ويعقوب وعبدالله وعلي ومنصور واسحق وابرهيم واسماء والمانوحة العباسية وعليّة وكانت فاضلة لها ديوان شعر فمن ذلك قولها

انى كثرت عليه في زيارته ... فملّ والشيء مملولٌ اذا كثرا

ورابني منه اني لاازال ارى ... في طرفه قصرًا عني اذا نظرا

ذكر وزرائه وقضاته وحجّابه

وُزّرَ لهُ ابو عبيدالله معوية بن عبدالله الاشعري وعزلهُ واستوزر ابا عبدالله يعقوب بن داوُد ابن طهمان وعزلهُ واستوزر ابا جعفر الفيض بن شيرويه . وقضاتهُ قضاة ابيه . وحجّابهُ الفضل بن الربيع والربيع بن حصين والحصين بن سليمان

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافته

قيل دخل ابن الخياط المكي على المهدي ومدحهُ فامر لهُ بخمسين الف درهم فلما قبضها فرّقها على الناس فقال

لمستُ بكفي كفهُ ابتغي الغنى ... ولم ادرِ ان الجود من كفهِ يُعدي

فلاانا منهُ ما افاد ذوو الغنى ... افدتُ واعداني فبدّدت ما عندي

فنهي الى المهدي فاعطاهُ بدل كل درهمٍ دينارًا

وعن حسن الوصيف قال قعد قعوداً عامًا للناس فدخل رجلٌ في يدهِ نعل ومنديل فقال يا امير المومنين هذه نعل رسول الله قد اهديتها اليك قال هاتها فدفعها اليهِ فقبَّل باطنها ووضعها على عينيهِ وامرَ للرجل بعشرة الاف درهم فلما اخذها وانصرف قال لجلسائهِ . اترون اني لم اعلم ان رسول الله (صلعم) لم يرَها فضلاً عن ان يكون لبسها . ولو كذَّبناهُ لقال للناس اتيت امير المومنين بنعل رسول الله فردَّها عليَّ فكان من يصدقهُ اكثر ممن يدفع خبرهُ اذ كان من شأن العامة واشكالها النصرة للضعيف على القوي فاشترينا لسانهُ وقبلنا هديتهُ وصدَّقنا قولهُ ورأينا الذي فعلنا انجح وارجح

قال العباس بن عبدالله بن جعفر بن سلمان حدَّثتني جدَّتي فائقة بنت عبدالله قالت . بينما انا يومًا عند المهدي وكان قد خرج متنزهًا الى الانبار اذ دخل الربيع ومعهُ قطعةٌ من جراب فيهِ كتابة برماد وخاتم من طين عجن بالرماد وهو مطبوع بخاتم الخلافة فقال يا امير المومنين ما رأيت اعجب من هذه الرقعة جاءني بها اعرابي وهو ينادي هذا كتاب امير المومنين المهدي دلوني على هذا الرجل الذي يسمَّى الربيع فقد امرني ان ادفعها اليهِ وهذه الرقعة . فاخذها المهدي وضحك وقال صدق وهذا خطي وهذا خاتمي . أفلا اخبركم بالقصة قلنا رأي الامير اعلى علينا في ذلك . قال خرجت امس الى الصيد في غبِّ سماءٍ فلما اصبحت هاج علينا ضبابٌ شديدٌ وفقدت اصحابي حتى ما رأيت منهم احدًا واصابني من البرد والجوع والعطش ما الله اعلم بهِ وتحيرتُ عند ذلك فذكرت دعاءً سمعتهُ من ابي يحكيهِ عن ابيهِ عن جدِّهِ عن ابن عباس قال من قال اذا اصبح واذا امسى بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة الاَّ بالله العلي العظيم وُقي وشُفي وكُفي من الحرَق والغرَق والهدم وميتة السوء فلما قلتها رفع لي ضوءُ نارٍ فقصدتها فاذا بهذا الاعرابي في خيمةٍ لهُ واذا هو يوقد نارًا بين يديهِ فقلت ايها الاعرابي هل من ضيافةٍ قال انزل فنزلت فقال لزوجتهِ هاتِ ذلك الشعير فاتتهُ بهِ فقال اطحنيهِ فما تدأَّت تطحنهُ فقلت لهُ اسقني ماءً فاتاني بسقاءٍ فيهِ مذقة من لبنٍ اكثرهُ ماءٌ فشربت منها شربةً ما شربت قط شيئًا الاَّ وهي اطيب منهُ . قال واعطاني حلسًا لهُ فوضعت رأسي عليهِ فنمت نومةً ما نمت نومةً اطيب منها والذَّ ثم انتبهت فاذا هو قد وثب الى شويهةٍ فذبحها فاذا امرأتهُ تقول لهُ ويحك قتلت نفسك وصبيتك انما كان معاشك من هذه الشاة فذبحتها فبأي شيءٍ تعيش فقلت لا عليكِ هاتِ الشاة فشققت جوفها واستخرجت كبدها بسكين في خفي فشرحتها ثم طرحتها على النار فاكلتها ثم قلت هل عندك شيءٌ اكتب لك فيهِ فجاءني بهذه القطعة فاخذت عودًا من الرماد الذي كان بين يديهِ فكتبت لهُ هذا الكتاب وختمتهُ بهذا الخاتم وامرتهُ ان يجيء ويسأَل عن الربيع فيدفعها اليهِ فاذا في الرقعة خمسمائة الف درهم فقال لا والله ما اردت الاَّ خمسين الف درهم ولكن جرت يدي بخمسمائة الف درهم لا انقص والله منها درهمًا واحدًا ولو لم يكن في بيت المال غيرها احملوها معهُ . فما كان الاَّ

قليلاً حتى كثرت ابلهُ وشاؤهُ وصار منزلاً من المنازل ينزلهُ الناس من اراد الحج من الانبار الى مكة شرّفها الله يسمى مضيف امير المومنين المهدي . وخرج المهدي يوماً الى الصيد فانقطع عن خاصته فدفع فرسهُ الى اعرابي وهو يريد البول فقال لهُ يا اعرابي احفظ عليَّ فرسي حتى ابول فسعى نحوهُ واخذ بركابهِ . فنزل المهدي ودفع الفرس اليهِ فاقبل الاعرابي على السرج يقطع حليتهُ وفطن المهدي وقد اخذ حاجتهُ وقدم اليهِ فرسه وجاءَت الخيل نحوهُ وقد احاطت بهِ وَبَدَرَها الاعرابي فولى هارباً فامر بردّه وخاف ان يكون قد عرف حاله. فقال خذوا ما اخذنا منكم ودعونا نذهب الى حرق الله وناره فقال المهدي تعالَ وصاح بهِ لا بأس عليك فقال ما تشاء جعلني الله فداء فرسك فضحك من حضرهُ وقال ويلك هل رأيت انساناً قط قال هذا قال فما اقول قالوا قل فداك يا امير المومنين قال وهذا امير المومنين قالوا نعم قال والله لئن ارضاهُ هذا مني ما يرضيني ذلك فيهِ ولكن جعل الله جبريل وميكايل فداءهُ وجعلني فداءهما فضحك المهدي منهُ واستطابهُ وامر لهُ بعشرة الاف درهم . قال ابن عرفة بلغني ان المهدي لما فرغ من بناء عيساباذ ركب في جماعةٍ يسيرة لينظر البلد. فدخلهُ مفاجأةً واخرج من كان هناك من الناس وبقيا رجلان خفيا عن ابصار الاعوان فرأى المهدي احدهما وقد دهش بالعقل فقال من انت فقال أنا أنا فقال ويلك من انت قال لا ادري قال أَلك حاجة قال لا لا قال اخرجوهُ اخرج الله نفسك فدُفع في قفاهُ . فلما خرج قال لغلام لهُ اتبعهُ من حيث لا يعلم فسل عن امرهِ ومهنتهِ فاني اخالهُ حائكاً فخرج الغلام يقفوهُ .ثم رأى الاخر فاستنطقهُ فاجابهُ بقلبٍ جريٍّ ولسانٍ سليطٍ فقال من انت فقال رجلٌ من ابناء رجال دعوتك قال فما جاء بك الى ها هنا قال جئت لانظر الى هذا البناء الحسن فاتمتع بالنظر واكثر الدعاء لامير المومنين بطول المدّة وتمام النعمة ونماء العز والسلامة قال أفلكَ حاجة قال نعم . خطبت ابنة عمٍّ لي فردني ابوها وقال لا مال لك والناس يرغبون في المال وانا بها مشغوفٌ ولها وامقٌ قال قد امرت لك بخمسين الف درهم قال جعلني الله فداءك يا امير المومنين لقد وصلتَ فاجزلت الصلة ومننت فاعظمت المنّة فجعل الله باقي عمرك اكثر من ماضيهِ وآخر ايامك خيراً من اولها ومتّعك بما انعم بهِ عليك وامتع رعيتك بك فامر ان تعجل لهُ الصلة ووجّه بعض خاصّتهِ وقال اسأل عن مهنتهِ فاني اخالهُ كاتباً . فرجع الرسولان معاً فقال الاول وجدت الاول حائكاً وقال الاخر وجدت الرجل كاتباً فقال المهدي لم تخفَ عليَّ مخاطبة الكاتب والحائك .

قال عمرو الاعجمي عرضت امرأة للمهدي فقالت يا عصبة رسول الله انظر في حاجتي فقال المهدي ما سمعتها من احدٍ قبلها اقضوا حاجتها واعطوها عشرة الاف درهم

عن ابي عبيدة قال كان المهدي يصلّي بنا الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها فأُقيمت

الصلاة يومًا فقال اعرابيٌّ يا امير المومنين لست على طهورٍ وقد رغبت الى الله في الصلاة خلفك فأمر هولاء ينتظروني فقال انتظروهُ رحمكم الله ودخل المحراب ووقف الى ان قيل له قد جاء الرجل فكبّرَ فعجب الناس من سماحة اخلاقهِ

وفي سنة تسع وخمسين ومائة مات عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ابو جعفر المنصور

ودخلت سنة ستين ومائة وفيها مات ابرهيم بن ادهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي ويقال التميمي اصلهُ من بلخ وكان من اولاد الملوك وروى عن جماعة من التابعين وكان يقيم بالكوفة ثم بالشام. قال يونس بن سليمان البلخي كان ابرهيم بن ادهم من الاشراف وكان ابوهُ كثير المال والخدم فخرج ابرهيم يومًا الى العيد مع الغلمان والخدم والجنائب والبزاة فبينا ابرهيم في ذلك وهو على فرسهِ يركضهُ اذا هو بصوتٍ من فوقه يا ابرهيم ما هذا العبث أفحسبتم انَّا خلقناكم عبثًا وانكم الينا لا ترجعون اتقِ الله وعليك بالزاد ليوم المعاد والفاقة . قال فنزل عن دابتهِ ورفض الدنيا واخذ في عمل الاخرة

قال بشر بن المنذر كنت اذا رأيت ابرهيم بن ادهم كأنهُ ليس فيهِ روحٌ لو نفختهُ الريح لوقع قد اسودَّ متدرّع بعباءة . وفيها مات شعبة بن الحجاج بن فرد ابو بسطام العتكي واسطي الاصل بصري الدار وُلد بواسط سنة ثلاث وثمانين ونشأ بها وانتقل الى البصرة ورأى الحسن البصري وابن سيرين وكان اكبر من الثوري بعشر سنين وكان عالمًا حافظًا للحديث صدوقًا زاهدًا متعبدًا عارفًا بالشعر

قال الاصمعي لم نرَ احدًا اعلم بالشعر من شعبة وكان شعبة متشاغلًا بالعلم لا يكسب شيئًا من الدنيا وكان له اخوة يقومون باموره . واشترى احد اخوتهِ من السلطان طعامًا فخسر فيهِ فحُبس فقدم شعبة على المهدي فعابهُ سفيان بالدخول عليهِ فقال شعبة هو كذلك لو لم يحبس اخوهُ . وقيل كان المال الذي على اخيهِ ستة الاف دينار اسقطها المهدي عنهُ بسبب دخولهِ اليهِ . ولما دخل على المهدي قال يا امير المومنين انشد قتادة وسماك بن حرب لأمية بن ابي الصلت شعرًا في عبدالله بن جدعان التيمي

أأذكر حاجتي ام قد كفاني حياؤكَ ان شيمتكَ الحياء
وعلمكَ بالحقوقِ وانت فرعٌ له الحسب المهذَّب والسناء
كريمٌ لا يغيرهُ صباحٌ عن الخلق الجميل ولا المساء
بارضك كل مكرمةٍ بناها بنو تيمٍ وانت لها سماء
اذا اثنى عليك المرء يومًا كفاهُ من تعرُّضهِ الثناء

فقال لا ابا بسطام لا تذكرها قد عرفناها وقضيناها لك ادفعوا اليهِ اخاهُ ولا تاخذوا منهُ شيئًا وتوفي يا لبصرة وهو ابن سبع وسبعين سنة

ثم دخلت سنة احدى وستين ومائة وفيها مات زند بن الجون ابو دلامة الشاعر ومن قال زيد فقد اخطأ وصحَّف وكان كوفيًّا اسود مولًى لبني اسد وكان ابوهُ عبدًا لرجلٍ منهم يقال لهُ قصافص فاعتقهُ وادرك ابو دلامة آخر دولة بني أُمية ولم يكن لهُ نباهة في ايامهم ونبغ في ايام بني العباس فانقطع الى السفاح والمنصور والمهدي وكانوا يقدمونهُ ويفضلون نوادرهُ ومدح المنصور وذكر قتلهُ ابا مسلم الخراساني فقال

أَبا مسلمٍ خوَّفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوَّفتني الاسدُ الوردُ
ابا مسلمٍ ما غيَّرَ الله نعمةً ... على عبدهِ حتى يغيِّرها العبدُ

وانشدها للمنصور في محفل من الناس فقال لهُ المنصور احتكم فقال عشرة الاف درهم فامر لهُ بها فلما خلا بهِ قال أَما والله لو تعديتها لقتلتك

وقيل انهُ بقي الى خلافة الرشيد وكان كثير النادرة . قال ثعلب لما ماتت حمادى بنت عيسى امرأَة المنصور وقف المنصور والناس معهُ على حفرتها ينتظرون الجنازة وابو دلامة فيهم فاقبل المنصور عليهِ فقال يا ابا دلامة ما اعددت لهذا المصرع فقال حمادى بنت عيسى يا امير المؤمنين قال فضحك القوم

قال الاصمعي أَمر المنصور ابا دلامة بالخروج نحو عبدالله بن علي فقال لهُ ابو دلامة ناشدتك الله يا امير المومنين لا تحضرني شيئًا من عساكرك فاني شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها واخاف ان يكون عسكرك العاشر فضحك منهُ واعفاهُ . قال العتابي دخل ابو دلامة على المهدي فطلب كلبًا فاعطاهُ ثم دابَّة فاعطاهُ ثم جارية فاعطاهُ تطبخ لهُ الصيد فقال مَن يعول هولاء اقطعني ضيعةً اعيش منها انا وعيالي فقال قد اقطعتك مائة جريب من العامر ومائة جريب من الغامر قال وما الغامر قال الخراب قال ابو دلامة قد اقطعت امير المؤمنين خمسمائة جريب من غامر ارض بني اسد قال فهل لك من حاجةٍ قال نعم تأْذن لي ان اقبل يدك فقال مالي الى ذلك سبيل فقال والله ما رددتني عن حاجةٍ اهون عليَّ فقدًا منها

وفيها مات سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبدالله الثوري من اهل الكوفة وُلد في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان وسمع خلقًا كثيرًا وكان من كبار ايمة المسلمين لا يختلف في امامتهِ وامانتهِ وحفظهِ وعلمهِ وزهدهِ قال يونس بن عُبَيد ما رأَيت افضل من سفيان الثوري فقيل لهُ يا اباعبدالله بعد ان رأَيت سعيد بن جُبَيْر وعطاءً ومجاهدًا تقول هذا قال هو ما اقول ما رأَيت افضل من سفيان

الثوري .

دخل سفيان الثوري على المهدي فقال السلام عليكم كيف انتم ثم جلس فقال حجّ عمر بن الخطاب فانفق في حجته ستة عشر دينارًا وانت حججت فانفقت في حجتك بيوت الاموال . قال فأي شيء تريد ان اكون مثلك فقال فوق ما انا فيه ودون ما انت فيه . فقال وزيره ابو عبيدالله . يا ابا عبدالله قد كانت كتبك تأتينا فننفذها قال من هذا قال ابو عبيدالله قال احذره فانه كذّاب انا ما كتبت اليك ثم قام فقال له المهدي الى اين يا ابا عبدالله قال اعود وكان قد ترك نعله حين قام فعاد فاخذها ثم مضى فانتظره المهدي فلم يعد فقال وعدنا ان يعود ولم يعد قيل له قد عاد لاخذ نعله فغضب وقال قد امن الناس الا سفيان الثوري ويوسف بن فروة الزنديق فانه ليطلب وانه لفي المسجد الحرام فذهب فالقى نفسه بين النساء فجللنه قيل له لِمَ فعلت قال انهن ارحم . ثم خرج الى البصرة فلم يزل بها حتى مات . فلما احتضر قال ما اشدّ الغربة انظروا لي هاهنا احدٌ من اهل بلادي فنظروا فاذا افضل رجلين من اهل الكوفة . عبد الرحمن بن عبد الملك بن ابجر والحسن ابن عباس اخوابي بكر فاوصى الى الحسن في تركته واوصى الى عبد الرحمن بالصلاة عليه . وكان سفيان قد ورث من اخيه ستين دينارًا فكان يقلبها في يده ويقول لولاك لاحتجت الى السفل

وفيها مات المؤمل بن اميل المحاربي الشاعر مدح المهدي وله اشعار كثيرة حسنة

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة فيها مات ابرهيم بن طهمان ابو سعيد الخراساني ولد بهراة ونشأ بنيسابور ورحل في طلب العلم فلقي جماعة من التابعين مثل عبدالله بن دينار وابي الزبير ومحمد ابن مسلم وابي حازم . قال مالك بن سليمان كان لابرهيم بن طهمان جراية من بيت المال فاخرة وكان يسخو بذلك فسئل يومًا في مجلس الخليفة فقال لا ادري فقالوا تاخذ في كل يوم كذا وكذا ولا تحسن مسألةً فقال انما اخذت على ما احسن ولو اخذ على ما لا احسن لفني بيت المال ولا يفنى ما لا ادري فاعجب امير المؤمنين جوابه وامر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته وتوفي بمكة في هذه السنة

ثم دخلت سنة اربع وستين ومائة . فيها نزل المهدي بمنزل بعيساباذ لما بناها وامر ان يكتب له ابناء المهاجرين وابناء الانصار فكتبوا ودعي بنقبائهم وجلس مجلسًا عامًا لهم ففرّق ثلاثة الاف الف درهم فاغني كل فقير وجبر كل كسير وفرّج عن كل مكروب ثم قامت الخطباء ودخل الشعراء فانشدوه ففرق فيهم خمسمائة الف درهم فكثر الداعي له في الطرقات والبوادي وقام في هذا اليوم مروان بن ابي حفصة فانشده

ما يلمع البرق الأحمّ مغتربٌ كانه من دواعي شوقه وصبٌ
ما انس لا انس غيثًا ظلّ وابله عليّ من راحة المهدي ينسكبُ

شمنا فما اخلفتنا من مخائله سحابةٌ صوبها الاوراق والذهبُ
صدّقتنّ يا خير مأمون ومعتمدٍ ظني باضعاف ما قد كنت احتسبُ
اعطيتَ سبعين الفًا غير متبعها منّهً ولست بمنّانٍ بما تهبُ
قد لاح للناس بالمهدي نور هدًى يضيء والصبح في الظلماء يحتجبُ
خليفة طاهر الاثواب معتصمٌ بالحق ليس له في غيره اربُ

وفيها مات شبين بن شبينة بن معمّر الخطيب المنقري البصري حدّث عن الحسن وعطاء وهشام بن عروة قدم بغداد في ايام المنصور فاتصل به ثم بالمهدي وكان مقدمًا عندهما . وقال له المنصور عظني فقال له يا امير المؤمنين ان الله لم يرضَ من نفسه ان يجعل فوقك احدًا من خلقه فلا ترضَ من نفسك بان يكون عبد لله اشكر منك فقال والله لقد اوجزت وخرج من الدار من عند المهدي فقيل له كيف تركت فقال تركت الداخل راجيًا والخارج راضيًا وكان شبين فصيحًا ذا لسانٍ لكنه كان يخطئ في العربية احيانًا

وفيها مات المبارك بن فضالة بن ابي أُمية بن فضالة مولى زيد بن الخطاب . حدّث عن الحسن وحميد الطويل وخلق كثير

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة فيها تزوّج الرشيد زبيدة بنت جعفر بن المنصور وبنى بها . وسقط ببغداد ثلجٌ قام في الارض نحو ذراعين وفيها مات روّاد العجلي وكان زاهدًا عابدًا ورعًا كثير البكاء والصراخ

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة فيها اخذ المهدي لهرون البيعة على قواده بعد موسى بن محمد المهدي وسمّاه الرشيد

وفيها قحط الناس على عهد المهدي فنادى في الناس ان صوموا ثلاثة ايام واخرجوا للاستسقاء في اليوم الرابع فخرجوا فقال لقيط بن بكر الحازي

يا امام المهدي سقينا بك الغيثُ وزالت عنّا بكَ الاواء
حسّت الارض اذ عزمت لتستسقي وجاءت بالغيث منها السماء
بتّ تعني بالناس والناس قد غام عليهم من الظلام غطاء
فسقينا وقد قحطنا وقلنا سنةٌ قد تنكبت حمراء
بدعاء اخلصته في سواد الليل لله فاستجيب الدعاء
بغيوث تحيي بها الارض حتى اصبحت وهي زهرةٌ خضراء

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة فيها جدّ المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الافاق

وقتلهم وولّى امرهم عمر الكلوذاني فاخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور فاقرّ فحُبس فهرب من الحبس واتهم المهدي صالح بن عبد القدوس البصري بالزندقة فامرَ بحمله اليهِ فاحضر فلما خاطبهُ اعجب لغزارة ادبهِ وعلمهِ وحسن ثنائهِ فأَمرَ بتخلية سبيلهِ فلما ولى ردَّهُ فقال ألست القائل

ما تبلغ الاعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسهِ

والشيخُ لا يترك اخلاقهُ حتى يوارى في ثرى رمسهِ

اذا ارعوى عادَ الى جهلهِ كذي الضنى عاد الى نكسهِ

قال بلى قال انت لا تترك اخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك ثم امر به فقتل وصلب على الجسر . قال ابن ثابت وقيل انهُ بلغهُ عنهُ ابيات تعرّض بالنبي (صلعم) . قال ويقال انهُ كان مشهورًا بالزندقة ولهُ مع ابن الهذيل مناظرات

وفيها فشا الموت والوبأ ببغداد وفيها مات بشار بن برد ابو معاذ الشاعر مولى عقيل وُلد اعمى وكان يشبه الاشياء في شعرهِ فيأتي بما لا يقدر البصراء عليهِ فقيل لهُ يومًا وقد قال

كأنَّ مثار النقع فوق رؤُسهم واسيافنا ليلٌ تهاوي كواكبه

ما قال أحدٌ احسن من هذا التشبيه قيل فمن اين لك هذا ولم ترَ الدنيا فقال انَّ عدم النظر يقوّي ذكاء القلب ويقطع عنهُ الشغل مما ينظر اليهِ من الاشياء فيتوفَّر حسُّهُ وتذكو قريحتهُ . وكان الاصمعي يقول بشار خاتمة الشعراء لولا ان ايامهُ تأَخرت لفضّلتهُ على كثيرٍ منهم

قال الجاحظ كان شاعرًا خطيبًا صاحب منثور ومزواج وسجع ورسائل وهو المقدم من الشعراء المحدثين وهو بصري قدم بغداد فقال ابو تمّام الطائي اشعر الناس واشبهم في الشعر كلامًا بعد الطبقة الاولى بشار والسيد الحميري وابو نواس ومسلم بن الوليد بعدهم . قال ابو مقهر بن المثنى قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين وقال ثلاثة عشر الف بيت ولا يكون عدد الاسلام والجاهلية هذا العدد وكان بشار يهوى امرأَةً من اهل البصرة يقال لها عبيدة فخرجت عن البصرة مع زوجها الى عمان فقال بشار

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت واشهى لقلبي ان تهب جنوبُ

وما ذاك الاَّ انها حين تنتهي تجيُ وفيها من عبيدة طيبُ

عذيري من العذَّال اذ يعذلونني سفاهًا وملغي العاذلين لبيبُ

يقولون لو عزَّيت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوبُ

اذا انطلق القوم الجلوس فانني مكبٌّ كأنّي في الجميع غريبُ

قيل لابي حاتم مَن اشعر الناس قال الذي يقول

ولها مبسمٌ كثغر الاقاحي وحديثٌ كالوشي وشي البرودِ
نزلت في السواد من حبـة القلب وزادت زيادة المستزيدِ
عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن صبر الجليدِ

يعني بشار بن برد . وكان مقدمًا بقدمه على جميع الناس وبلغ المهدي ان بشارًا قد هجاهُ وشهد قومٌ له انهُ زنديق فامر المهدي بضربهِ فضرب ضرب التلف فمات وقد بلغ نيفًا وتسعين سنة

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة فيها مات حماد بن سلمة مولى لبني تميم وهو ابن اخت حميد الطويل كان عالمًا عابدًا محاسبًا نفسهُ لا يضيع لحظةً في غير طاعة الله. قال مقاتل بن صالح الخراساني دخلتُ على حماد بن سلمة فاذا ليس في البيت الا حصير وهو جالسٌ عليهِ ومصحفٌ يقرأ منهُ وحرازٌ فيهِ علمه ومطهرةٌ يتوضأ فيها . فبينما انا عندهُ جالس دقَّ داقٌ الباب فقال يا صبية اخرجي فانظري من هذا فقالت رسول محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحدهُ فدخل فناولهُ كتابًا فيهِ

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان الى حماد بن سلمة. اما بعد فصبحك الله بما صبح بهِ اولياءه واهل طاعتهِ وقعت مسألةٌ فأتنا نسألك عنها والسلام . فقال يا صبية هلمي الدواة . ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب . امَّا بعد وانت صبحك الله بما صبح بهِ اولياءه واهل طاعتهِ انَّا ادركنا العلماء وهم لا يأتون احدًا فان كانت وقعت مسألةٌ فأتنا وَسلنا عمَّا بدا لك وان اتيتني فلا تأتني الاَّ وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا انصحك ولا انصح نفسي والسلام. فبينما انا عندهُ دقَّ داقٌ الباب فقال يا صبية اخرجي انظري من هذا . قالت محمد بن سليمان قال قولي له ليدخل وحدهُ فدخل فسلم ثم جلس بين يديه. فقال مالي اذا نظرت اليك امتلأت رهبًا . فقال حماد سمعت ثابتًا البناني يقول وسمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول الله (صلعم) يقول ان العالم اذا اراد وجه الله تعالى هابهُ كل شيء فاذا اراد ان يكتنز بهِ الكنوز هاب كل شيء . فقال اربعون الف درهم تأخذها تستعين بها على ما انت عليهِ . فقال اردها على من ظلمتهُ قال والله ما اعطيك الاَّ ما ورثتهُ قال لا حاجة لي فيها ازوها عني زوى الله عنك اوزارك . قال فتقسمها قال فلعلي ان عدلت في ان يقول بعض من لم يرزق منها لم يعدل . ازوها عني زوى الله عنك اوزارك

وفيها مات حماد عجرد وهو حماد بن عمر بن يونس بن كليب مولى لبني سواة بن عامر بن صعصعة يكنى ابا عمر وهو كوفيٌّ ويقال واسطيٌّ . ويقال ان اعرابيًا مر بهِ وهو غلام يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان فقال له تجردت يا غلام فسمي عجرد والمتجرد المتعرّي . وكان خليعًا ماجنًا ظريفًا ونادم الوليد بن يزيد وهاجى بشار بن برد وهو فحل الشعراء المحدثين فانتصف منهُ وكان بشار يضج منهُ وقدم بغداد في ايام المهدي . وذكر ابن قتيبة في طبقات الشعراء قال كان بالكوفة

ثلاثة يقال لهم الحمّاديون حمّاد عجرد وحمّاد الراوية وحمّاد بن الزبرقان . قال النحوي وكانوا يتعاشرون وكانوا كلهم يرمون بالزندقة . وحماد عجرد هو القائل

ان ّ الكريم ليخفي عنك عسرتهُ حتى تراهُ غنيًّا وهو مجهودُ
وللبخيل على امواله علل زرق العيون عليها اوجهٌ سودُ
اذا تحرّمت ان تعطي القليل ولم تقدر على سعةٍ لم يظهر الجودُ
بثّ النوال ولا تمنعك قلّتهُ فكلّ ما سدّ فقرًا فهو محمودُ

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة . فيها توفي المهدي وولي الهادي

ذكر خلافة

الهادي

وهو ابو محمد موسى بن محمد المهدي مولدهُ سنة سبع واربعين ومائة أمّهُ الخيزران بويع له ببغداد بعد وفاة ابيهِ المهدي وكان اذ ذاك بجرجان تولى اخذ البيعة له اخوهُ الرشيد ولم يلِ الخلافة قبلهُ اصغر سنًّا منهُ وكان طويلاً جسيمًا ابيض الشعر نقش خاتمهِ . بالله اثق

ذكر شيءٍ من اخبارهِ

سمع رجلاً يصيح ليلاً وهو يقول

قل للخليفة ان حاتم ظالمٌ فخف الالهَ وعافنا من ظالمِ

فامر بطلب الرجل ليعرف من هو حاتم فلم يعرف فامر بصرف كل عامل اسمهُ حاتم

ذكر اسحق الموصلي ان الهادي قال لهُ انشدني واطربني فلك حكمك فانشدتهُ

فيا حبها زدني جوى كل ليلةٍ ويا سلوة الأيّام موعدكِ الحشرُ
هجرتكِ حتى قيل لا يعرف الهوى وزُرتك حتى قيل ليس لهُ صبرُ

فاستطابهُ وامر ان ادخل بيت المال وآخذ منهُ ما اردت فاخذت منهُ سبع بدرٍ وانصرفت

وحكى عليّ بن صالح قال اخر الهادي عن الجلوس اياما فقلت ان العامّة لا يستقيم امرها ان لم تجلس للمظالم فقال إيذن للناس عليّ بالجفلى والنقرى فخرجت لا ادري ما اراد وكرهت مراجعتهُ

فقلت لاعرابي كان وفد علينا ما الجفلى والنقرى فقال الجفلى دعوة العموم والنقرى دعوة الخصوص. اي لا يدخل قوم دون قوم فامرت برفع الستور وفتح الابواب فدخل الناس ولم يزل ينظر في المظالم الى الليل فلما تقوّض الناس وقفت . فقال كأنك تريد تذكر شيئا فقلت نعم كلمتني اليوم بكلام لم اسمعهُ منك قبل وكرهت مراجعتك فسألت اعرابيًّا ففسرهُ لي فكافه عني فقال يحمل لهُ عشرة الاف درهم . فقلت يا امير المومنين انَّ في الف درهم لهُ غنيً فقال ويك يا علي اجود وتبخل . ومن كلامهِ وكان قد غضب على انسان ورضي عنهُ فاخذ يعتذر فقال لهُ ان الرضى كفاك موْنة الاعتذار

ذكر وفاتهِ

توفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الاول سنة سبعين ومائة ودفن بقصرٍ بعيساباد وكانت مدة خلافته سنة وشهرًا .

ذكر اولادهِ

وهم اسمعيل وزوّجهُ عمهُ الرشيد ابنتهُ فاطمة واسحق وقد خطب لهُ بولاية العهد . وزوجهُ الرشيد ابنتهُ حمدونة وسليمان وابو القاسم عبدالله وكان اديبًا فاضلاً لهُ شعرٌ فمن ذلك قولهُ

ما اولع الحبَّ بالكرام وما اولع بالهجر كل محبوبِ
قد حجب الهجر من هويت فما يسعفني وهو غير محجوبِ

ومن شعرهِ ايضًا قولهُ

تقاضاكَ دهرك ما اسلفا وكدَّر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرنَّ فان الزمانَ جديرٌ بتشتيت ما ألَّفا
ولما رآك قليل الهموم كثير الهوى ناعمًا مترفا
الحَّ عليك بروعاتهِ واقبل يرميك مستهدفا

ثم جعفر ثم العباس وحجَّ بالناس في خلافة عمهِ الرشيد وموسى وام العباس وام عيسى وتزوجها المأمون ابن عمها فولدت لهُ محمدًا وعبدالله

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ

وُزِّرَ لهُ الربيع بن يونس وزير المنصور ولم يعزل قضاة ابيهِ وحاجبهُ الفضل بن الربيع ولا عقب لهُ في الخلافة والخلفاء من ولد اخيهِ الرشيد

ذكر شيء من الاحوال والحوادث التي جرت في ايام خلافته

كان شديد اللبث على الدابّة وعليهِ درعان وكان المهدي يسميهِ ريحانتي وكان لهُ من الولد جعفر وهو الذي كان يرشحهُ للخلافة قال المطلب بن عائشة المزني . قدمنا على امير المؤمنين الهادي شهوداً على رجلٍ منّا شتم قُريش وتخطّى الى ذكر رسول الله (صلعم) . فجلس لنا مجلساً احضر فيهِ فقهاء زمانهِ ومن كان بالحضرة على بابهِ واحضر الرجل واحضرنا فشهدنا عليهِ بما سمعنا منهُ فتغيّر وجههُ ثم نكّس رأسهُ ثم رفعهُ فقال اني سمعت ابي المهدي يحدّث عن ابيهِ المنصور عن ابيهِ محمد بن علي عن ابيهِ علي عن علي بن عبدالله عن ابيهِ عبدالله بن عباس قال من ارادهوان قريش اهانهُ الله وانت يا عدوّ الله لم ترضَ بان اردت ذلك حتى تخطّأت الى ذكر رسول الله (صلعم) اضربوا عنقهُ . فما برحنا حتى قتل

وفي هذه السنة اشتدّ طلب موسى الزنادقة فقتل منهم جماعةً فكان فيهم كما قيل رجل يدعى يقطين وكان قد حجّ فنظر الى الناس في الطواف يهرولون فقال ما اشبههم ببقر تدوس البيدر فقال الشاعر

قُل لامين الله في خلقهِ ... ووارث الكعبة والمنبرِ

ماذا ترى في رجلٍ كافرٍ ... يشبّه الكعبة بالبيدرِ

ويجعل الناس اذا ماسعوا ... حمراً تدوس البرّ والدوسرِ

فقتلهُ وصلبهُ فسقطت جثتهُ على رجلٍ من الحاج فقتلتهُ وقتلت حمارهُ

وفي هذه السنة مات محمد المهدي بن عبدالله المنصور رأى مناماً قبل وفاته يدلّ عليها وتوفي ليلة الخميس لثمان بقينَ من المحرّم سنة سبع وستين ومائة وهو ابن ثلاث واربعين سنة وكانت خلافتهُ عشر سنين وشهراً ونصف شهر

ثم دخلت سنة سبعين ومائة فيها كانت وفاة الهادي واستخلاف الرشيد

ذكر خلافة

الرشيد

واسمهُ هرون بن محمد المهدي ويكنّى ابا جعفر وامهُ الخيزران وُلد بالري لثلاث بقينَ من ذي

الحجة سنة تسع واربعين في خلافة المنصور وقيل ولد في اول يوم في المحرّم سنة خمسين ومائة وكان الفضل بن يحيى البرمكي ولد قبله بسبعة ايام فجعلت ام الفضل ظئراً له وهي زينب بنت منير فارضعت الرشيد بلبان الفضل وكان الرشيد ابيض طويلاً سميناً جميلاً جداً ولم يمت حتى وخطه الشيب . قال الصولي وكان به حول في فرد عين لا يبين الّا لمن تأمّله وسمع الحديث من مالك بن انس وابرهيم بن سعد الزهري واكثر حديثه عن ابائه روى عنه ابو يوسف القاضي والشافعي وكان يحبّ الحديث واهله

تزوّج زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور وكنيتها ام جعفر واعرس بها في سنة خمس وستين في خلافة ابيه المهدي ببغداد فولدت الامين . وتزوّج ام العزيز ام ولد موسى اخيه وتزوّج عباسة بنت سليمان بن المنصور . ومات الرشيد عن اربع ضرائر . ام جعفر وام محمد وعباسة والعثمانية واولاده محمد الاكبر وهو الامين امه زبيدة . وعبدالله المأمون امه ام ولد يقال لها مراجل . والقاسم وامه ام ولد يقال لها قصف . ومحمد المعتصم وامه ام ولد يقال ماردة . وكان له اولاد غير هولاء وكان له عدة بنات

بويع الرشيد بالخلافة في الليلة التي توفي فيها اخوه الهادي اخرجه هرثمة بن اعين ليلاً واقعده المبايعة وكانت ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة

ولما جلس للخلافة سلم عليه بالخلافة عمه سليمان بن المنصور وعم ابيه العباس بن محمد وعم جده المنصور بن عبد الصمد بن علي . واستدعى الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكان قد حبسه الهادي لميله الى هرون وعزم على قتله وقتل هرون فحضر يحيى فقلده الوزارة . وكانت الخيزران هي الناظرة في الامور وكان يحيى يصدر الى هرون عن رأيها وكان الرشيد يقول ليحيى بن خالد يا ابي

قال الصولي كان يحيى يساير الرشيد يوماً فقام رجل فقال يا امير المومنين عطبت دابتي فقال يعطى خمسمائة درهم . فغمزه يحيى فلما نزل قال يا اباه اومأت اليّ بشيء وقت ما امرت بالدراهم فما هو فقال مثلك لا يجري هذا المقدار على لسانه انما يذكر مثلك خمسة الاف الف عشرة الاف الف قال فاذا سوّلت مثل هذا كيف اقول فقال تقول يشترى له دابّة يفعل به فعل نظرائه ولما بويع الرشيد خرج فوصل الى كرسي الجسر فدعا الغوّاصين فقال لهم . كان المهدي اهدى لي خاتماً شراه مائة الف درهم فدخلت على اخي وهو في يدي فلما انصرفت لحقني سليمان الاسود فقال يأمرك امير المومنين ان تعطيني الخاتم فرميت به في هذا الموضع . فغاصوا فاخرجوه فسرّ به غاية السرور وكان الهادي قد خلع الرشيد وبايع لابنه جعفر . وكان خزيمة بن خازم في خمسة الاف من مواليه عليهم السلاح تلك الليلة فهجم فاخذ جعفر من فراشه فقال لاضربنّ عنقك او تخلعها فلما كان من الغد

ركب الناس الى باب جعفر فاتى به خريمة فاقامهُ على الباب في العلو والابواب مغلقة فنادى جعفر يا معشر الناس من كان في عنقهِ بيعة فقد احللتهُ منها . والخلافة لعمي هرون لاحق لي فيها

وعن عمرو بن الحر . قال اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لاحدٍ من جدٍّ وهزل . وُزرَاؤهُ البرامكة لم يرَ مثلهم سخاء وشرفًا . وقاضيه ابو يوسف . وشاعرهُ مروان بن ابي حفصة كان في عصرهِ كجرير في عصرهِ . ونديمه عم ابيهِ العباس بن محمد صاحب العباسية وحاجبهُ الفضل بن الربيع انبه الناس واشدُّهم تعاظمًا ومغنيه ابرهيم الموصلي اوحد عصرهِ وعوادهُ زلزل وزوجتهُ ام جعفر ارغب الناس في الخير واسرعهم الى كل برٍّ ومعروف وهي التي ادخلت الماء للحرم بعد امتناعهِ من ذلك الى اشياء من المعروف . ومن كبار قوادهِ المعلّى ولي البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين وغير ذلك واليهِ ينسب نهر معلّى

وكان الرشيد يحب العلم ويؤثرهُ ويستفيدهُ فنال علمًا كثيرًا وكانت لهُ فطنة قوية . قال الاصمعي دخلت على هرون الرشيد ومجلسهُ حافل فقال يا اصمعي ما اغفلك عنا واجفاك بحضرتنا فقلت والله يا امير المؤمنين ما لاقتني البلاد بعدك حتى اتيتك فأمرني بالجلوس فجلست . فلما تفرَّق الناس فلم يبقَ غيري وغيره ومن بين يديهِ من الغلمان فقال يا اباسعيد ما معنى ما لاقتني قلت ما امسكتني وانشدتهُ

كفاك كفٌّ لاتليق درهمًا جودًا واخرى تجر بالسيف الدما

فقال احسنت وهاكذا وقِّرنا في الملا وعلمنا في الخلاء وأمرَ لهُ بخمسة آلاف درهم

قال الاصمعي تأخرتُ عن الرشيد ثم جئتهُ فقال كيف كنت يا اصمعي قلت بتُّ والله بليلة النابغة فقال أنا لله وانشد

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرقش في انيابها السمُّ ناقعُ

فعجبت من ذكائهِ وفطنتهِ لما قصدت

وقال سعيد بن مسلم كان الرشيد فهمهُ فوق فهم العلماء انشدهُ العماني في وصف فرس

كأن اذنيهِ اذا تشوفا قادمةً او قلمًا محرفًا

فقال الرشيد دع كأن وقل تخال اذنيه . وكان الرشيد يتواضع لاهل العلم والدين

قال ابو معاوية الضرير اكلتُ مع الرشيد طعامًا يومًا من الايام فصبَّ على يديَّ رجلٌ لا اعرفهُ فقال هرون يا ابا معاوية تدري من يصبُّ على يدك قلتُ لا قال انا فقلت انت يا امير المؤمنين قال نعم اجلالًا للعلم فقلت اكرمك الله واجلَّك يا امير المؤمنين وقال ابو معاوية الضرير حدَّثتُ الرشيد بهذا الحديث يعني قول النبي (صلعم) وددت اني اقتل في سبيل الله ثم احيا ثم أُقتل . فبكى هرون حتى انتحب . ثم قال يا ابا معاوية ترى لي ان اغزو . فقلت يا امير المؤمنين

مكانك في الاسلام اكثر ومقامك اعظم ولكن ترسل الجيوش . قال معاوية وما ذكرت النبي (صلعم) الاّ قال صلى الله على سيدي وسلّم

قال ابو معاوية دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا ابا معاوية هممت انهُ من يثبت خلافة علي بن ابي طالب فعلت بهِ وفعلت بهِ فسكت فقال لي تكلم فقلت ان اذنت لي تكلمت فقال تكلم فقلت يا اميرالمؤمنين قالت تيم منا خليفة رسول الله وقالت عديّ منا خلافة رسول الله وقالت بنو أمية منا خليفة الخلفاء فاين حظكم يابني هاشم من الخلافة والله ما حظكم منها الاّ علي بن ابي طالب فقال والله يا ابا معاوية لايبلغني ان احدًا لم يثبت خلافة علي الاّ فعلت بهِ كذا وكذا

وقال ابن البراء كان الرشيد يحجّ عامًا ويغزو عامًا وحجّ بالناس ست مراتٍ فقال فيهِ داوُد بن رُزَين

بهرون لاح البدرُ في كل بدرةٍ ... وقام بهِ في عدل سيرتهِ النهجُ
امامٌ بذات الله اصبح شغلهُ ... واكثر ما يعنى بهِ الغزو والحجُّ
تضيق عيون الناس عن نور وجهه ... اذا ما بدا للناس منظرهُ البلجُ
وان امين الله هرون بالندى ... ينيل الذي يرجوهُ اضعاف ما يرجو

وقال ابو معلّى الكلابي

فمن يطلب لقاءك او يردهُ ... فبالحرمين او اقصى الثغورِ
ففي ارض العدوّ عليك طمرٌ ... وفي ارض الثنيَّة فوق كورِ

والحّ عليهِ في بعض غزواتهِ الثلج فقال لهُ بعض اصحابهِ اما ترى يا اميرالمؤمنين ما نحن فيهِ من الجهد والرعيةُ وادعة فقال اسكت على الرعية المنام وعلينا القيام ولابدّ للراعي من حراسة رعيتهِ . فقال بعض الشعراء في ذلك

غضبت لغضبتك القواطع والقنا ... لما نهضت لنصرة الاسلامِ
ناموا الى كنفٍ لعدلك واسعٍ ... وسهرت تحرس غفلة النوّامِ

وكان الرشيد اذا حجّ يحجّ معهُ مائة من الفقهاء وابنائهم واذا لم يحجّ احجّ ثلاثمائة بالنفقة التامة والكسوة الطاهرة . وكان يصلّي كل يومٍ مائة ركعة الى ان فارق الدنيا . الاّ ان يعرض لهُ علةٌ . وكان يتصدّق في كل يومٍ من صلب مالهِ بالف درهم بعد زكاته . وكان يقتفي اخلاق المنصور ويطلب العمل بها . وكان لا يضيع عندهُ احسان محسنٍ . وكان يميلُ الى اهل الادب والفقه ويكره المراء في الدين ويحبّ الشعراء والشعر والمدح لاسيما من شاعرٍ فصيح

ودخل عليهِ يوماً مروان بن ابي حفصة فانشدهُ

وسدّت بهرون الثغور واحكمت ... بهِ من امور المسلمين المرائرُ

وما انفك معقوداً بنصرٍ لواؤهُ | له عسكرٌ عنه تسطى العساكرُ
فكل ملوك الروم اعطوهُ جزيةً | على الرغم قسراً عن يدٍ وهو صاغرُ
الى وجههِ تسهو العيون وما سهت | الى مثل هرون العيون النواظرُ
ترى حوله الاملاك من آل هاشمٍ | كما حفت البدرَ النجومُ الزواهرُ
اذا فقد النــــاس الغمام تتابعت | عليهم بكفيك الغيوث المواطرُ
على ثقةٍ القت اليك امورهـــا | قُرَيش كما القى عصاهُ المسافرُ
فطوراً يهرون القواطع والقنا | وطوراً بايديهم تهزُّ المخاصرُ
يهنيكم الملك الذي اصبحت بكم | اسرتهُ مختـــالةً والمنابرُ
ابوك وليُّ المصطفى دون هاشمٍ | وان رغمت من حاسديك المناخرُ

فاعطاهُ عشرة الاف دينار وكساهُ وامر له بعشرةٍ من الرقيق الروم وحمله على برذون

وللرشيد اشعارٌ حسان . منها قوله في ثلاث جوار

ملك الثلاث الغانيات عناني | وحللنَ من قلبي بكلِّ مكانِ
ما لي تطاوعني البرية كلها | واطيعهنَّ وهنَّ في عصياني
ما ذاك الاَّ انَّ سلطان الهوى | وبهِ قوينَ اعزُّ من سلطاني

وكان الرشيد طيّبَ النفس فكهاً يحب المزاح وكان مع حبهِ اللهو كثير البكاء من خشية الله محبًا للمواعظ . قد وعظه الفضيل بن عياض وابن السمّاك والعمري وغيرهم

قال منصور بن عمار ما رأيتُ اغزر دمعًا عند الذكر من ثلاثةٍ الفضيل بن عياض وابو عبد الرحمن الزاهد وهرون الرشيد وكان نقش خاتمهِ (كُن من الله على حذرٍ) وكان طلق الوجه حسن الرأي والتدبير ليّن الجانب وكان يجلس مع الناس على الطعام ويبذل الصلاة ويزور الصالحين وقال يومًا لمروان بن ابي حفصة . صفني بما فيَّ فقال اعفني يا امير المومنين فقال لابدَّ . فقال والله انك من اعدل الناس واجود الناس واكسل الناس . فقال كيف تقول ذلك وقد سوَّغت حركاتي غزواً وجهاداً . فقال ما كسلك من هذا ولكن ان تأمر لي بالف دينار وما تفعل وما ارى يمنعك الاَّ الكسل فضحك وامر له بخمسمائة دينار فقال واعجب من هذا انك اعييت وحطيت في نصف الطريق

ذكر اولادهِ

وهم محمد الامين وعبدالله المأمون ومحمد المعتصم وكلهم وُلوا الخلافة وابو سليمان وابو علي محمد وابو ايوب محمد وكان فاضلاً وله شعرٌ حسن وابو احمد محمد وابو عيسى محمد وابو يعقوب محمد

وابو احمد محمد والسبتي الزاهد الذي يزار وصالح وولاّه اخوه المأمون البصرة وحجّ بالناس . والقاسم وابو محمد واروى وام سلمة وخديجة وام جعفر وام القاسم وريطة وحمدونة وسكينة وام محمد وام علي وام حسن وام عزام وهي زوجة محمد بن علي بن موسى الرضى وام ابيها وام الفضل وام حبيب ونادرة وفاطمة وغالية وابو اسحق وحجّ وولاّه اخوه المأمون الشام وعلي المؤتمن وحجّ بالناس . وكل واحدة من بناته تعدّ عشرة من الخلفاء كلٌ لها محرمٌ هرون ابوها والهادي عمها والمهدي جدّها والمنصور جدّ ابيها والسفاح عم جدّها والامين والمأمون والمعتصم اخوتها والواثق والمتوكل ابناء اخيها

ذكر قضاته وحجّابه

وزّر له يحيى بن خالد البرمكي وابناهُ الفضل وجعفر وعزلهم واستوزر الفضل بن الربيع اخر ايامه واستقضى ابا يوسف يعقوب صاحب ابي حنيفة ثم الواقدي واستحجب بشار بن ميمون مولاه ومحمد بن خالد بن برمك

واتاهُ يومًا رجلٌ من الزهاد فقال يا هرون اتق الله فاخذه فخلا به وقال يا هذا انا شرٌّ ام فرعون قال بل فرعون قال فانت خيرٌ ام موسى قال موسى قال فما تعلم ان الله تعالى لما بعثه واخاه اليه قال فقولا له قولاً ليّنًا وانت قد جبهتني باغلظ الالفاظ فما بأدب الله تأدّبت ولا باخلاق الصالحين اخذت قال اخطأت وانا استغفر الله قال غفر الله لك وامر له بعشرين الف درهم فأبى ان يأخذها وانصرف

وفي هذه السنة مات الربيع بن يونس بن محمد بن فروة واسم ابي فروة كيسان مولى ابي جعفر المنصور. قال الصولي لم يزل الربيع وزير المنصور حتى توفي المنصور بمكة واخذ الربيع للمهدي البيعة فشكر المهدي له ذلك وجعله حاجبه ولم يستوزره . وقد ذكروا انهم لم يروا في الحجابة اعرف من الربيع ومن ولده الفضل حجب لهرون الرشيد ولمحمد الامين وابنه عباس بن الفضل حجب للامين فعباس حاجب بن حاجب بن حاجب . وقد مدحهم ابو نوّاس فقال

ساد الملوك ثلاثةٌ ما منهمُ ... ان حصلوا الّا اغرّ قريعُ
عباسُ عباسٌ اذا احتدم الوغى ... والفضل فضلٌ والربيع ربيعُ

وفيها مات فتح بن محمد بن وشاح ابو محمد الازدي الموصلي . وذكر المعافا بن عمران انه لم يكن اعقل منه وليس هذا بفتح الموصلي المكنّى بابي نصر فان ابا نصر مات سنة عشرين ومائتين واكثر الحكايات عن ابي نصر لا عن ابي محمد وفيها مات الهادي موسى بن المهدي واختلفوا في سبب موته . قال بعضهم قرحة كانت سبب موته . وحكى ابو جعفر بن جرير الطبري عن جماعة انهم قالوا ان الخيزران امه امرت

بقتله وانكر غيره ذلك قالوا كانت في اوّل خلافته تفتات عليه في امور ونسلك به مسلك ابيه المهدي في الاستبداد بالامر والنهي دونه وكانت اذا سألته حاجةً قضاها فارسل اليها لا تخرجي من خفر الكفاية الى بذاذة التبذّل فانه ليس من قدر النساء الاعتراض في امر الملك وعليكِ بصلاتكِ وسبحتكِ ولكِ بعد هذا طاعة مثلكِ . فكلمته يومًا في امرٍ فاعتلّ بعلّةٍ قالت لابدّ من اجابتي قال لاافعل فقالت فاني قد ضمنت قضاء هذه الحاجة قال والله لااقضيها لكِ فقالت انت والله لا اسألك حاجةً ابدًا فقال اذن والله لاابالي وغضبت وقامت مغضبةً فقال مكانكِ حتى تستوعبي كلامي والله والّا فانني نفيٌ من قرابتي من رسول الله (صلعم) لئن بلغني انه وقف ببابكِ احدٌ لاضربنّ عنقه ولاقبضنّ ماله ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابكِ أما لكِ مغزلٌ يشغلك او مصحف يذكركِ ويصونكِ اياكِ اياكِ ثم اياكِ ان تفتحي بابكِ لشريفٍ اووضيعٍ فانصرفت وهي لا تعقل

قال ابن جرير الطبري وذكر قومٌ ان سبب موت الهادي انه لما اخذ في خلع هرون والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على هرون منه ودسّت من جواريها من غمّه لما مرض وجلس على وجهه ووجّهت الى يحيى بن خالد ان الرجل قد توفي فاجدد في امرك وكان الهادي قد امر ان لا يسار قدام الرشيد بجنائب واجتنبه الناس وتركوه وطابت نفس هرون بالخلع لشدّة خوفه على نفسه فخلعة جماعة من القوّاد . ودخل هرون على موسى فقال له يا هرون كأني بك تحدّث نفسك بتمام الرؤيا فقال اني لارجوان يفضي الامر اليّ فانصف واصل فقال له ذلك الظن بك واجلسه معه وامر له بالف الف دينار وكانت الرؤيا ان المهدي قال رأيت في منامي كأني دفعت الى موسى قضيبًا والى هرون قضيبًا فاورق من قضيب موسى اعلاه قليلاً واورق قضيب هرون من اوله الى اخره فدعا المهدي الحكم ابن موسى فقال عبّر هذه الرؤيا فقال يملكان جميعًا فتقلّ ايام موسى ويبلغ هرون اخر مدى ما عاش خليفة وتكون ايامه احسن ايام فلم يلبث الهادي الّا يسيرًا حتى اعتلّ ثلاثة ايام ومات

وحكى ابو بكر الصولي قال جرح على ظهر قدمه بثرةٌ فصارت كاللوزة وافتصد فمات بعد ثلاثٍ. وجاءت امه الخيزران وبه رمق فاخذت الخاتم من يده وقالت اخوك احق بهذا الامر منك وهو يرى ذلك ولايقدر على حيلةٍ . توفي بعيساباذ للنصف من ربيع الاول وقيل لثلاث عشرة بقينَ منه وهوابن ست وعشرين سنة وصلى عليه اخوه هرون الرشيد ودُفن بعيساباذ . وكانت خلافته سنة وشهرًا وثلاثة عشر يومًا

ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائة فيها مات المفضل بن محمد بن معلّى الضبي سمع سماك بن حرب وابا اسحق السبيعي والاعمش وغيرهم وروى القرآآت عن عاصم وروى عنه الكسائي والفرّاء وكان راوية الاداب وايام العرب علّامة موثوقًا في روايته قال جحظة قال الرشيد للمفضّل الضبّي قل ما

احسن ما قيل في الذئب ولك هذا الخاتم الذي في يدي وشراؤه بالف وستمائة دينار قال قول الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

فقال ما القي هذا على لسانك الا ذهاب الخاتم ورماه اليه فاشترته ام جعفر بالف وستمائة دينار وبعثت به اليه فقالت قد كنت اراك تعجب به فالقاه الى الضبي وقال خذه وخذ الدنانير فما كنا نهب شيئا فنرجع فيه

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة فيها ماتت الخيزران جارية المهدي اشتراها فاعتقها وتزوجها فولدت له موسى الهادي وهرون الرشيد ولم تلد امرأة خليفتين غير ثلاث نسوة هي احداهن والثانية ولادة العبسية بنت العباس زوجة عبد الملك بن مروان ام الوليد وسليمان والثالثة شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد وابرهيم فوليا الخلافة . وقد اسندت الخيزران الحديث عن المهدي عن ابيه عن جده عن ابن عباس عن النبي (صلعم) قال من اتقى الله وقاه الله قال هرون بن عبدالله بن المأمون لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها يا جارية انك لعلى غاية من المنى ولكنك خمشة الساقين فقالت يا امير المومنين انك احوج ما تكون اليها ان لا تراها . فقال اشتروها فحظيت عنده فأولدها موسى وهرون

قال الواقدي دخلت على المهدي بمحبرة ودفتر وكتب عني اشياء احدثه بها ثم نهض وقال كن مكانك حتى اعود اليك ودخل دار الحرم ثم خرج متنكرا ممتلئا غضبا فلما جلس قلت يا امير المومنين خرجت على خلاف الحال التي دخلت عليها . قال نعم دخلت على الخيزران فوثبت الي ومدت يدها الي وخرقت ثوبي وقالت لي يا قشاش واي خير رأيت منك . وانما اشتريتها من نخاس ورأت مني ما رأت وعقدت لابنيها بولاية العهد ويحك وانا قشاش . قال فقلت يا امير المومنين قال رسول الله (صلعم) انهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام . وقال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي . وقال خلقت المرأة من ضلع اعوج ان قومته كسرته . وحدثته من هذا الباب بكل ما حضرني فسكن غيظه واسفر وجهه وامر لي بألفي دينار . وقال اصلح بهذه من حالك وانصرفت فلما وصلت الى منزلي وافاني رسول الخيزران فقال تقرأ عليك السلام سيدتي وتقول يا عم قد سمعت جميع ما كلمت به امير المومنين فاحسن الله جزاءك وهذه الفا دينار الا عشرة بعثت بها اليك لاني لم احب ان اساوي صلة امير المومنين ووجهت لي باثواب

قال ابو بكر الصولي لما ولي محمد بن سليمان البصرة اهدى الى الخيزران مائة وصيف بيد كل وصيف جام من ذهب مملوء مسكا فقبلت ذلك وكتبت اليه وقالت عافاك الله ان كان ماوصل

الينا منك ثمن رأينا فيك فقد بخستنا في القيمة وان كان وزن ميلك الينا فظنّنا بك فوقهُ

قال ابن الاعرابي كتب المهدي الى الخيزران وهي بمكة شرّفها الله تعالى

نحن في افضل السرور ولكن ليس الاّ بكم يتمّ السرورُ
ضر ما نحن فيهِ يا اهل ودّي انكم غيّبٌ ونحن حضورُ
فاجدّوا في السير بل ان قدرتم ان تطيروا مع الرياح فطيروا

فاجابته

قد اتانا الذي وصفت من الشوق فكدنا وماقدرنا نطيرُ
ليت انّ الرياح كنّ يؤدينَ اليكم ما قد يجنّ الضميرُ
لم ازل صبّةً فان كنت بعدي في سرور فدام ذاك السرورُ

وتوفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلثٍ بقينَ من جمادى الاخرة هذه السنة ودفنت في مقابر قريش .

قال يحيى بن الحسن ان اخاهُ حدّثهُ قال رأيت الرشيد يوم ماتت الخيزران وعليهِ طيلسان ازرق قد شدّ وسطهُ وهو اخذٌ بقائم السرير حافيًا يعدو في الطين حتى اتى مقابر قُريش فغسل رجليهِ ودعا بخفٍّ فصلى عليها ودخل قبرها فلما خرج من المقبرة وضع لهُ كرسي فجلس عليهِ ودعا الفضل ابن الربيع وقال وحق المهدي اني لاهمّ بالشيء لك من الليل من التولية وغيرها فتمنعني امي فاطيع امرها فخذ الخاتم من جعفر. فانصرف الرشيد من جنازتها يتمثل بقول متمم بن نويرة

وكنّا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا اصاب المنايا رهط كسري وتُبّعا
فلما تفرّقنا كأنّي ومالكًا لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

وكانت غلّة الخيزران مائتا الف الف وستين الف الاّ درهم فانسع الرشيد بغلتها واقطع الناس ضياعها

وفيها ماتت غادر جارية الهادي . حكى جعفر بن قدامة قال كان لموسى الهادي جارية يقال لها غادر وكانت من احسن النساء وجهًا وغناء وكان يحبها حبًّا شديدًا فبينا هي تغنيهِ يومًا عرض لهُ فكرٌ وسهوٌ تغيّر لهُ لونهُ فسئل عن ذلك فقال وقع في فكري اني اموت وان اخي هرون يلي الخلافة بعدي ويتزوّج جاريتي هذه فقيل لهُ نعيذك بالله ونقدم الكل قبلك فأمر باحضار اخيهِ وعرّفهُ ما خطر لهُ فاجابهُ بما يوجب زوال هذا الخاطر فقال لا ارضى حتى تحلف لي ان متى متُّ لم تتزوّجها فاحلفهُ واستوفى عليهِ الايمان من الحج راجلًا وطلاق الزوجات وعتق المماليك وتسبيل ما يملكهُ ثم نهض اليها فاحلفها مثل ذلك فما لبث الاّ نحو شهرٍ حتى توفي وولي الرشيد فبعث يخطب الجارية فقالت فكيف

يمني ويمينك فقال اكفر عن الكل واحج راجلاً فتزوجها وزاد شغفهُ بها على شغف اخيهِ حتى انها كانت تضع رأسها في حجرهِ وتنام فلا يتحرك حتى تنتبه فبينما هي ذات يوم على ذلك انتبهت فزعةً تبكي فسألها عن ذلك فقالت رأيت اخاك الساعة وهو يقول

اخلفت وعدي بعد ما جاورتُ سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في ايمانك الكذب الفواجر
ونكحت غادرةً اخي صدق الذي سماك غادر
امسيتُ في اهل البلى وغدوتُ في الحور الغرائر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدُر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصباح وصرت حيث غدوتُ صائر

والله يا امير المومنين فكأني اسمعها وكانما كتبها في قلبي فما انسيت منها كلمةً . فقال الرشيد لها اضغاث احلام فقالت كلاَّ . ثم لم تزل تضطرب وترتعد حتى ماتت بين يديهِ وفيها ماتت هيلانة جارية الرشيد . قال الاصمعي كان الرشيد شديد الحب لهيلانة وكانت ليحيى بن خالد فاستوهبها منهُ حتى غلبت على قلبهِ فكانت تكثران تقول هي لانه فسماها هيلانة . فاقامت عنده ثلاث سنين ثم ماتت فوجد عليها وجدًا شديدًا وانشد

قد قلت لما ضمنوكِ الثرى وجالت الحسرة في صدري
روحي فلا والله لا سرني بعدك شيء آخر الدهرِ

وامر الرشيد العباس بن الاحنف ان يرثيها فقال فيها

يا من تباشرت القبور بموتها قصد الزمان مضرَّني فرماكِ
ابغي الانيس فلا ارى لي موءنسًا الاَّ التردد حيث كنت اراكِ
ملكٌ بكاكِ وطال بعدكِ حزنهُ لو يستطيع بملكهِ لفداكِ
يحمي الفوءاد عن النساء حفيظةً كي لايحلُّ حمى الفوءاد سواك

فامر لهُ باربعين الف درهم لكل بيت عشرة الاف درهم وقال لو زدت لزدناك

ثم دخلت سنة اربع وسبعين ومائة فيها حجَّ الرشيد وبدأَ بالمدينة فقسم في اهلها مالاً عظيمًا ووقع الوبأُ في هذه السنة بمكة شرَّفها الله تعالى فابطأَ عن دخولهِ فقضى طوافهُ وسعيهُ ولم يزل بمكة وفيها مات منصور مولى عيسى بن جعفر ولقبهُ زلزل فغلب عليهِ ونسي اسمهُ وكان يضرب بالعود فضرب بهِ المثل . وعمل ببغداد بركة للسبيل وكان يضرب بها المثل وانشد نفطويهِ لنفسهِ

لوان زهيرًا وامرأَ القيس ابصرا ملاحةَ ما تحويهِ بركةُ زلزلِ

لمـــا وصفا سلمى ولا ام سالم ولاكثر اذكر الدخول فحومل

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة . فيها عقد الرشيد لابنهِ محمد الامين بعدهُ بولاية العهد واخذ لهُ البيعة على القواد والجند ببغداد وسمّاهُ الامين ولهُ يومئذٍ خمس سنين فقدّمهُ على المأمون والمأمون اكبر منهُ لاجل امهِ زبيدة

وكان الرشيد يقول والله اني لاتعرّفُ في عبد الله يعني المأمون حزم المنصور ونسك المهدي وعزة نفس الهادي فلو شاء ان انسبهُ الى الرابعة فيّ لنسبتهُ . اني لأرضى سيرتهُ واحمد طريقتهُ واستحسن سياستهُ وارى قوّتهُ وذهنهُ وامن ضعفهُ ووهنهُ واني لاقدّم محمداً عليهِ واعلم انهُ منقاد لهواهُ متصرف في طريقهِ مبذرٌ لما حوتهُ يدهُ مشارك للنساء والاماء في رأيهِ ولولا ام جعفر وميل بني هاشم اليهِ لقدّمت عبد الله عليهِ . ثم جعل يرى فضل المأمون وعقلهُ فندم على تقديم محمد فقال

لقد بان وجه الرأي بي غير انني غلبت على الرأي الذي كان احزما
وكيف يردُّ الدرُّ في الضرع بعدما توزّع حتى صار نهبـــاً مقسَّما
اخاف التواء الامر بعـــد استوائهِ وان ينقض الحبل الذي كان ابرمًا

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة . قال الصولي في هذه السنة بايع الرشيد لابنهِ عبد الله المأمون بالعهد بعد الامين وسمّاهُ المأمون وولاهُ المشرق كلهُ وكتب بينهما كتاباً وعلقه في البيت الحرام

وفيها مات ابرهيم بن علي بن سلمة بن هرمة ابو اسحق الفهري المدني شاعر مفلق فصيح مسهب مجيد ادرك دولة الامويين والهاشميين وكان ممن اشتهر بالانقطاع الى الطالبيين

قال ابرهيم بن عرفة تحوّل المنصور الى مدينة السلام ثم كتب الى اهل المدينة ان يوفدوا عليهِ خطباءهم وشعراءهم وكان ممّن وفد عليهِ ابرهيم بن هرمة قال فلم يكن في الدنيا خطبة ابغض اليَّ من خطبةٍ تقربني منهُ واجتمع الخطباء والشعراء من كل مدينةٍ وعلا المنصور سريره والناس من ورائهِ ولا يرونهُ . وابو الخصيب حاجبهُ قائم يقول هذا فلان شاعر فيقول حتى كتبت اخر من بقي فقال يا امير المومنين هذا ابن هرمة . فسمعتهُ يقول لا مرحباً ولا اهلاً ولا انعم الله بهِ عيناً . فقلت انّا لله وانّا اليهِ راجعون ذهبت والله نفسي . ثم رجعت الى نفسي . فقلت يا نفس هذا موقفٌ ان لم تشتدّي فيهِ هلكتِ . فقال ابو الخصيب انشد فانشدت حتى اتيت الى قولي

فأمّا الذي امنتهُ تأمن الردى وأمّا الذي حاولت بالثكل ثاكلُ

فقال يا غلام ارفع عني الستر فرفع فاذا وجههُ كأنهُ فلقة قمر ثم قال تمم القصيدة . فلما فرغت قال أدن فدنوت ثم قال اجلس فجلست وبين يديهِ مخصرة فقال يا ابرهيم قد بلغني عنك اشياء لولا ذلك لفضلتك على نظرائك فاقرّ بذنوبك اعفها عنك . فقلت هذا رجلٌ فقيهٌ عالمٌ وانما يريد يقتلني

بحجة تجب عليَّ . فقلت يا امير المؤمنين كل ذنب بلغك مما عفوت عني فانا مقرٌّ به فتناول المخصرة فضربني بها فقلت

اصبرُ من ذي ضاغطٍ عن كركٍ   القى بوادي زورهِ للمبركِ

ثم ضربني ثانيةً فقلت

اصبر من عودٍ بجنبيهِ حلب   قد اثر البطان فيهِ للحقب

فقال قد امرت لك بعشرة الاف درهم وخلعة والحقتك بنظرائك من طريح بن اسمعيل ورؤبة بن العجاج وايَّاك ان يبلغني عنك امرٌ اكرههُ لاقتلنك قلت نعم انت في حلٍّ وسعةٍ من دمي ان بلغك امرٌ تكرههُ . قال ابن هرمة فاتيت المدينة فاتاني رجلٌ من الطالبيين فسلّم عليَّ فقلت تنحَّ عني لا تسبط بدمي

وفيها مات صالح بن بشر ابو بشر القارئ المعروف بالمريّ من اهل البصرة وكان مملوكًا لامرأةٍ من بني سرة بن الحرث . حدَّث عن الحسن وابن سيرين وكان عبدًا صالحًا كثير الخوف شديد البكاء وكان يذكر ويعظ حضر مجلسهُ سفيان الثوري فقال هذا نذير قومٍ

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة فيها مات شريك بن عبد الله ابو عبد الله النخعي الكوفي القاضي ادرك عمر بن عبد العزيز ولقيا اسحق السبيعي ومنصور بن المنهمر والاعمش وخلقًا كثيرًا . روى عن ابن المبارك ووكيع وابن مهدي وغيرهم وهو من كبار العلماء الثقات الَّا ان قومًا قدحوا في حفظهِ . قال ابن يمان لما ولي شريك القضاء اكره على ذلك فاقعد جماعة من الشرط يحفظونهُ ثم طاب الشيخ فقعد من نفسهِ فبلغ الثوري انهُ قعد من نفسهِ فجاء فتراياله فلما رأى الثوري قام اليهِ فاكرمهُ وعظَّمهُ ثم قال يا ابا عبد الله هل من حاجةٍ قال نعم مسألة . قال اوليس عندك من العلم ما يجزيك قال احبُّ ان اذكرك فيها قال قُل . قال فما تقول في امرأةٍ جاءت فجلست على باب رجلٍ ففتح الباب واحتملها ففجر بها لِمَن الحدُّ منها فقال لهُ دونها لانها مغصوبة . قال فانهُ لما كان من الغدّ جاءت فتزيّنت وتبخرت وجلست على ذلك الباب ففتح الرجل البـــاب فرآها فاحتملها ففجر بها لِمَن الحدُّ منها قال احدُهما جميعًا لانها جاءت من نفسها وقد عرفت الخبر بالامس . قال الثوري انت كان عذرك حيث كان الشرط يحفظونك اليوم اي عذرٍ لك قال يا ابا عبد الله اكلمك فقال ما كان الله ليراني وانا اكلمك او تتوب . قال ووثب فلم يكلمهُ حتى مات وكان اذا ذكرهُ قال اي رجلٍ كان لو لم يفسدوهُ كان شريك على قضاء الكوفة فخرج يتلقَّى الخيزران فبلغ شاهًا وابطأَت الخيزران فاقام ينتظرها ثلاثًا ويبس خبزهُ فجعل يبلهُ بالماء وياكلهُ فقال العلا بن النكال

فان كان الذي قد قلت حقًّا   بان قد اكرهوك على القضاء

فما لك موضعًا في كل يوم تلقى من يحجّ من النساء
مقيمٌ في قرى شاهـا تلاثًا فما زادٌ سوى خبزٍ ومـاء

وكان شريك القاضي لايجلس حتى يتغدّى ثم يأتي المجلس فيصلي ركعتين ثم يخرج رفعة قمطر فينظر فيها ثم يدعو بالخصوم وانما كان يقدمهم الاول فالاول . فقيل لابن شريك نحبُّ ان نعلم ما في هذه الرقعة فنظر فيها ثم اخرجها الينا فاذا فيها . يا شريك بن عبدالله اذكر الصراط وحدته . يا شريك ابن عبدالله اذكر الموقف بين يدي الله تعالى . وتوفي شريك بالكوفة يوم السبت غرّة ذي القعدة هذه السنة

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة فيها فوّض الرشيد امورهُ الى يحيى بن برمك

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة وفيها مات اسمعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ابو هاشم الحميري تلقّب بالسيد وكان شاعرًا مجيدًا وكان يقول بامامة محمد بن الحنفية ويقول انه مقيم بجبل رضوى وانه لم يمت وقال في ذلك

أَلا قُل للوصي فَدَتكَ نفسي اطلت بذلك الجبل المقاما
اضرَّ بمعشرٍ وآلـوك منّا وسمّوك الخليفة والاماما
وعادوا فيك اهل الارض طرًّا مقامك فيهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موتٍ ولا وارت له ارضٌ عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى تراجعه الملائكةُ الكراما
هدانا الله اذ حـزتم لامرٍ به ولديه نلتمسُ التماما
تمام امامة المهديّ حتى يروا اياتنا تترى نظاما

وكان الحميري يشرب الخمر ويقول بالرجعة قال لرجل تعطيني دينارًا بمائة دينار الى الرجعة قال نعم ان وثقت لي بمن يضمن لي انك ترجع انسانًا انما اخشى ان ترجع كلبًا او خنزيرًا فيذهب مالي

وفيها مات مالك بن انس بن ابي عامر بن الحرث بن غمّان بالغين المعجمة بن عمرو بن الحرث وكان طوالاً عظيم الهامة اصلع شديد البياض الى الشقرة ابيض الراس واللحية رأى خلقًا من التابعين وروى عنهم وكان ثقةً حجةً يلبس الثياب العدنية الجياد وكان نقش خاتمه . حسبي الله ونعم الوكيل . فقيل له لِمَ نقشت هذا فقال سمعت الله تعالى يقول عقيب هذه الاية فانقلبوا بنعمةٍ من الله . وكان اذا دخل بيته فادخل رجله قال ما شاء الله وقال سمعت الله يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله قال مالك بن انس ما افتيت حتى شهد لي سبعون اني اهلٌ لذلك وروي ان الرشيد حجّ وجعل

طريقه على المدينة فقال هل بقي احدٌ من الصحابة قالوا لا تفانوا فقال مَن هاهنا من العلماء التابعين فقيل مالك بن انس الاصبحي وقد جمع كتاباً فيه السنن والفرائض قال فليأتي بكتابه . فقيل لهُ ان امير المومنين يطلب ان تحضرهُ كتابك الذي جمعت فقال لا افعل فقيل له هذا رجل جبارٌ ونخاف عليك منهُ فقال ان كان ولابد فانني اذلُّ نفسي ولا اذلُّ علي . فأتى امير المومنين فاكرمهُ واعظمهُ ورفع مجلسهُ ثم قال نريد يا ابا عبدالله ان نقف على كتابك الذي فيه الفرائض والسنن فقال يا امير المومنين حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي (صلعم) قال ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع فامش ولا تركب فمشى الرشيد معهُ راجلاً الى منزل مالك فاجلسهُ على اديمٍ ثم دخل فنصَّ منصته ثم اذن لهُ فدخل فاجلسهُ معهُ على منصته فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي (صلعم) انهُ قال ان العالم اذا تخصص لا ينتفع بهِ الخاص ولا العام وهذا يا امير المومنين كتابٌ قد جمعت فيهِ الفرائض والسنن فنادِ في الناس فليحضر من احب ان يسمعهُ . فنادى فحضر الناس حتى اذا اخذوا مجالسهم قال الرشيد حدِّثنا يا ابا عبدالله فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي (صلعم) انهُ قال من تواضع للعلم رفعهُ الله فانزل يا امير المومنين واجلس مع الناس ففعل فحدَّث مالك بالكتاب فلما انتهى قال يا امير المومنين اصعد اليَّ فلمَّا صعد قال ما سميت هذا الكتاب قال سميتهُ الموطأ لانك توطأت لنا فشكرهُ ونهض فانفذ لهُ خمسمائة دينار وبغلاً وفرساً وحماراً فقبل المال ورد الدواب وقال ما كنت لاركب دابةً في تربة النبي (صلعم) مدفون في ترابها فلما حجَّ الرشيد اجتمع بسفيان بن عيينة وسمع منهُ فلما عاد الى بغداد قال توطأ نا المالك فانتفعنا بعلمه ورحم الله سفيان . وقال مالك عند الموت بعد ما تشهَّد . لله الامر من قبل ومن بعد وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة في خلافة الرشيد وصلى عليهِ والي المدينة عبدالله بن محمد ودفن في البقيع وهو ابن خمس وثمانين سنة

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة فيها مات عافية بن يزيد بن قيس القاضي . ولاَّهُ المهدي القضاء ببغداد في الجانب الشرقي وحدَّث عن محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى والاعمش وغيرهما وكان من اصحاب ابي حنيفة الذين يجالسونهُ وكان اصحابهُ يخوضون في مسألةٍ فان لم يحضر عافية قال ابو حنيفة لا ترفعوا المسئلة حتى يحضر عافية فاذا حضر فان وافقهم قال ابو حنيفة اثبتوها وان لم يوافقهم قال ابو حنيفة لا تثبتوها . وكان عافية هو وابن علاثة فكانا يقضيان في عسكر المهدي في جامع الرصافة هذا في ادناهُ وهذا في اعلاهُ وكان عافية عالماً زاهداً فصار الى المهدي في وقت الظهر في يومٍ من الايام وهو خالٍ فاستأذن عليهِ فادخلهُ فاذا معهُ قمطره فاستعفاهُ من القضاء واستأذنهُ في تسليم القمطر الى من يأمر بذلك . فظنَّ ان بعض الاولياء قد غضَّ منهُ او اضعف يدهُ في الحكم فقال لهُ في ذلك فقال ما جرى من هذا شيء قال فما كان سبب استعفائك قال كان يتقدَّم اليَّ

خصمان موسران وجيهان منذ شهرين في قصةٍ معضلة مشكلة كلٌّ يدَّعي بينة وشهودًا ويدلي بحجج تحتاج الى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء ان يصطلحوا او يعن لي وجه فصلٍ ما بينهما قال فوقف احدهما من خبري اني احب الرطب بالسكر فعمد في وقتنا وهو اول اوقات الرطب الى ان جمع رطبًا مسكرًا الاينهياً في وقتنا جمع مثلهِ لامير المؤمنين احسن منهُ ورشا بوابي جملة دراهم على انهُ يدخل الطبق عليَّ ولا يبالي ان يرد فلما أُدخل عليَّ انكرت ذلك وطردت بوَّابي وامرت برد الطبق فردَّ فلما كان اليوم تقدَّم اليَّ مع خصمهِ فما تساويا في قلبي ولا في عيني وهذا يا امير المؤمنين ولم اقبل فكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن ان يقع عليَّ حيلة في ديني فاهلك . وقد فسد الناس فاقلني اقالك الله واعفني فاعفاهُ

قال ابن الاعرابي خاصم ابو دلامة رجل الى عافية القاضي فقال

لقد خاصمتني غراة الرجال وخاصمتهم سنةً وافيه

فما ادحض الله لي حجةً وما خيَّب الله لي قافيه

فمن كنت من جورهِ خائفًا فلست اخافك يا عافيه

فقال لهُ عافية لاشكونَّك الى امير المؤمنين قال لِمَ تشكوني قال لانك هجوتني قال والله لئن شكوتني اليهِ ليعزلنَّك قال ولِمَ قال لانك لاتعرف الهجاء من المدح

وفيها مات عمرو بن عثمان بن قنبر ابو بشر المعروف بسيبويه النحوي مولى بني الحرث بن كعب وقيل مولى آل الربيع بن زياد وتفسير سيبويه رائحة التفاح وكانت والدتهُ ترقصهُ في الصغر بذلك . قال ابرهيم سمي سيبويه لان وجنتيه كانتا كانهما تفاحةٌ وكان قد صحب المحدثين والفقهاء وتطلب الآثار وكان يشتمل على حمَّاد بن سلمة فلحن في حرفٍ فعابهُ حمَّاد فانف من ذلك ولزم الخليل فبرع في النحو وقدم بغداد وناظر الكسائي. قال ابو سعيد السيرافي اخذ سيبويه اللغات عن ابي الخطاب الاخفش وغيرهِ وعمل كتابهُ الذي لم يسبقه احدٌ الى مثلهِ ولا يلحق بهِ من بعدهُ وكان كتابهُ بشهرتهِ عند النحويين علمًا . فكان يقال في البصرة قرأ فلانٌ الكتاب فيعلم انهُ كتاب سيبويه . قال ابو بكر لما قدم سيبويه بغداد فناظر الكسائي واصحابهُ فلم يظهر عليهم فسأل من يبذل من الملوك ويرغب في النحو فقيل طلحة بن طاهر فشخص اليهِ الى خراسان فلما انتهى اليهِ الى ساوة مرض مرضهُ الذي مات فيهِ فتمثَّل عند الموت وقال

يؤمّل دنيـــا لتبقى لهُ فمات المؤمّل قبل الامل

حثيثًا يروي اصول الفسيل فعاش الفسيل ومات البطل

ولما احتضر سيبويه وضع رأسهُ في حجر اخيهِ فاغمي عليهِ فدمعت عين اخيهِ فأفاق فرآهُ يبكي فقال

وكنّا جميعًا فرّق الـدهر بيننا　　الى الامد الاقصى فمن يأ من الدهرا

قال الخطيب ويقال انّ سنّهُ كانت اثنين وثلاثين سنةً

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة فيها غزا الرشيد ارض الروم فافتتح بها عنوةً حصن الصفصاف. فقال فيهِ مروان بن ابي حفصة

ان اميرالمومنين المصطفا　　قد ترك الصفصاف قاعًا صفصفا

وفيها مات ابن المبارك وهو عبدالله بن المبارك ابو عبد الرحمن الرفدي مولى بني حنظلة كان ابوهُ تركيًا عبدًا لرجلٍ من التجارمن همذان من بني حنظلة وكان عبدالله اذ قدم همذان يخضع لوالديهِ ويطعمهم وكانت امهُ خوارزمية ولد سنة ثمان عشرة ومائة وسمع هشام بن عروة واسمعيل بن ابي خالد والاعمش وسليمان التيمي وحميدًا الطويل ومالكًا وابن عون والثوري والاوزاعي وغيرهم وكان من ايمة المسلمين الموصوفين بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة ولهُ التصانيف الحسان والشعر المتضمن الزهد والحكمة وكان من اهل المعرفة والمرابطة وكان ابن عيينة يقول نظرت في امر الصحابة وامر ابن المبارك فما رأيت لهم عليهِ فضلاً الاّ بصحبتهم لرسول الله (صلعم) . قال اسمعيل بن عياش ما على وجه الارض مثل عبدالله بن المبارك . ولا اعلم ان الله لم يخلق خصلةً من خصال الخير الاّ وقد جعلها فيهِ . ولقد حدثني اصحابي انهم صحبوهُ من مصر الى مكّة شرّفها الله تعالى فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم قال الحسن بن عرفة قال ابن المبارك استعرت قلمًا بارض الشام فذهبت على ان اردهُ لصاحبهِ فلما قدمت مرو نظرت فاذا هو معي فرجعت يا ابا علي الى الشام حتى رددتهُ الى صاحبهِ . واشتهى مرّةً جاريةً وكان يشكو العزوبة فلما استبرأها ودخل بها لم يمسها . فقيل لهُ انت تشكو العزوبة ولا تمسها فقال اني لما خلوت بالجارية ذكرت اخواني فقلت ما كنت لانال شهوةً لا ينالوها وليس في يدي ما يسعهم فاخرج الجارية فباعها وفي هذا المعنى قال الشاعر

وتركي مؤاساة الاخلاّء بالذي　　تنال يدي ظلمٌ لهم وعقوقُ
واني لاستحيي من الناس ان أُرى　　بحال اتساعٍ والصديقُ مضيقُ

واخبار عبدالله بن المبارك في العلم والزهد والورع والعفة والكرم كثيرة تجلُّ ان تحصر في هذا المختصر واقتصرُ على القليل من ذكرهِ

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة فيها اخذ الرشيد البيعة لابنهِ المأمون بعد الامين وضمّهُ الى جعفر بن يحيي ووجههُ الى مدينة السلام وذلك بعد منصرفهِ من مكة شرّفها الله وسيرهُ الى الكوفة وولاّهُ خراسان وما يتصل بها الى همذان وسمّاهُ المأمون

وفي هذه السنة مات مروان بن ابي سليمان بن يحيي بن ابي حفصة ابو الهيذام وكان ابو حفصة من

سبي اسطخر سبي غلامًا فاشتراهُ عثمان بن عفان فوهبهُ لمروان بن الحكم فاعتقهُ يوم الزّاد لانهُ ابلى بلاء حسنًا . وقيل ان ابا حفصة كان طبيبًا يهوديًا اسلم على يد عثمان بن عفان وقيل على يد مروان . وكان مروان بن سليمان شاعرًا مجيدًا ومدح المهدي والهادي والرشيد ومعن بن زائدة . قال الكسائي كان الشعر سقاء يمخض فدفعت الزبدة الى مروان بن ابي حفصة. قال الفضل بن الربيع رأيت مروان بن ابي حفصة قد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة فدحهُ بابيات فقال من انت قال شاعرك مروان بن ابي حفصة فقال لهُ ألست القائل

اقمنا باليمامة بعد معن مقامًا لا نريد بهِ زيالا

وقلنا اين نذهب بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد جئت تطلب نوالنا لاشيء لك عندنا . جرّوا برجلهِ فجرّ برجلهِ حتى أُخرج . فلما كان العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرةً فمثل بين يديهِ فانشدهُ. طرقتك زائرةٌ فحيّ خيالها . الى قولهِ

شهدت من الانفال آخر آيةٍ بتراثهم فاردتمُ ابطالها

فجعل المهدي يتزاحف عن مصلاهُ اعجابًا بقولهِ . ثم قال كم هي بيتًا فقال مائة بيت فأمر لهُ بمائة الف درهم . فلما افضت الخلافة الى الرشيد انشدهُ . فقال ألست القائل في معن كذا وكذا ثم امر باخراجه فتلطف حتى عاد ودخل بعد يومين فانشدهُ قصيدة فامر لهُ بعد ابياتها الوفًا . وخرج مروان من دار المهدي ومعهُ ثمانون الف درهم . فمرّ بزمن فسألهُ فاعطاهُ ثلثي درهم فقيل لهُ هلاّ اعطيتهُ درهمًا فقال لو تمموها مائة الف لاعطيتهُ درهمًا تمامًا . وكان مروان بخيلاً لايسرج لهُ في دارهِ فاذا اراد ان ينام اضاءت لهُ الجارية بقصبةٍ الى ان ينام . وكان المهدي يعطي ابن ابي حفصة وسالم الخاسر عطيةً واحدةً وكان سالم يأتي باب المهدي على برذون قيمتهُ عشرة الاف درهم ولباسهُ الخزّ والوشي والطيب يفوح منهُ . وكان مروان يجيءُ وعليهِ فرو وقميص كرابيس وكساء غليظ وكان لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم اليهِ فاذا قرم اليهِ ارسل غلامهُ فاشترى لهُ رأسًا فقيل لهُ نراك لاتاكل الاّ الرأس . فقال الرأس اعرف سعرهُ فآمن من خيانة الغلام وليس بلحم يطبخهُ الغلام فيقدر ان يأكل منهُ واكل من الراس الوانًا . عينيهِ لونًا واذنيهِ لونًا وغلصومهِ لونًا ودماغهِ لونًا واكفى موّنة طبخهِ قد اجتمعت لي فيه مرافق.

وفي هذه السنة مات يعقوب بن ابرهيم بن حبيب بن سعد بن جنبة الانصاري وسعد جدّهُ من الصحابة عرض على رسول الله (صلعم) يوم أُحدٍ قال فاستصغرهُ وجنبة امهُ وابوهُ بجير بن معاوية ويكنى يعقوب ابا يوسف القاضي وهو صاحب ابي حنيفة. سمع ابا اسحق الشيباني وسليمان التيمي ويحيى ابن سعيد والاعمش وهشام بن عروة وابن اسحق وروى عنهُ محمد بن الحسن وعلي بن الجعد واحمد بن

حنبل ويحيى بن معين وسكن بغداد وولاهُ الهادي القضاء ثم الرشيد وهو اوّل من دُعي بقاضي القضاة في الاسلام . وكان يتردد الى ابي حنيفة وهو فقير فنهاهُ ابوهُ عن ذلك فانقطع فلما رآهُ ابو حنيفة سألهُ عن انقطاعهِ فاخبرهُ فاعطاهُ مائة درهم فقال استنفع بهذه فاذا فنيت فاخبرني فكان يتعاهدهُ . وروى ان اباهُ مات وخلفهُ طفلاً وان امهُ هي التي انكرت عليهِ ملازمة ابي حنيفة . قال يعقوب توفي والدي وخلفني صغيرًا في حجر امي فاسلمتني الى قصّارٍ اخدمهُ فكنت ادعُ القصار وامضي الى حلقة ابي حنيفة فاجلس فاستمع وكانت امي تجيء خلفي فتأخذ بيدي وتذهب الى القصار وكان ابو حنيفة يعنى بي لما يرى من حرصي على التعلم فلما كثر ذلك على امي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لاشيء لهُ وانما اطعمهُ من مغزلي وامل ان يكسب دانقًا يعود بهِ على نفسهِ فقال لها ابو حنيفة مري يارعناء هذا هوذا يتعلم اكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت وقالت لهُ انت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمتهُ فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت اجالس الرشيد آكل معهُ على مائدتهِ . فلما كان في بعض الايام قدّم الى الرشيد فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم تضحك قلت خيرًا ابقى الله امير المومنين . فقال لتخبرني والحّ عليّ فاخبرتهُ بالقصة من اولها الى اخرها فتعجّب من ذلك وقال لعمري ان العلم ينفع ويرفع دُنيا وآخرة وترحّم على ابي حنيفة وقال كان ينظر بعين عقلهِ ما لايراهُ بعين رأسهِ وكان سبب اتصال ابي يوسف بالرشيد انهُ قدم بغداد بعد موت ابي حنيفة فحنث بعض القوّاد في يمينٍ وطلب فقيهًا فجيء بابي يوسف فأفتاهُ انهُ لا يحنث فوهب لهُ دنانير واخذ لهُ دارًا بالقرب منهُ واتصل بهِ فدخل القائد يومًا الى الرشيد فوجدهُ مغمومًا فسألهُ عن سبب غمهِ فقال شيءٌ من امر الدين قد احزنني فاطلب لي فقيهًا استفتيه فجاء بابي يوسف قال ابو يوسف فلما دخلت الى ممرٍّ من الدور رأيت فتًى حسنًا عليهِ اثر الملك وهو في حجرةٍ محبوس فاومأ اليّ باصبعهِ مستغيثًا فلم افهم عنهُ ارادتهُ . فادخلت الى الرشيد فلما مثلت بين يديهِ وسلمت عليهِ ووقفت وقال لي ما اسمك قلت يعقوب اصلح الله امير المومنين فقال ما تقول في امامٍ شاهد رجلًا يزني . أيحدهُ . قلت لايجب ذلك . فحين قلتها سجد الرشيد . فوقع لي انهُ قد رأى بعض اهلهِ على ذلك وان الذي اشار اليّ بالاستغاثة هو الزاني . ثم قال لي الرشيد من اين قلت هذا . قلت لان النبي (صلعم) قال ادرؤا الحدود بالشبهات وهذه شبهةٌ يسقط الحدُّ معها فقال واي شبهةٍ مع المعاينة . قلت ليس توجب المعاينة لذلك اكثر من العلم بما جرى والحدود لاتكون بالعلم وليس لاحدٍ اخذ حقهِ بعلمٍ . فسجد مرّةً اخرى وامر لي بمالٍ جزيل وان الزم الدار . فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية امهِ واسبابه فصار ذلك اصلاً للنعمة ولزمت الدار فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني وصلاتهم تصل اليّ . ثم بعد ذلك استدعاني الخليفة فاستفتاني في خواص

امرهِ . فلم يزل حالي تقوى حتى قلدني قضاء القضاة . ولما مات ابو يوسف خلَّف مائتي سراويل من اصناف السراويلات وكل سراويل بتكةٍ ارمني تساوي دينارًا وبلغ من محلهِ عند الرشيد انهُ طلبهُ يومًا فجاء وعليهِ بردةٌ فقال الرشيد

جاءت بهِ مفتقرًا ببرده صفراء في بنفسج وخده

قال ابو يوسف العلم شيءٌ لا يعطيك بعضهُ حتى تعطيهُ كلك فانت اذا اعطيتهُ كلك فلك من عطائهِ البعض على غرر وكان ابو حنيفة يشهد لابي يوسف انهُ اعلم الناس . وقال المزني ابو يوسف اتبعهم للحديث . فقال ابو يوسف سألني الاعمش عن مسألةٍ فاجبتهُ فيها . فقال لي من اين قلت هذا فقلت لحديثك الذي حدَّثتنا انت . ثم ذكرت الحديث. فقال لي يا يعقوب اني لاحفظ هذا الحديث قبل ان يخرج ابواك فما عرفت تأويلهُ حتى الان . واخبار ابي يوسف القاضي كثيرة لا يحصى استقصاؤُها في امور الدين والقضاء . فمنها ما حكاهُ بنفسهِ قال لما وليت القضاء وانغمست فيهِ وليس في قلبي منهُ شيءٌ . وارجو ان لا يسألني الله عن جورٍ ولا ميلٍ مني الى احدٍ . الاَّ يومًا واحدًا فانهُ يقع في قلبي منهُ شيءٌ . قالوا وما هو قال جاءني رجلٌ فقال ان لي بستانًا قد اغتصبني اياهُ امير المومنين . فقلت في يد من هو الان فقال في يد امير المومنين . فقلت ومن يقوم بعمارتهِ ومصلحتهِ قال امير المومنين فاخذت قصتهُ ودخلت . فقلت يا امير المومنين ان لك خصمًا بالباب قد ادعى كيت وكيت. فقال هذا البستان اشتراهُ لي المهدي . قلت يا امير المومنين ان رأيت ان تدعو بخصمك حتى اسمع منكما . قال فدعي بهِ فادخل فادَّعى فقلت يا امير المومنين ما تقول فيما يدَّعي فقال البستان لي وفي يدي اشتراهُ لي المهدي قلت يا رجل ما تشاء . قال خذ لي يمينهُ . قلت أتحلف يا امير المومنين قال لا . قلت يا امير المومنين اعرض عليك اليمين ثلاثًا فان حلفت والاَّ حكمت عليك . فعرضت عليهِ اليمين ثلاثًا فابى ان يحلف فقلت يا امير المؤمنين قد حكمت عليك بهذا البستان فان رأيت ان تأمر بتسليمهِ اليهِ . قال لا اسلم قلت يا رجل تعود عليهِ في مجلس اخر . قال افعل . قلت يا امير المؤمنين بالحبس يُعرَّض فامرلهُ بهِ فاخرج . فقال الفضل بن الربيع . والله ما رأيت مجلسًا قط الاَّ وهذا احسن منهُ . فقلت يا امير المؤمنين ان رأيت ان يتم حسن هذا المجلس برد هذا البستان . قيل لهُ فاي شيءٍ في قلبك . قال جعلت احتال في صرف الخصومة والقضية عن امير المؤمنين ولم اسأل ان يقعد مع خصمهِ او يأذن لخصمهِ ان يقعد معهُ على السرير . قال حمَّاد بن اسحق الموصلي حدثني ابي قال حدثني بشر بن الوليد وسألتهُ من اين جاء قال كنت عند ابي يوسف القاضي وكنَّا في حديثٍ ظريفٍ . فقلت لهُ حدثني بهِ فقال لي يعقوب بينا انا البارحة قد اويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب دقًّا شديدًا . فاخذت عليَّ ازاري وخرجت فاذا هرثمة بن اعين . فسلمت عليهِ

فقال اجب امير المؤمنين فقلت يا ابا حاتم لي بك حرمة وهذا وقت كما يرى فان امكنك ان تدفع ذلك الى الغد . فقال مالي الى ذلك من سبيل . قلت كيف كان السبب قال خرج اليّ مسرور الخادم فامرني ان اتي بك امير المومنين . فقلت اتاذن لي ان اصبّ عليّ ماء واتحنط فان كان امرًا والاّ كنت قد احكمت شأني وان رزق الله العافية فلن يضر . فاذن لي فدخلت فلبست ثيابًا جددًا وتطيّبت بما امكن من الطيب . ثم خرجنا فمضينا حتى اتينا دار الرشيد . فاذا مسرور الخادم فقال له هرثمة قد جئيت به فقلت لمسرور يا ابا هاشم . خدمتي وحرمتي وهذا وقت ضيق فتدري لِمَ طلبني امير المومنين قال لا . قلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر . قلت ومن قال ما عندهما ثالث فقال مرّ فاذا صرت في صحن الحجرة فانه في الرواق فحرّك رجلك بالارض فانه سيسألك فقل انا مجيب . ففعلت فقال من هذا قلت يعقوب . قال ادخل فدخلت فاذا هو جالس وعن يمينه عيسى ابن جعفر فسلمت فرد السلام وقال اظنّا روّعناك قلت اي والله . وكذلك من خلفي . قال اجلس فجلست حتى سكن روعي . ثم التفت اليّ فقال يا يعقوب تدري لِمَ دعوتك فقلت لا . قال دعوتك لاشهدك على هذا . ان عنده جارية سألته ان يهبها لي فامتنع وسألته ان يبيعها فامتنع ووالله لئن لم يفعل لاقتلنه . فالتفتُّ الى عيسى وقلت . وما بلغ الله بجارية تمنعها امير المومنين وتنزل نفسك هذه المنزلة . فقال لي عجلت في القول قبل ان تعرف ما عندي . فقلت وما في هذا من الجواب فقال ان عليّ يمينًا بالطلاق والعتاق وصدقة ما املك ان لا ابيع هذه الجارية ولا اهبها . فالتفت اليّ الرشيد فقال هل لك في ذلك من مخرج . قلت نعم يهبك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يبع ولم يهب قال ويجوز ذلك قلت نعم قال فاشهدك ان قد وهبته نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة الف دينار فقال عليّ بالجارية وبالمال . فأُوتي بها وبالمال . فقال خذها بارك الله لك فيها . ثم قال الرشيد يا ابا يوسف بقيت واحدة قلت وما هي قال هي مملوكة ولا بدّ من ان تستبرىء . ووالله لئن لم ابت ليلتي معها اني لا اظن ان نفسي ستخرج . قلت يا امير المومنين تعتقها فتتزوجها فان الحرّة لا تستبرئ قال اشهدوا اني قد اعتقتها فمن يزوجنيها . قلت انا فدعى بمسرور وحسن . فخطبت وحمدت الله ثم زوّجته على عشرين الف دينار ودعى بالمال فدفعه اليها . ثم قال لي يا ابا يوسف انصرف ورفع رأسه الى مسرور فقال يا مسرور فقال لبيك يا امير المؤمنين قال احمل الى يعقوب مائتي الف درهم وعشرين تختًا ثيابًا فحمل ذلك معي فقال بشر بن الوليد فالتفت اليّ يعقوب فقال هل رأيت بأسًا بما فعلت فقلت لا قال فخذ منها حقك قلت وما حقي قال العشر . قال فشكرته ودعوت له فذهبت لاقوم فاذا بعجوز قد دخلت فقالت يا ابا يوسف بنتك تقريك السلام وتقول لك والله ما وصل اليّ في ليلتي هذه من امير المؤمنين الاّ المهر الذي قد عرفت وقد حملت اليك النصف منه وخليت الباقي

لما احتاج اليه فقال ردّيه فوالله لا اقبلهُ اخرجتها من الرق وزوجتها من امير المؤمنين وترضى لي بهذا فلم نزل اليه انا وعمومتي حتى قبل وأمر لي بالف دينار

وفي هذه السنة مات يعقوب بن داوُد بن طهمان ابو عبد الله مولى عبد الله بن حازم السلمي استوزرهُ المهدي وقرب من قلبهِ وغلب على امره ثم انهُ امره بقتل بعض العلويين فقال قد فعلتُ ولم يفعل فحبسهُ الى ان اخرجهُ الرشيد . قال عبد الله بن يعقوب بن داوُد قال لي ابي حبسني المهدي في بئر وبنيت عليّ قبة فمكثت فيها خمس عشرة سنة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد . وكان يُدلى اليّ في كل يوم رغيف خبزٍ وكوز من الماء وأُوذن باوقات الصلوات فلما كان في رأس ثالث عشرة سنة أتاني اتٍ في منامي فقال

حنا على يوسف المولى فأخرجهُ من قعر جبٍ وبيتٍ حولهُ غممُ

قال فحمدت الله وقلت اتى الفرج فمكثتُ حولاً لا ارى شيئاً ثم اتاني ذلك الآتي بعد الحول فقال

عسى فرجٌ ياتي بهِ الله انهُ لهُ كل يوم في خليقتهِ أمرُ

قال ثم أقمتُ حولاً لا ارى شيئاً . ثم اتاني ذلك الآتي بعد الحول فقال

عسى الكرب الذي امسيت فيهِ يكون وراءهُ فرجٌ قريبُ
فيأمنُ خائف ويفكُّ عانٍ ويأتي أهلهُ النائي الغريبُ

فلما أصبحتُ نوديتُ وظننتُ أني أُوذنُ بالصلاة . فدُلي لي حبل أسود وقيل اشدد بهِ وسطك ففعلتُ فاخرجوني فلما قابلتُ الضوءَ عشي بصري فانطلقوا بي فادخلوني على الرشيد فقيل لي سلم على امير المؤمنين . فقلتُ السلامُ عليكَ يا امير المؤمنين المهدي ورحمة الله وبركاتهُ . فقال لستُ بهِ . فقلتُ السلامَ عليك ورحمة الله وبركاته يا امير المومنين الهادي فقال لستُ بهِ فقلتُ السلامُ عليك ورحمة الله وبركاتهُ يا امير المومنين الرشيد فقال يا يعقوب والله ما شفع فيك اليّ احد غير اني حملتُ الليلة صبيةً على عنقي فذكرت حملك اياي على عنقكَ فرثيتُ لك من المحل الذي كنت فيهِ فاخرجتك . قال واكرمني وقرّب مجلسي ثم انّ يحيى بن خالد تنكر لي كأنهُ خاف ان اغلب على امير المومنين دونهُ فخفتهُ فاستأذنتُ الحجّ فاذن لي فلم أزل مقيمًا بمكة ومات بها في هذه السنة

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة فيها مات محمد بن صبيح ابو العباس المذكر الواعظ المعروف بابن السماك . سمع هشام بن عروة واسمعيل بن ابي خالد والاعمش وسفيان الثوري وغيرهم وروى عنهُ حسين الجعفي واحمد بن حنبل ولهُ مواعظ حسان كثيرة ومقامات عظيمة . قال المغيرة بن شعيب حضرتُ يحيى بن خالد وهو يقول لابن السماك اذا دخلت على امير المومنين الرشيد فاوجز ولا تكثر عليهِ . فلما دخل عليهِ قام بين يديهِ وقال يا امير المومنين ان لك بين يدي الله تعالى مقامًا

وان لك من مقامك منصرفًا فانظر الى ابن تنصرف الى الجنة ام الى النار. قال فبكى هرون الرشيد بكاء شديدًا حتى اغمي عليهِ. وفيها مات ابن السماك بالكوفة . وفيها مات الامام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عم ويكنى بابي الحسن الهاشمي ولد بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة وولد له اربعون ولدًا من ذكر وانثى وكان كثير التعبد جوادًا فاذا بلغهُ عن رجل يؤذيهِ بعث اليهِ بالف دينار وخرج الى الصلح . واهدى لهُ بعض العبيد عصيدة فاشترى الضيعة التي فيها ذلك العبد والعبد بالف دينار واعتقهُ ووهبهُ الضيعة واقدمهُ المهدي بغداد ثم ردهُ الى المدينة لمنام رآهُ . قال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر عم رأى المهدي في النوم علي بن ابي طالب وهو يقول يا محمد هل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم. قال الربيع فارسل اليَّ ليلاً فراعني ذلك فجئتهُ فاذا هو يقرأُ هذه الآية وكان احسن الناس صوتًا وقال عليَّ بموسى بن جعفر فجئتهُ بهِ فعانقهُ وأجلسهُ الى جانبهِ وقال يا ابا الحسن رأيت امير المؤمنين علي بن ابي طالب في النوم فقرأ عليَّ كذا فتؤمنني ان تخرج عليَّ او على احدٍ من ولدي قال والله لا فعلتُ ذلك ولا هو من شاني قال صدقتَ . يا ربيع أَعطهِ ثلاثة الاف دينار وردهُ الى اهلهِ الى المدينة . قال الربيع فاحكمتُ امرهُ ليلاً فما اصبح الاَّ وهو في الطريق خوفًا من العوائق . ثم ما زال مقيمًا بالمدينة الى ايام الرشيد . فحجَّ الرشيد فاجتمعا عند قبر النبي (صلعم) فسمع منهُ الرشيد كلمات غيَّرتهُ عليهِ

قال عبد الرحمن بن صالح الأزدي حج هرون الرشيد فأتى قبر النبي (صلعم) زائرًا له وحوله قريش وافناء القبائل ومعهُ موسى بن جعفر فلما انتهى الى القبر قال السلام عليك يا ابن عمّ افتخارًا على من حوله . فدنا موسى بن جعفر فقال السلام عليكَ يا أَبتا فتغير وجه هرون وقال هذا الفخر يا ابا الحسن حقًّا . ثم اعتمر الرشيد في رمضان سنة تسع وسبعين وحمل موسى بن جعفر معهُ الى بغداد فحبسهُ بها فتوفي في حبسهِ فلما طال حبسهُ كتب الى الرشيد . انهُ لن ينقضي عني يومٌ من البلاء الاَّ انقضى عنك معهُ يومٌ من الرخاء حتى نفضي جميعًا الى يومٍ ليس لهُ انقضاء يخسرُ فيهِ المبطلون . وتوفي موسى بن جعفر لخمس بقين من رجب هذه السنة . قال القاضي ابو محمد للحسن بن الحسين الخلال ما اهمَّني امر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت بهِ الاَّ سهَّل الله لي ما احب . وفيها مات هشيم بن بشير بن ابي حازم . واسم ابي حازم القاسم بن دينار وكنيتهُ هشيم ابو معوية السلمي الواسطي بخاري الاصل ولد سنة اربع ومائة وكان ابوهُ طباخ الحجاج بن يوسف سمع هشيم من عمرو بن دينار والزهري ويونس بن عبيد وايوب وابن عون وخلق كثير روى عنهُ مالك والثوري وشعبة وابن المبارك واحمد بن حنبل وغيرهم . وكان من العلماء الحفاظ الثقات قال ابو اسحق الحربي كان هشيم

رجلاً يحب العلم والحديث وكان ابوه صاحب صحناة وكوامخ يقال له بشير وطلب ابنه هشيم الحديث واشتهاه وكان ابوه يمنعه فكتب الحديث حتى جالس ابا شيبة في الفقه فمرض هشيم فقال ابو شيبة ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء الينا فقالوا عليل فقال قوموا بنا حتى نعوده فقام اهل المجلس جميعاً يعودونه حتى صاروا الى منزل بشير وبيده في الصحناة (اي الكوامخ) فقيل له الحق ابنك قد جاء القاضي اليه يعوده فجاء بشير والقاضي في داره فلما خرج قال لابنه يا بني قد كنت امنعك من طلب الحديث فاما اليوم فلا . فقد صار القاضي يجيء الى بابي فمتى أملت انا هذا . ومكث هشيم يصلي الفجر بوضوء عشاء الاخرة قبل ان يموت بعشر سنين وتوفي ببغداد في هذه السنة في شعبان

ثم دخلت سنة اربع وثمانين ومائة. فيها مات احمد بن هرون الرشيد المسمى بالسبتي قال عبدالله ابن ابي الفرج خرجت يوماً اطلب رجلاً يرمّ لي شيئاً في الدار فذهبت فاشير اليّ الى رجل حسن الوجه بين يديه مرّ وزنبيل فقلت تعمل لي فقال بدرهم ودانق فقلت ُ قم فعمل لي عملاً بدرهم ودانق ودرهم ودانق ودرهم ودانق ودرهم ودانق خمسة ايام فأتيت يوماً آخراً فسألت عنه فقيل ذاك رجل لا يرى في يوم الجمعة الاّ يرى في يوم كذا فجئت في ذلك اليوم فقلت تعمل لي قال نعم بدرهم ودانق قلت بل بدرهم ولم يكن بي الدانق ولكن احببت ان استعلم ما عنده فلما كان المساء وزنت له درهما فقال لي ما هذا قلت درهم قال ألم اقلّك درهم ودانق أفٍ افسدت عليّ فقلت واما ألم اقلّك بدرهم فقال لست اخذ منه شيئاً فوزنت درهماً ودانقاً فقلت خذ فأبي ان ياخذه وقال سبحان الله اقول لك لا اخذ فتلح عليّ فابى ان ياخذه ومضى . قال فاقبل عليّ اهلي وقالت فعل الله بك فاأردت ان الرجل عمل لك عملاً بدراهم أفسدت عليه . قال فجئت يوماً فسألت عنه فقيل لي هو مريض فاستدللت على بيته فاتيته فاستأذنت ودخلت عليه وهو مسطوح وليس في بيته شيء الاّ ذلك المرّ والزنبيل فسلمت عليه وقلت له لي اليك حاجة وتعرف ادخال السرور على قلب المومن وانا احب ان تجيء الى بيتي اداريك حتى تنصلح حالك قال وتحب ذلك قلت نعم . قال بشرائط ثلاث قلت نعم قال ان لا تعرض عليّ طعاماً حتى اسألك واذا انا مت تدفني في كسائي وجبتي هذه قلت نعم قال والثالثة اشد منها وهي شديدة قلت رضيت فحملته الى منزلي عند الظهر فلما اصبحت من الغد ناداني يا عبد الله فقلت ما شانك قال قد احتضرت افتح صرة على كمي قال ففتحتها فاذا خاتم عليه فص احمر فقال اذا انا مت ودفنتني فخذ هذا الخاتم ثم ادفعه الى هرون الرشيد امير المومنين وقل له يقول لك صاحب هذا الخاتم ويحك لا تموت على سكرتك هذه فانك ان مت على سكرتك هذه ندمت . قال فلما دفنته سألت يوم خروج هرون امير المومنين وكتبت قصة وتعرضت له قال فرفعتها اليه قال فأوذيت أذى كثيراً شديداً فلما دخل قصره وقرأ القصة قال عليّ بصاحب هذه

القصة قال فأُدخلت عليه وهو مغضب يقول يتعرضون لنا ويفعلون فلما رأيت غضبة اخرجت الخاتم فلما نظر الى الخاتم قال من اين لك هذا قلت دفعهُ اليَّ رجل طيان فقال لي طيان وقرّبني منهُ فقلت يا امير المؤمنين انهُ اوصاني بوصيةٍ اذا أوصلت اليك هذا الخاتم ان اقول يقريك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فانك ان متّ عليها ندمتَ . فقام على رجليهِ قائمًا وضرب بنفسهِ على البساط وجعل يتقلب ويقول يا بني نصحت اباك . فقلت في نفسي كانهُ ابنهُ ثم جلس وجاءوا بالماء فمسحوا وجههُ فقال كيف عرفتهُ قال فقصصت عليهِ قصتهُ من اولها الى اخرها قال فبكى وقال هذا اول مولود لي وكان ابي المهدي ذكر لي زبيدة ابنة جعفران زوجني بها فبصرتُ بامرأة فوقعت في قلبي وكانت خسيفة فتزوجتها سرًّا من ابي واولدتها هذا المولود واخذتها الى البصرة واعطيتها هذا الخاتم واشياء وقلت اكتمي نفسكِ واذا بلغك باني قد قعدت في الخلافة فأتيني فلما قعدت للخلافة سألتُ عنها فقيل لي انهما ماتا ولم ادرِ انهُ باقٍ وأين دفنتهُ فقلت يا امير المؤمنين دفنتهُ في مقابر عبد الله بن مالك فقال لي اليك حاجةً اذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب حتى انزل اليك فاخرج متنكرًا الى قبرهِ فوقفت له فخرج متنكرًا والخدم حولهُ حتى وضع يدهُ في يدي وصاح بالخدم فتنحوا وجئت بهِ الى قبرهِ فما زال ليلتهُ يبكي الى ان اصبح ويدهُ وراسهُ ولحيتهُ على قبرهِ وجعل يقول يا بني لقد نصحت اباكَ قال فجعلت ابكي لبكائهِ رحمةً مني لهُ . ثم سمع كلامًا فقال كاني اسمع كلامًا قلت اجل اصبحت يا امير المؤمنين قد طلع الفجر فقال لي قد امرت لك بعشرة آلاف درهم واكتب عيالك مع عيالي فان لك عليَّ حقًا بدفنك ولدي وان انا متُّ اوصيت من يكن من بعدي ان يجري عليك ما بقي لك عقبٌ ثم اخذ بيدي حتى اذا بلغ قريبًا من القصر قال لي انظر ما اوصيتك بهِ اذا طلعت الشمس فقف حتى انظر اليك فادعو بك فحدثني حديثهُ فقلت ان شاء الله فلم اعد اليهِ . وفيها مات المعافى بن عمران ابو مسعود الازدي الموصلي دخل في طلب العلم والحديث الى البلاد البعيدة وجالس العلماء ولازم سفيان الثوري فتفقه بهِ وتأدب بادابهِ وكان يسميهِ الياقوتة فيقول ياقوتة العلماء وصنف كتبًا وروى عنهُ ابن المبارك وبشر الحافي وكان زاهدًا فاضلاً عارفًا عاقلاً صاحب فقهٍ وحديثٍ . وفي هذه السنة مات يعقوب بن الربيع حاجب المنصور وهو اخو الفضل بن الربيع كان اديبًا شاعرًا فصيحًا بليغًا واخذ من العلوم اوفى نصيب وكان لهُ جارية طلبها سبع سنين وبذل فيها حتى ملكها وأُعطي بها الف دينار فلم يبعها ولم تمكث عندهُ الا ستة اشهر حتى ماتت فرثاها بمراثٍ منها ما انشده الاخفش

اضحوا يصيدون الظباء وانني ... لارى تصيدهـا عليَّ حرامًا

لشبههنَّ منكِ سوالفا ومدامعًا ... فارى بذاك لهـا عليَّ ذمامًا

اعزز عليّ بان أروع شبهها او ان يذوق على يدي حماما

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة وفيها مات عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس ولد سنة اربع ومائة وكان عظيم الخلق وكانت فيه عجائب منها انه حجّ يزيد بن معوية سنة خمسين وحجّ عبد الصمد سنة خمسين ومائة وكان بين حجيهما مائة سنة وهما في النسب الى عبد مناف سواء لان يزيد هو يزيد بن معوية بن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف . وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف والى غير ذلك من مثل هذه التواريخ في الاعمار التي تتقارب ولا حاجة في اثباتها في هذا المختصر

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة . قال الحسن بن الصباح الزعفراني لما قدم الشافعي الى بغداد وافق عقد الرشيد للامين والمامون على العهد وبكر الناس ليهنوا الرشيد فجلسوا في دار العامة ينتظرون الاذن فجعل الناس يقولون كيف ندعو لهما فانا ان فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة وان لم ندع لهما كان تقصيرًا . فدخل الشافعي فجلس فقيل له في ذلك فقال الله الموفق فلما اذن دخل الناس فكان اوّل متكلم الشافعي فقال

لا قصّرا عنها ولا بلغتها حتى يطول على يديك طوالها

وكان القاسم بن الرشيد في حجر عبد الملك بن صالح فلما بايع الرشيد للامين والمامون كتب اليه عبد الملك يقول

يا ايها الملك الذي لو كان نجمًا كان سعدًا

اعقد لقاسم بيعة واقدح له في الملك زندًا

ألله فردٌ واحدٌ فاجعل ولاء العهد فردًا

وكان ذلك اول ما حض الرشيد على البيعة للقاسم فبايع له وسماه الموتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم . فلما قسم الارض بين اولاده الثلاثة قال بعض الناس قد احكم امير المومنين وقال بعضهم بل ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع مخوفة على الرعية . وحجّ الرشيد ومعه ابناؤه ووزراؤه وقواده وقضاته في سنة ست وثمانين ومائة فلما قضى مناسكه كتب للمأمون كتابين اجهد الفقهاء والقضاة أراءهم فيهما احدهما على محمّد بما اشرطا عليه من تسليم ما ولي عبد الله من الاعمال وصيّر اليه من الضياع والغلات والجواهر والاموال والاخر نسخة البيعة التي اخذها على الخاصة والعامة والشروط لعبد الله المأمون على محمد الامين وعليهم وحضر في الكعبة واحضر وجوه بني هاشم والقواد والفقهاء وقرأ الكتاب على الامين والمأمون واشهد عليهما جمع من حضر من سائر ولده واهل بيته ومواليه ووزرائه وقواده وكتابه ثم رأى ان يعلق الكتاب في الكعبة فلما رُفع سقط قبل ان يعلق فقيل هذا

امرٌ سريعٌ انتقاضهُ ونقدم الى الحجبة بحفظ الكتاب ومنع من اراد اخراجه

ذكر تلخيص نسخة الكتاب

هذا كتاب لعبد الله هرون امير المؤمنين كتبهُ محمد بن هرون امير المؤمنين في صحةٍ من عقلهِ وجوازٍ من امرهِ طائعاً غير مكرهٍ. انَّ امير المؤمنين ولاَّني العهد من بعده وصيرَّ البيعة لي في رقاب المسلمين وولَّى عبد الله بن هرون امير المؤمنين العهد والخلافة وجميع امور المسلمين بعدي برضى مني وتسليم طائعاً غير مكرهٍ وولاهُ خراسان وثغورها وكورها وحربها وجندها وخراجها وبيوت اموالها وصدقاتها وعشرها وجميع اموالها في حياتهِ وبعدهُ. وشرطت لعبدالله هرون امير المؤمنين برضى مني وطيب نفسٍ ان لاخي عبدالله بن هرون عليَّ الوفا بما عقد لهُ هرون امير المؤمنين والعهد والولاية والخلافة وامور المسلمين جميعاً بعدي وتسليم ذلك لهُ وما جعل لهُ من ولاية خراسان واعمالها كلها وما اقطعهُ امير المؤمنين من قطيعةٍ او جعل لهُ من عقدةٍ او ضيعةٍ وما اعطاهُ في حياتهِ وصحتهِ من مالٍ او حليٍ او جوهرٍ او اقطاعٍ فهو لعبد الله بن هرون امير المؤمنين موفَّراً مسلَّماً اليهِ وقد عرفت ذلك كلهُ شيئاً فشيئاً. فان حدث بامير المؤمنين فعلى محمد في خلافتهِ انفاذ ما أمر بهِ هرون امير المؤمنين في تولية عبد الله بن هرون امير المؤمنين خراسان وثغورها من لدن الريّ الى اقصى خراسان ليس لمحمد بن امير المؤمنين هرون ان يحول عنهُ قائداً ولا راجلاً ممن ضمَّ اليهِ من اصحابهِ: فعليكم معشر المسلمين انفاذ ما كتب بهِ امير المؤمنين في كتابهِ هذا وشرط عليكم السمع والطاعة لامير المؤمنين فيما الزمكم لعبد الله بن امير المؤمنين وعهد الله وذمتهِ وذمة رسولهِ وذمة المسلمين من العهود والمواثيق التي اخذ الله على الملائكة المقربين والمرسلين والنبيين اجمعين. ووكدها في اعناق المسلمين ليقرّ لعبد الله بن امير المؤمنين بما سمي وكتب في كتابهِ هذا واشترط عليكم فبريت منكم ذمة الله وذمة محمد صلعم وذمم المسلمين . وكل مالٍ هو اليوم لكل رجلٍ منكم او يستفيده الى خمسين سنة فهو صدقة على المسلمين وعلى كل رجلٍ منكم المشي الى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة نذراً واجباً لا يقبل الله منهُ الاَّ الوفاء بذلك . وكل مملوك لهُ حرٌّ وكل امرأةٍ لهُ فهي طالقةٌ ثلاثاً البتة وطلاق الحرج لا مثنوية فيها . والله عليكم بذلك كفيل وكفى بالله حسيباً . وكتب عبد الله بن امير المؤمنين بخط يدهِ في الكعبة. هذا كتاب لعبد الله هرون امير المؤمنين كتبهُ لهُ عبد الله بن هرون امير المؤمنين في صحةٍ من عقلهِ وجواز امرٍ من امرهِ وصدق نيتهِ فيما كتبهُ في كتابهِ هذا ومعرفةٍ بما فيهِ من القصد والصلاح لهُ ولاهل بيتهِ وجماعة المسلمين ان امير المؤمنين هرون ولاَّني العهد والخلافة وجميع امور المسلمين بعد اخي محمد بن هرون امير المؤمنين وولاَّني في حياتهِ ثغور خراسان وكورها وجميع اعمالها وشرط على محمد بن هرون الوفاء بما عقد لي من الخلافة وولاية العهد وولاية العباد والبلاد وولاية

خراسان ولا يعرض لي في شيء مما اقطعني امير المومنين ولا يعرض لي ولا لاحد من عمالي او كتابي ببث محاسبة ولا يدخل عليّ ولا عليهم ولا على من كان معي ممن استعنت به من جميع الناس مكروهًا في نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال ولا صغير ولا كبير فاجابه الى ذلك واقر به وكتب له كتابًا اكّد فيه على نفسه واوصى به امير المومنين هرون وقبله. فشرطت لامير المومنين وجعلت له ان اسمع واطيع لمحمد ولا اعصيه وانصحه ولا اغشه واوفي ببيعته ولا اغدر ولا انكث وانفذ كتبه واوامره واحسن موازرته في جهاد عدوه في ناحيتي ما وفى لي بما شرط لامير المومنين هرون في امري وان محمدًا ان اراد ان يولي رجلاً من ولاة العهد والخلافة بعدي فذلك له ما وفى لي بما جعله امير المومنين واشترط لي عليه وعليّ انفاذ ذلك والوفاء له به ولا انقض ذلك ولا ابدّله ولا اقدم قبله احدًا من ولدي ولا قريبًا ولا بعيدًا من الناس اجمعين. وان انا نقضت شيئًا مما شرطت وسميت في كتابي وغدرت فبرئت من الله ومن ولايته ودينه ومحمد رسوله صلعم ولقيت الله يوم القيمة كافرًا مشركًا وكل امرأة هي لي اليوم طالقة وتزوجتها الى ثلثين سنة طالق ثلاثًا البتة طلاق الحرج وكل مملوك هو لي اليوم او املكه الى ثلثين سنة احرار لوجه الله وعليّ المشي الى بيت الله الحرام الذي بمكة راجلاً حافيًا نذرًا واجبًا عليّ في عنقي لا يقبل الله مني الا الوفاء بذلك وكلما شرطت في كتابي هذا لازم لي لا اضمر غيره ولا انوي غيره. شهد سليمان بن امير المومنين. وفلان وفلان وفلان وكتب في ذي الحجة سنة سبع وثمانين ومائة

وكتب ايضًا الرشيد كتابًا الى العمال في توكيد ما شرط لمحمد وعبد الله من بعده بجميع الكلمة والمام الشعث والحسم لكيد الاعداء والتهمة من اهل الكفر والنفاق والغل والقطع وقد نسخ امير المومنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما محمد وعبد الله في اسفل كتابه هذا. وكتب اسمعيل بن صبح يوم السبت لليال بقين من المحرم سنة ثمان وثمانين ومائة. وامر الرشيد للمأمون بمائة الف درهم فحملت له الى بغداد من الرقة. وفيها مات اصبغ بن عبد العزيز بن مسرور بن الحكم. وحكي عنه انه قال. لان يخطئ الامام في العفو خير له من ان يخطئ في العقوبة. وفيها مات سلم الخاسر الشاعر وهو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء يقال انه مولى ابي بكر بن ابي قحافة وقيل بل مولى المهدي بن العباس واختلفوا لم سمي الخاسر. فقال البريدي ورث من ابيه مائة الف درهم واصاب من مدائح الملوك مثلها. فانفقها كلها على الادب. وحكى الاصفهاني ابو الفرج صاحب الاغاني انه ورث من ابيه مصحفًا فباعه واشترى بثمنه طنبورًا. وذكر الصولي ان الرشيد قال لم سميت الخاسر قال بعت وانا صبي مصحفًا واشتريت بثمنه شعر امرء القيس وقد رزقني الله حفظ القرآن بعد ذلك الحال فقال له انت الرابح وكان مقتدرًا على الشعر بلغ من اقتداره انه اخترع شعرًا على حرف واحد لم يسبق الى

مثله واقل شعر العرب على حرفين نحو قول دريد بن الصمة

يا ليتني فيها جذع أَخبُّ فيها وأَضع

فقال سلم الخاسر لموسى الهادي شعرًا على ضربٍ واحدٍ منهُ

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر لمـا اعتكر
ثم اقتسر لما قـدر ثم غفر عـدل السير
باقي الاثر خير البشر فرعُ مضر بدرٌ بدر
لمن نظر هو الوزر لمن حضر والمفتخر

وذكر الخطيب انهُ كان على طريقة غير مرضية من المجون والخلاعة والفسق ثم تقرَّا وترك ذلك فرقَّت حالهُ فاغتمَّ لذلك . ورجع الى شر ما كان عليهِ وباع مصحفًا واشترى بثمنهِ دفترًا فيهِ شعرٌ فشاع في الناس وسموهُ سلم الخاسر وصار يقول ارق من شعر بشار بن برد فغضب بشار وكان بشار قد قال

من راقب الناس لم يظفر بحاجتهِ وفاز بالطيبـات الفاتكـ اللهجُ

وقال سلم

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللذة الجسورُ

فغضب بشار وقال والله يذهب بيتي باخذ المعاني التي قد لعبت فيها فيكسوها الفاظًا أخف من الفاظي لا ارضى عنهُ فما زالوا يسألونهُ حتى رضي عنهُ . وكان سلم قد كسب مالاً كثيرًا بقصيدته التي مدح بها المهدي . فمن القصيدة قولهُ

حضر الرحيل وشدَّت الاحداج وحدا بهنَّ مشمّرٌ مزعاجُ
شربت بمكة من ذرى بطحائها مـاء النبوة ليس فيهِ مزاجُ

وكان المهدي قد أعطى مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم بقصيدته التي اولها . طرقتك زائرة فحيّ خيالها . فاراد ان ينقص سالمًا فحلف سلم لا ياخذ الاَّ مائة الف درهم والف درهم فقال نطرح القصيدتين الى اهل العلم حتى يختبروا بتقدم قصيدتي فانفذ لهُ المهدي مائة الف والف درهم فلما بلغ زمان الرشيد قال قصيدته التي يقول فيها

قل للمنازل بالكثيب الاعفر سقيت غادية السحاب الممطرِ
قد بايع الثقلان مهديّ الهدى لمحمد بن زبيدة ابنة جعفرِ

فحشت زبيدةُ فاهُ دُرًّا فباعهُ بعشرة الاف دينار . وهذا حين بايع الرشيد لمحمد الامين بن زُبيدة بنت جعفر . ومات سلم في ايام الرشيد وقد اجتمع عندهُ من المال ستة وثلاثون الف دينار وقيل خمسون الف دينار ولمَّا مات اودعها عند ابي السمراء الغسَّاني فبقيت عنده . واتى ابرهيم

الموصلي يومًا لعند الرشيد فغنّاهُ فاطربهُ فقال يا ابرهيم سل ما شئت . قال نعم ياسيدي اسأ لـ
شيئًا لا يرزؤُك قال ما هو قال مات سلم الخاسر وليس لهُ وارث وخلَّفَ ستة وثلاثين الف دينار
عند ابي السمراء الغسّاني تأمرهُ يدفعها اليَّ فبعث اليهِ ان تدفعها الى ابرهيم فدفعها اليهِ . وكان
الجماز بعد ذلك قدم هو وابوهُ يطلبان ميراث سلم بانهما من قرابتهِ فقيل ان تركتهُ كانت خمسين
الف دينار وذكروا انهُ لما مات قال ابو العتاهية

تعالى الله يا سالم بن عمرٍو اذلَّ الحرصُ اعناق الرجالِ

فغضب سلم وقال يزعم اني حريصٌ وقال يردُّ عليهِ

ما اقبح التزهيد من واعظٍ يزهّد الناس ولا يزهدَ
لو كان في تزهيدهِ صادقًا اضحى وامسى بيتهُ مسجدُ
ويرفض الدنيا ولم يلفها ولم يكن يسعى ويسترفدُ
يخاف ان تنفذ ارزاقهُ والرزق عند الله لا ينفذُ
والرزق مقسومٌ على من ترى يسألهُ الابيض والاسودُ
كلاًّ يوفّى رزقهُ كاملاً من كفّ عن جهدٍ ومن يجهدُ

قال ابو هفان وصل الى سلم الخاسر من البرامكة عشرون الف درهم ومن الرشيد مثلها

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة . فيها قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد واوقع بالبرامكة
واما سبب عتبهِ على جعفر الذي قتلهُ لاجلهِ فقد اختلف فيهِ وفي سبب تغيّرهُ على البرامكة . قال
بختيشوع اني لقاعدٌ في مجلس هرون الرشيد اذ طلع يحيى بن خالد وكان يدخل بلا اذنٍ فلما صار
بالقرب من الرشيد وسلم رد عليهِ ردًّا ضعيفًا ولم يدرِ يحيى ان امرهم قد تغيّر . ثم اقبل عليَّ الرشيد
فقال يا بختيشوع يدخل عليك في منزلك احدٌ بلا اذنٍ قلت لا ولا يطمع في ذلك فقال ما لنا
يدخل علينا بلا اذنٍ فقام يحيى فقال يا امير المومنين قدَّمني الله قبلك والله ما ابتدأت لك الساعة
وانما هو شيءٌ خصّني بهِ امير المومنين ورفع بهِ ذكري حتى ان كنت لادخل وهو في فراشهِ وما علمت
ان امير المومنين كره ما كان يحب واذ علمت فاني اكون في الطبقة الثانية من اهل الاذن والثالثة
ان أمرني سيدي قال فاستحيى الرشيد وكان من ارق الخلفاء وجهًا وعيناهُ في الارض ما يرفع طرفهُ
حياءً . ثم قال ما اردت ما تكرهُ انما الناس يقولون وخرج يحيى . وقد كثرت الاقوال في سبب
قتل جعفر بن يحيى . وروى ابو جعفر بن جرير الطبري شيئًا عجيبًا في هلاك جعفر . قال كان الرشيد
لا يصبر عن جعفر وعن اختهِ عباسة بنت المهدي . وقال لجعفر أُزوّجكها ليحلَّ لك النظر اليها ولا
تمسها فزوَّجها منهُ وكانا يحضران مجلسهُ ثم يقوم عن مجلسهِ فيثملان من الشراب وهما شابان فينوم

اليها جعفر فجامعها فحبلت منه وولدت غلاماً . وخافت الرشيد فوجّهت المولود مع خواصٍ لها من مماليكها الى مكة شرّفها الله تعالى فلم يزل الامر مستوراً عن هرون حتى وقع بين عباسة وبعض جواريها شرٌّ فانهت امرها وامر الصبي واخبرت بمكانه ومع من هو من جواريها وما معه من الحلي الذي كان زيّنته به امه فلما حج هرون هذه السنة ارسل الى الموضع من يأتيه بالصبي وحواضنه فلما حضرت سأل اللواتي معهنّ الصبي فاخبرنه بمثل القصة التي اخبرت بها الرافعة على عباسة فكان ذلك سبب ما نزل بهم

وذكر ابو بكر الصولي ان علية بنت المهدي قالت للرشيد ما رأيت لك سروراً منذ قتلت جعفراً فلاي شيء قتلته فقال لو علمت ان قميصي يعلم السبب الذي قتلت جعفراً به لاحرقته وقيل ارادت البرامكة اظهار الزندقة وافساد الملك فقتلهم لذلك

قالت علماء السير فلما انصرف الرشيد عن الحج في سنة ست وثمانين ومائة وافى الحيرة في المحرم من سنة سبع وثمانين ومائة . قال مسرور الخادم سمعت الرشيد يقول في الطواف اللهمّ انك تعلم ان جعفر بن يحيى قد وجب عليه القتل وانا استخيرك في قتله فخر لي . قالوا ثم عاد الى الانبار وبعث اليه بسرور وحماد بن سالم وابو زكار الربابي عنده يغنيه

فلا تبعد فكل فتىً سيأتي عليه الموت يطرق او يغادي

قال مسرور الذي جئت به من ذلك قد والله طرقك اجب امير المؤمنين . قال فوقع على رجلي يقبلها ويقول حتى ادخل فاوصي فقلت اما الدخول فلا سبيل اليه ولكن اوصِ بما شئت فتقدم في وصيته بما اراد وقال كل مالٍ لي فهو صدقة وكل عبدٍ لي حرٌّ وكل من لي عنده وديعة او حق فهو في حلٍّ ثم انت رسل الرشيد تستحث مسروراً فاخرجه اخراجاً عنيفاً حتى اتى به المنزل الذي فيه الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار واخبر الرشيد فقال أتني برأسه فجاء الى جعفر فاخبره فقال الله الله ما امرك بما امرك الا وهو سكران فدافع بامري حتى يصبح او وآمره في ثانيةً فعاد ليؤامره فقال يا ماص بظر امه أتني برأس جعفر فرجع اليه واخبره فقال عاوده ثالثةً فاتاه فحذفه بعمود ثم قال نفيت من المهدي ان جئتني ولم تأتني برأسه لارسلنّ اليك من يأتني برأسك فاتاه برأسه . وكان قتله ليلة السبت اول ليلة في صفر سنة سبع وثمانين ومائة بارض الانبار وهو ابن سبع وثلاثين سنة ثم امر بنصب رأسه على الجسر وتقطيع يديه وصلب كل قطعةٍ على جسرٍ فلم يزل كذلك حتى مرّ عليه الرشيد حين خروجه الى خراسان فقال ينبغي ان يحرق هذا المحرق ووجّه الرشيد تلك الليلة من احاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل فلم يفلت منهم احدٌ كان حاضراً وحوّل الفضل بن يحيى ليلاً فحبسه ناحيةً من منازل الرشيد وحبس يحيى بن خالد في منزله

واخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ومنع اهل العسكر من ان يخرج منهُ خارج الى مدينة السلام او الى غيرها ووجّه ليلتهُ رجال الخدم الى الرقّة في قبض اموالهم واخذ وكلائهم فلما اصبح كتب الى السندي بتوجيه جثة جعفر الى مدينة السلام ونصب رأسهِ على الجسر الاوسط وقطع جثتهِ وصلب كل قطعة على الجسر الاعلى والجسر الاسفل ففعل السندي ذلك وامر بالنداء في جميع البرامكة ألاَّ امان لهم الاَّ لمحمد بن خالد وولدهِ واهلهِ وحشمهِ فانهُ استثناهم لما ظهر لهُ من نصيحة محمد لهُ وعرف براءتهُ مما دخل فيهِ غيرهُ من البرامكة وخلى سبيل محمد بن خالد قبل شخوصهِ الى العمرة ووكّل بالفضل ومحمد وموسى بني يحيى وبابي المهدي صهرهم حفظةً من قبل هرثمة بن اعين الى ان وافى بهم الرقة واتي بانس بن ابي شيخ صبيحة الليلة التي قُتل فيها جعفر فامر بقتلهِ وكان من اصحاب البرامكة وكان قد رفع اليهِ عنهُ انهُ دلهم على الزندقة وقيل ليحيى بن خالد الرشيد قد قتل ابنك فقال كذلك يُقتل ابنهُ . قال الفضل بن مروان كنت اعمل في ابواب ضياع الرشيد الحساب فنظرت في حساب السنة التي نكب فيها البرامكة فوجدت ثمن هدية دفعتين من مال الرشيد اهداها الى جعفر بن يحيى بصندوق عشرة الاف دينار . وفي السنة بعد شهور من هذه الهدية قد بيّنا الحساب بثمن نفط وحب قطن أُبتيع فاحرق بهِ جثتهُ اربعة عشر قيراطاً ذهباً . وقد ذكر الصولي ان الرشيد كان يقول . لا آمن الله من اغراني بقتل البرامكة ما رأيت رخاء بعدهم ولا وجدت لذةً ولا راحةً . وقال الرشيد بعد البرامكة وددت والله اني شوطرت عمري وغرمت نصف مالي وملكي واني تركت البرامكة على امرهم . ولما صلب الرشيد جعفر وقف الرقاشي الشاعر فقال

اما والله لولا خوف واشٍ	وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا	كما للناس بالحجر استلامُ
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيى	حساماً فلَّهُ السيف الحسامُ
على اللذات والدنيا جميعاً	لدولة آل برمكٍ السلامُ

فقيل للرشيد فامر بهِ فاحضر فقال لهُ ما حملك على ما فعلت قال تحركت نعمتهُ في قلبي فلم اصبر قال كم اعطاك قال كان يعطيني في كل سنة الف دينار قال فامر لهُ في كل سنة بالف دينار . ولما قتل جعفر بن يحيى وصلب وقفت امرأةٌ على حمارٍ فارهٍ فنظرت الى رأسهِ فقالت بلسان فصيحٍ . والله لئن صرت اليوم آيةً لقد كنت في المكارم غايةً ثم أنشأت تقول

ولما رأيت السيف خالط جعفراً	ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت انما	قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
وما هي الاَّ دولةٌ بعد دولةٍ	تخوّل ذا نعمى وتعقب ذا بلوى

اذا انزلت هذا منازل رفعةٍ من الملك زلّت ذا الى الغاية القصوى
ثم انها حركت الحمار تحتها فكأنها كانت ريحًا لا يعرف لها خبرٌ

ذكر اخبار

 جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي ابو الفضل

كانت له بلاغة وفصاحة وكرم زائد وكان ابوهُ يحيى بن خالد ضمهُ الى ابي يوسف القاضي فتفقهُ وصار له اختصاصٌ بالرشيد. وقيل انهُ وقع ليلة بحضرة الرشيد زيادةً على الف توقيع فنظر في جميعها فلم يخرج شيءٌ منها عن موجب الفقه

قال احمد بن جنيد الاسكافي وكان اخص الناس بجعفر البرمكي فكان الناس يقصدونهُ في حوائجهم الى جعفر. وان رقاع الناس كثرت في خف احمد بن الجنيد فلم تزل الى ان تهيأت له الخلوة بجعفر فقال له جعلني الله فداك قد كثرت رقاع الناس معي واشغالك كثيرةٌ وانت اليوم خالٍ فان رأيت ان تنظر فيها . قال له جعفر على ان تقيم عندي اليوم فقال نعم وصرف دوابهُ واقام عندهُ فلما تغدَّوا جاءهُ بالرقاع فقال له جعفر هذا وقت راحةٍ فدعنا اليوم فامسك عنهُ وانصرف فلم ينظر في الرقاع . فلما كان بعد ايامٍ خلا بهِ فاذكرهُ فقال نعم على ان تقيم عندي اليوم فاقام عندهُ ففعل بهِ مثل الفعل الاول حتى فعل بهِ ذلك ثلاثًا. فلما كان في آخر يومٍ اذكرهُ قال دعني الساعة وناما. فانتبه جعفر قبل احمد بن الجنيد فقال لخادمٍ له اذهب الى خف احمد فجئني بكل رقعةٍ فيهِ ولا يعلم احمد فذهب الغلام وجاء بالرقاع فوقّع جعفر فيها عن آخرها بخطهِ بما احب اصحابها ووكد ذلك ثم امر الغلام ان يردها الى الخف فردها فانتبه احمد فلم يقل له فيها شيئًا وانصرف بها اياما .
قال احمد بن جنيد لكاتبهِ ويحك هذه الرقاع قد اخلقت خفي وهذا ليس ينظرها فتصفحها وجدّد ما أُخلق منها فاخذها الكاتب فنظر فيها فوجد الرقاع موقعًا عليها بما سأل اصحابها واكثر فتعجب من كرمهِ ونبل اخلاقه ومن انهُ قضى حاجتهُ ولم يعلم بها لئلا يظن انهُ اعتد بها عليهِ . ولما غضب الرشيد على البرامكة أُصيب في خزانةٍ لجعفر جرّة فيها الف دينار ونيف كل دينار منها وزنهُ مائة مثقال ومثقال على احد جانبي كل دينار منها مكتوب

واصفر من ضرب دار الملوكِ يلوح على وجههِ جعفرُ

يزيد على مائة واحدٌ متى تعطهِ معسرًا يوسرُ .

وكان ابو زكَّار الرباباعي الاعمى عند جعفر لما حضر مسرور ليأخذ رأسهُ وابو زكار يغني هذا الصوت

فلا تبعد فكل فتىً سيأتي اليهِ الموت يطرق او يغادي .

وكل ذخيرةٍ لا بد يومًا وان بقيت تصير الى نفادِ

فلو فدّيت من حدث الليالي فديتك بالطرائف والتلادِ

قال لهُ ممن اخذت هذا الصوت قال اخذتهُ من احسن الناس شعرًا حكم الوادي . فما قام من موضعهِ حتى جاء مسرور غلام الرشيد قال ابو يزيد الرياحي كنت قاعدًا عند خشبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي أُفكر في زوال ملكهِ وحالهِ التي صار اليها . اذ اقبلت امرأةٌ لها هيئة حسنة فوقفت على جعفر وبكت واحترقت وتكلمت فابلغت وقالت أَما والله لئن اصبحت للناس آية لقد بلغت الغاية . ولئن زال ملكك وخانك دهرك ولم يطل بهِ عمرك لقد كنت المغبوط الناعم بالا يحسن بك الملك فاستعظم الناس فقدك اذ لم يستخلفوا ملكًا بعدك فنسأَل الله الصبر على عظيم الفجيعة وجليل الرزيئة الذي لا يستعاض بغيرك والسلام عليك وداع غير قالٍ ولا ناسٍ لذكرك ثم انشأَت تقول

العيش بعدك مرٌّ غير محبوبِ ومذ صلبت ومقتنا كل مصلوبِ

ارجو لك الله ذا الاحسان ان لهُ فضلاً علينا وعفوًا غير محسوبِ

ثم سكتت ساعةً وتأَملتهُ ثم انشأَت تقول

عليك من الاحبة كل يومٍ سلام الله ما ذُكر السلامُ

لئن امسى صداك برأي عينٍ على خشبٍ حباك بهِ الامامُ

فمن ملكٍ الى ملكٍ برغمٍ من الاملاك آن لك الحمامُ

قال اسمعيل بن محمد لما بلغ سفيان بن عيينة قتل جعفر وما نزل بالبرامكة حوَّل وجههُ الى القبلة وقال اللهمَّ انه قد كان كفاني موؤنة الدنيا فاكفهِ موؤنة الاخرة وكان جعفر بن يحيى يجري على سفيان بن عيينة في كل شهر ما يقوم باودهِ فكان سفيان يقول اللهمَّ انهُ كفاني امر دنياي فاكفهِ امر آخرتهِ فلما مات رُوِي في المنام فقيل لهُ ما فعل الله بك قال ادركتني دعوة العبد الصالح فغفر لي وادخلني الجنة . وقال بعض الشعراء في صلب جعفر ابياتًا وتروى في غيرهِ

علوٌّ في الحياة وفي المماتِ بحقٍ انت احدى المعجزاتِ

كأَنَّ الناس حولك حين قاموا وفود نداك ايام الصلاتِ

مددت يديك نحوهم احتفاءً كمدّكها اليهم بالهباتِ

وتشعل حولك النيران ليلاً كذلك كنت ايام الحياةِ
لعظمك في النفوس تبيت ترعى بحفّاظٍ وحرّاسٍ ثقاتِ
ولما ضاق بطن الارض عن ان يضم علاك ايام المماتِ
اصاروا الجو قبرك واستعانوا على الاكفان ريح السافيات
فلم أرَ قبل جذعك قط جذعًا تمكّن من رقاب المكرمات
أسأتَ الى النوائب فاستثارت فانت قتيل ثار النائبات
ولو اني قدرت على وقوفي لفضلك بالحقوق الواجباتِ
ملأت الارض من غُرر القوافي ونحت بها خلاف النائحاتِ
ولكني اقتصرت على المراثي مخافةَ ان أُعدَّ من الجناةِ
عليك تحيةُ الرحمن تترى غوادٍ رائحاتٍ ناعياتِ

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي دخلت على امي في يوم اضحى وعندها امرأةٌ في ثوبٍ دنسٍ فقالت لي اتعرف هذه قلت لا قالت عبّادة ام جعفر فقلت لها حدثيني بعض امركم قالت لقد هجم عليّ مثل هذا اليوم وعلى رأسي اربعمائة وصيفةٍ لبوس كل واحدٍ منهنّ خلاف لبوس الاخرى وقد اتيتكم اليوم اسألكم جلد شاتين اجعل احدها شعارًا والاخر دثارًا

قال مسرور الكبير استدعاني المأمون وقال قد اكثر على اصحاب الخبر بان شيخًا يأتي خرابات البرامكة فيبكي وينتحب طويلاً ثم ينشد شعرًا يرثيهم بهِ وينصرف فاركب انت ودينار بن عبد الله واستترا بالجدران فاذا جاء وشاهدتماهُ وما فعل وسمعتماه فاتياني بهِ فركبنا مغلسين ما يرانا احدٌ فاتينا الموضع فاختفينا فيهِ وابعدنا الدواب فلما اصبحنا فاذا بخادمٍ اسود قد جاء ومعهُ كرسي حديد فطرحهُ وجاء على اثرهِ كهل فجلس على الكرسي وتلفت فلم يرَ احدًا فبكى وانتحب حتى قلت قد فارق الدنيا وانشد يقول الابيات المتقدم ذكرها

ولما رأيت السيف خالط جعفرًا ونادى منادٍ للخليفة في يحيى

فلما قام ليذهب قبضنا عليهِ قال ما تريدان قلت هذا دينار بن عبد الله وانا مسرور خادم امير المؤمنين وهو يستدعيك فاملس ثم قال اني لا آمنهُ على نفسي فامهلني حتى اوصي قلت شأنك فسرنا معهُ فوقف على دكان رجلٍ واستدعاهُ دواةً وبيضاء فكتب فيها وصيتهُ ودفعها الى خادمهِ وسرنا بهِ فلما مثل بين يدي الخليفة فزبرهُ وقال من انت وبما استحق البرامكة منك ما تصنع فقال غير هائبٍ ولا محتشم يا امير المؤمنين ان للبرامكة عندي ايادٍ خضرة فان امر امير المؤمنين حدثتهُ ببعضها فقال هاتِ. قال انا المنذر بن المغيرة الدمشقي نشأت في نعمةٍ فزالت حتى وصلت الى بيع داري

وأملقت الى غاية فاشير عليّ بقصد البرامكة فخرجت الى بغداد ومعي نيف وعشرون امرأةً وصبيًا فدخلتُ بهم الى مسجدٍ ببغداد ثم خرجت وتركتهم جياعًا لا نفقة لهم فمررت بمسجدٍ فيهِ جماعة عليهم احسن زيّ فجلست معهم اردد في صدري ما اخاطبهم بهِ فنحيد نفسي عن ذل المسألة واذا خادم قد ازعج القوم فقاموا فقمت معهم ودخلوا دارًا كبيرة فدخلت فاذا يحيى بن خالد على دكةٍ وسط بستان فجلسوا وجلست وكنّا مائة رجل ورجل فخرج مائة خادم في يد كل خادم منهم مجمرة ذهب فيها قطعة عنبر فتبخروا واقبل يحيى على القاضي وقال زوج ابن عمي هذا بابنتي عائشة فخطب وعقد النكاح واخذنا النثار من فتات المسك وبنادق العنبر وتماثيل الند فالتقط الناس والتقطت ثم جاءنا الخدم في يد كل واحدٍ منهم صينية فضة فيها الف دينار مخلوطة بالمسك فوضع بين يدي كل واحدٍ واحدة فاقبل كل واحد يأخذ الدنانير في كمهِ والصينية تحت ابطهِ ويخرج فبقيت وحدي لا اجسر افعل ذلك فغمزني بعض الخدم وقال خذها وقم فاخذتها وقمت وجعلت امشي والتفت خوفًا من ان توءخذ مني ويحيى يلاحظني من حيث لا افطن. فلما قاربت الستر رُددت فيأست من الصينية فجئته فأمرني بالجلوس فجلست فسألني عن حالي فحدّثته عن قصتي فبكى ثم قال عليّ بموسى فجاءهُ فقال يا بني هذا رجلٌ من اولاد النعم قدرمتهُ الايام بصرفها فخذهُ اليك فاخلطهُ بنفسك فاخذني وخلع عليّ وامرني بحفظ الصينية لي فكنت في الذّ عيش يومي وليلتي . ثم استدعا اخاهُ العباس وقال ان الوزير قد سلّم اليّ هذا واريد الركوب الى دار امير المؤمنين فليكن عندك اليوم فكان يومي مثل امس فاقبلوا يتداولوني وانا قلقٌ بامر عيالي ولا اتجاسر ان اذكرهم فلما كان في اليوم العاشر ادخلت على الفضل بن يحيى فاقمت عندهُ يومي وليلتي فلما اصبحت جاءني خادمٌ فقال قم الى عيالك وصبيانك فقلت انا لله ذهبت الصينية وما فيها فليت هذا كان من اول يوم وقمت والخادم يمشي بين يدي فاخرجني من الدار فازداد ما بي ثم ادخلني الى دارٍ كأن الشمس تطلع في جوانبها وفيها من صنوف الآلات والفرش فلما توسطتها رأيت عيالي يرتعون في الديباج والستور وقد حمل اليهم مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار وسلّم اليّ الخادم صكًا باسم ضيعتين جليلتين وقال هذه الدار وما فيها والضياع لك فاقمت مع البرامكة في اخفض عيش الى الان . ثم قصدني عمرو بن مسعدة في الضيعتين والزمني من خراجها ما لا يفي بهِ دخلها فكلما لحقتني نائبة قصدت دورهم فبكيت . فاستدعى المأمون عمرو بن مسعدة وامرهُ ان يرد على الرجل ما استخرج منهُ ويقرر خراجه على ما كان في ايام البرامكة فبكى الشيخ بكاءً شديدًا فقال لهُ المأمون ألم استأنف بك جميلاً فقال بلى ولكن هذا من بركة البرامكة فقال امضِ مصاحبًا فان الوفاء مبارك وحسن العهد من الايمان

وفيها مات الفضيل بن عباس ابو علي التميمي ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير وسمع الاعمش

ومنصور المعتمر وعطاء وابن السائب وحصن بن عبد الرحمن ثم تعبّد وانتقل الى مكة شرّفها الله تعالى فمات فيها وكان ثقةً فاضلاً زاهدًا عابدًا معترفًا وله اخبار كثيرة وفتاء حسنة يطول شرحها في هذا المختصر

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة وفيها مدح ابو الشيص الرشيد عند ورود الخبر بهزيمة نقفور وفتح بلد الروم من قصيدةٍ قالها منها ولولها

فربتَ بسيف الله هام عـــداته وطأْطأت بالاسلام ناصية الشرْكِ

فاصبحت مسرورًا ولا نبي ضاحكًا واصبح نكفورٌ على ملكه يبكي

وفيها حجّ الرشيد وهي آخر حجاتهِ ولقيهُ البهلول في الطريق ووعظهُ قال الفضل بن الربيع حججت مع هرون الرشيد فررنا بالكوفة فاذا ببهلول المجنون يهذي فقلت اسكت فقد اقبل امير المؤمنين فسكت فلما حاذاهُ الهودج قال يا امير المؤمنين حدّثني أيمن بن نائل قال انبأَنا قدامة بن عبدالله العامري قال رأيت رسول الله (صلعم) يمشي على جملٍ وتحتهُ رحلٌ رثٌّ فلم يكن ثم طردٌ ولا ضربٌ ولا اليك اليك . فقلت يا امير المومنين انهُ بهلول المجنون قال قد عرفتهُ قُل يا بهلول فقال يا امير المومنين هب انك قد ملكت الارض طرًّا ودان لك العباد فكان ماذا أليس غدا مصيرك جوف تربٍ ويحثو الترب هذا ثم هذا قال اجدت يا بهلول فهل غيرهُ قال نعم يا امير المومنين من رزقهُ الله مالاً وجمالاً فعفَّ في جمالهِ وواسى في مالهِ كتب في ديوان الابرار . قال فظن انهُ يريد شيئًا قال فانّا قد امرنا بقضاء دينك قال لا ينفعك يا امير المومنين لا تقضِ دينًا بدين اردد الحق الى اهلهِ واقضِ دين نفسك . قال انّا قد امرنا ان تجرى عليك جراية قال لا تفعل يا امير المومنين لا يعطيك وينسي لي اجري على الذي اجرى عليك لا حاجة لي في جرايتك

وفيها مات ابرهيم بن ماهان بن بهمن ابو اسحق المعروف بالموصلي وهو من ارجان نسب الى ولاء الحنظليين واصلهُ من الفرس خرج ابوهُ بامهِ من ارجان وهي حامل فقدم الكوفة فولدتهُ سنة خمس وعشرين ومائة فصحب في الكوفة فتيانًا في طلب الغناء واشتدت عليهِ اخوالهُ في ذلك فخرج الى الموصل ثم عاد الى الكوفة فقال لهُ اخوالهُ مرحبا بالفتى الموصلي فوقع الاسم عليهِ . ونظر الى الادب وقال الشعر واتصل بالملوك والخلفاء. قال الزبير بن بكّار حدثني اسحق الموصلي عن ابيهِ ابرهيم . قال جاءني غلامي فقال بالباب رجلٌ حائك يطلب الاذن عليك قلت ويلك مالي وللحائك قال لا ادري غير انهُ قد حلف بالطلاق انهُ لا ينصرف حتى يكلمك بحاجةٍ فقلت ائذن لهُ فدخل قلت ما حاجتك قال جعلني الله فداك انا رجل حائك كان عندي بالامس جماعة من اصحابي وانّا لنتذاكر بالغناء والمقدّمين فيهِ فاجمع من حضر انك رأس القوم ونبدارهم وسيدهم في

هذه الصنعة فحلفت بالطلاق من ابنة عمي واعزّ الخلق عليّ ثقةً مني بكرمك على ان تشرب عند يـ
غدا وتغنيني فان رأيت جعلني الله فداك ان تمنّ على عبدك بذلك فعلت . فقلت ابن منزلك قال
في دور الصحابة . قلت فصف للغلام موضعك وانصرف فانني رائح اليك فوصف للغلام موضعه .
فلما صلّيت الظهر مضيت اليه فلما دخلت قام الحائك والحاكة فاكبوا عليّ يقبلون اطرافي وعرضوا عليّ
الطعام فقلت قد تقدّمت في الاكل وقلت اقترح . فقال الحائك غنني بجياني

يقولون لي لو كان بالرمل لم تمت ثنية والطرّاق تكذب قيلها

فغنيت فقال احسنت جعلني الله فداك ثم قلت اقترح فقال غنني بجياني

وخُطّا باطراف الاسنّة مضجعي وردا على عينيّ فضل ردائيا

فغنيت فقال احسنت والله جعلني الله فداك فقلت اقترح فقال غنّ

أحقًا عباد الله ان لستُ واردًا ولا صادرًا الّا عليّ رقيبُ

فقلت يا ابن الخناء انت ابن شريح اشبه منك بالحاكة فغنيت ثم قلت والله انك ان حدث ثانيةً
حلّت امرأتك لغلامي قبل ان تحل لك ثم انصرفت وجاء رسول الرشيد يطلبني فمضيت من فوري
ذلك فدخلت على الرشيد فقال ابن كنت يا ابرهيم قلت ولي الامان فقال ولك الامان فحدثته
فضحك وقال هذا انبل حائك على وجه الارض والله لقد كرمت في امره واحسنت في اجابته وبعث
الى الحائك فاستنطقه وسائله فاستطابه واستظرفه وامر له بثلاثة الاف درهم . وقال ابرهيم في مرضه
عند وفاته

ملّ والله طبيبي من مقاساة الذي بي

سوف انعى عن قريب لعدوّ وحبيب

ولما توفي وجد له من المال اربعة وعشرون الف الف درهم

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفيها مات اسحق بن عبد الرحمن بن المغيرة بن جميل الزهري
من اهل المدينة وسكن بغداد وكان له قدرٌ كبيرٌ عند الخلفاء وكان موصوفًا بالسخاء والجود حتى
قال الشاعر له ولاخيه يعقوب

نفى الجوع من بغداد اسحق ذو الندى كما قد نفي جوع الحجاز اخوهُ

وما يكُ من خيرٍ اتوهُ فانما فعال عزيزٍ قبلهم فعلوهُ

هو البحر بل لو حلّ بالبحر وفدهُ ومن يجتديه ساعةً نزفوهُ

وانشد الزبير لمكنفٍ وهو من ولد زهير بن ابي سلمى يرثي اسحق بن عزيز

ولئن بكت جزعًا عليك لقد بكت جزعًا عليه مكارم الاخلاقِ

يا خير من بكت المكارم فقده لم يبقَ بعدك للمكارم باقِ
لو طاف في شرق البلاد وغربها لم يلقَ الاّ ماجدًا لك لاقِ
بخلت بما حوت الاكفّ وانما خلق الاله يديك للانفاقِ
ما بتّ من كرم الطبائع ليلةً الاّ لعرضك من نوالك واقِ

وفيها مات علي بن حمزة بن عبدالله ابو الحسن الاسدي النحوي المعروف بالكسائي احد ايمة القراء من اهل الكوفة استوطن بغداد وعلّم الرشيد ثم الامين ولده بعده وكان قد قرأ على حمزة الزيات واقرأ ببغداد زمانًا بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة فاقرأ بها الناس وقد سمع الحديث من ابي بكر بن ابي عياش وسفيان بن عيينة واخرين روى عنه الفرّاء وابو عبيدة . قال الشافعي من اراد ان يتبحّر في النحو فهو عيالٌ على الكسائي . قال الفرّاء انما تعلّم الكسائي النحو على كبرٍ . وكان سبب تعلّمه انه جاء يومًا وقد مشى حتى عيي فجلس الى الهارين وقال قد عييت فقالوا تجالسنا وانت تلحن فقال كيف لحنت فقالوا له ان كنت اردت من التعب فكان قلت اعييت وان كنت اردت من انقطاع الحيلة والتحيّر في الامر فقل عييت مخففة فأنف من هذه الكلمة وقام من فوره وسأل عن من يعلم النحو فارشدوه الى معاذ الهراء فلزمه حتى انفذ ما عنده ثم خرج الى الخليل بن احمد قال له من اين اخذت علمك فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج فرجع وقد انفذ خمس عشرة قنينة حبرٍ في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه ولم يكن له همة غير الخليل ووجد الخليل قد مات وقد جلس موضعه يونس النحوي . فمرّت بينهما مسائل اقرّ له يونس فيها وصدّره موضعه . وفي تسميته الكسائي قولان احدهما انه احرم في كساء . والقول الثاني قال خلف بن هشام انما سمي بالكسائي كسائيًا لانه دخل الكوفة الى مسجد السبيع وكان حمزة بن حبيب الزيات فيه فتقدّم الكسائي مع اذان الفجر فجلس وهو ملتفّ بكساء فرمقه القوم بابصارهم . فقالوا ان كان حائكًا فسيقرأ سورة يوسف وان كان ملاّحًا فسيقرأ سورة طه فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف فلما بلغ الى قصة الذئب فقرأ . فاكله الذيب بغير همز فقال له حمزة الذئب بالهمزة فقال له الكسائي وكذلك اهمز الحوت . فالتقمه الحوت . قال لا . قال فلمَ همزت الذئب وما همزت الحوت وهذا فاكله الذئب وهذا فالتقمه الحوت فرفع حمزة بصره الى خلاد الاحول وكان احد غلمانه فتقدّم اليه في جماعة اهل المجلس فناظروه فلم يصنعوا شيئًا فقالوا افدنا يرحمك الله . فقال لهم الكسائي تفهموا عن الحائك . تقول اذا نسبت الى الذئب قد استذأب الرجل فلو قلت استذاب بغير همزٍ كنت انما نسبته الى الهزال تقول استذاب الرجل اذا استذاب شحمه بغير همزةٍ واذا نسبته للحوت قلت قد استحات الرجل اي أكثر اكله لان الحوت يأكل كثيرًا فلا يجوز فيه الهمز فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت وفيه معنىً اخر لا تسقط

الهمز من مفرده ولا من جمعه وانشدهم

ايُّها الذئب وابنهُ وابوهُ ... انت عندي من اذؤبٍ ضارياتِ

فسمي الكسائي من ذلك اليوم

قال الكسائي صليت بهرون الرشيد فاعجبتهُ قراءتي فغلطت في آيةٍ ما اخطأ فيها صبيٌّ فاردت ان اقول . لعلهم يرجعون. فقلت لعلهم لا يرجعون . فوالله ما اجترى هرون ان يقول اخطأت ولكني لما سلمت قال يا كسائي اي لغةٍ هذه . قلت يا امير المؤمنين قد يعثر الجواد . فقال أمَّا هذا فنعم

قال الكسائي حلفت ان لا اكلم عاميًّا الاَّ بما يوافقهُ ويشبه كلامهُ . فوقفت على نجَّارٍ فقلت بكم هذان البابان فقال بسلحتان يامصفعتان . فحلفت ان لا اكلم عاميًا الاَّ بما يصلح قال مسلمة كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد فدعاهُ يومًا وهو يستاك فقال كيف تأمر من السواك فقال استكْ فقال امير المؤمنين انَّا لله وانَّا اليهِ راجعون . ثم قال التمسوا لنا من هو افهم من هذا فقالوا رجلٌ يقال لهُ علي بن حمزة الكسائي من اهل الكوفة قدم من البادية قريبًا فكتب بازعاجهِ من الكوفة. فساعة دخل عليهِ قال لهُ يا علي قال لبيك يا امير المؤمنين قال كيف تأمر من السواك فقال سك فقال احسنت واصبت وامر لهُ بعشرة آلاف درهم

قال الكسائي وحضرت عند الرشيد فاخرج اليَّ محمد الامين وعبدالله المأمون كانهما بدران فقال لي كيف تراهما فقلت

ارى قمرَي افقٍ وفرعَي بشامةٍ ... يزينهما عرقٌ كريمٌ ومحتدُ
سليلَي امير المؤمنين وحائزَي ... مواريث ما ابقى النبيُّ محمدُ
يسدَّان آفاق النفاق بهمةٍ ... يؤيدها حزمٌ ورأيٌ وسوددُ
حياةٌ وخصبٌ للولي ورحمةٌ ... وحربٌ لاعدائهِ وسيفٌ مهندُ

ثم قلت فرعٌ زكي اصلهُ وطاب مغرسهُ تمكنت فروعهُ وعذبت مشاربهُ اداهما ملك اغرُّ نافذ الامر واسع العلم عظيم الحلم . اعلاهما فعلوا وسما بهما فسموا فهما يتطاولان بطولهِ ويستضيئان بنورهِ وينطقان بلسانهِ . فامتع الله امير المؤمنين بهما وبلغهُ الامل فيهما فكنت اختلف اليهما . وللكسائي اشعار كثيرة منها يمدح علم العربية قولهُ

انما النحو قياسٌ يُتبَع ... وبهِ في كل امرٍ يُنتفَع
فاذا ما ابصر النحوَ الفتى ... مرَّ في المنطق مرًّا فاتسع
فاتقاهُ كل مَن جالسهُ ... من جليسٍ ناطقٍ او مستمع

واذا لم يبصر النحو الفتى هاب ان ينطق حيًّا فانقطع
فتراهُ يرفع النصب وما كان من خفضٍ ومن نصبٍ رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما صرف الاعراب فيهِ وصنع
والذي يعرفهُ يقرأهُ فاذا ما شك في حرفٍ رجع
ناظرًا فيهِ وفي اعرابهِ فاذا ما عرف اللحن صرع
كم وضيعٍ رفع النحو وكم من شريفٍ قد رأيناهُ وضع
فهما فيهِ سواءٌ عندكم ليست السنَّة فينا كالبدع

ومات الكسائي بالري سنة تسع وثمانين ومائة وسنهُ سبعون سنة . وفيها مات محمد بن الحسن بن يزيد ابو عبدالله الشيباني مولاهم صاحب ابي حنيفة اصلهُ دمشقي من قريةٍ هناك قدم ابوهُ العراق فولد محمد بواسط في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ونشأ بالكوفة وسمع العلم بها من ابي حنيفة ومسعر والثوري وعمرو بن دينار ومالك بن معوَّل وكتب عن مالك وانس والاوزاعي وابي يوسف القاضي وسكن بها وغلب عليهِ الرأي وتقدم فيهِ وروى عنهُ الشافعي وابو عبيدة وجماعة وخرج الى الرقة والرشيد بها فولَّاهُ قضاء الرقة ثم عزلهُ فقدم بغداد فلما خرج الرشيد الى الري خرج معهُ فمات بالري وكان يقول ترك لي ابي ثلاثين الف درهم فانفقت خمسة عشر الف على الحديث والفقه وخمسة عشر الف على النحو والشعر وكان يقول لاهلهِ لا تسألوني حاجةً من حوائج الدنيا فتشغلوا بها قلبي عن الذكر والاشتغال وخذوا ما تحتاجون اليهِ من وكيلي فانه اقل لهمي وافرغ لقلبي . وقال الشافعي ما رأيت سمينًا اخف روحًا من محمد بن الحسن وما رأيت افصح منهُ كنت اذا رأيتهُ يقرأ كأنَّ القرآن نزل بلغتهِ . وقال رجلٌ للشافعي خالفك الفقهاء فقال الشافعي وهل رأيت فقيهًا قط الَّا ان يكون محمد ابن الحسن فانهُ كان يملأ العين والقلب . وقال الطحاوي كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن كتاب السير فلم يجبهُ الى الاعارة فكتب اليهِ

قُل للذي لم ترَ عينُ من رآهُ مثلهُ
حتى كأنَّ من رآ هُ قد رأى من قبلهُ
العلم ينهي اهلهُ ان يمنعوهُ اهلهُ
لعلَّهُ يبذلهُ لاهلهِ لعلَّهُ

فوجَّه بهِ في الحال هديةً لا عاريةً

ودخلت سنة تسعين ومائة وفيها مات يحيى بن خالد البرمكي قال ابو علي كان المهدي ضمَّ اليهِ هرون الرشيد وجعلهُ في حجرهِ فلما استخلف هرون عرف ليحيى حقهُ وكان يعظمهُ فاذا ذكرهُ قال

أبيه وجعل اصدار الامور وايرادها اليه الى ان نكب البرامكة فغضب عليه وخلده في الحبس الى ان مات فيه وكان له الكلام الحسن والكرم الواسع. فمن كلامه حاجب الرجل عاملة على عرضه. وقال من بلغ رتبة فتاه بها اخبران محلة دونها. وقال يدل على كرم الرجل سوء ادب غلمانه. وقال لابنه خذ من كل علم طرفًا فان من جهل شيئًا عاداهُ. وقال ثلاثة اشياء تدل على عقول اربابها الهدية والكتاب والرسول. وكان يقول لولده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا احسن ما تكتبون وتحدثوا باحسن ما تحفظون. وكان يقول اذا اقبلت الدنيا فانفق فانها لا تفنى واذا ولت فانفق فانها لا تبقى واليه اشار الشاعر

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها　　على الناس طرًّا قبل ان تتفلّتِ

فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت　　ولا البخل يبقيها اذا هي ولّتِ

وكانت صلات يحيى اذا ركب لمن يعرض له في طريقه مائتا درهم فركب ذات يوم فعرض له اديب شاعر فقال له

يا سميُّ الحصور يحيى أُتيحت　　لك من فضل ربنا جنّتانِ

كل من مرّ في الطريق عليكم　　فله من نوالكم مائتانِ

مائتا درهم لمثلي قليلٌ　　هي منكم للعابر العجلانِ

قال يحيى صدقت فامر بحمله الى داره فلما رجع من دار الخليفة سأله عن حاله. فذكر انه تزوج وحلف بواحدة من ثلاث اما ان يؤدي المهر وهو اربعة الاف واما ان يطلق واما ان يقيم مجريًا للمرأة ما يكفيها الى ان يتهيأ له نقلها. فامر له يحيى باربعة الاف للمهر واربعة الاف ثمن منزل واربعة الاف للبنية واربعة الاف لما يحتاج اليه واربعة الاف ليستظهر بها فاخذ عشرين الف درهم

وبلغنا ان الرشيد بن المهدي بعث صالحًا صاحب المصلّى الى منصور بن زياد يقول له قد وجبت عليك عشرة الاف الف درهم فاحملها اليّ اليوم فان فعل قبل غروب الشمس والاّ فخذ رأسه وأتني به ولا تراجعني. قال صالح فخرجت الى منصور فعرّفته فقال ذهبت والله نفسي والله ما اتمكن من ثلثمائة الف درهم فضلاً عن عشرة الاف الف فقال صالح فخذ فيما هو اعوز لك من هذا القول فقال له تمهلني الى اهلي حتى اوصي فلما دخل اليهم ارتفع صياح الحرم والجواري فقال لصالح امضِ بنا الى يحيى بن خالد البرمكي لعلّ الله ان يأتي بالفرج على يديه فمضى معهُ فدخل عليه وهو يبكي. فقال مالك فقصّ عليه القصة فاطرق مفكرًا ثم دعا خازنهُ فقال ما عندك من المال قال خمسة الاف الف فقال آتِ بها ثم وجّه الى الفضل ولده فقال يا بني كنت عرّفتني انك تريد ان تشتري ضيعةً بالفي الف درهم وقد وجدت لك ضيعةً تغلّ الشكر وتبقى الدهر فانفذ اليّ بالمال فانفذهُ

وارسل الى جعفر وقال يا بني ابعث اليّ بالفي الف درهم لحقٍّ قد لزمني فبعث اليه ثم تفكر ساعةً ثم قال للخادم على راسهِ ادخل الى دنانير فقل لها هاتِ العقد الذي وهبهُ لكِ امير المومنين . فقال هذا عقد ابتعتهُ لامير المومنين بمائة وعشرين الف دينار فوهبهُ لدنانير وقد قوّمناهُ عليك بالفي الف درهم ليتمّ المال فخلّ عن صاحبنا فاخذت المال ورددت منصورًا معي فلما صرنا بالباب تمثل منصور بقول الشاعر

فما بُقيا عليّ تركتماني ولكن خفتما ضرب الرقابِ

قال صالح فقلت في نفسي ما اجد اكرم من يحيى ولا اردى طبعًا من هذا النبطي اذ لم يشكر من احيا نفسهُ . وصرت الى الرشيد فعرّفتهُ بما جرى الاّ الانشاد بالبيت المقدم ذكرهُ خوفًا عليه من ان يقتلهُ . فقال الرشيد قد علمت انهُ لا يسلم الاّ باهل هذا البيت فاقبض المال واردد العقد فما كنت لاهب هبةً ثم ارتجع لها قال صالح وحملني غيظي من منصور ان عرّفت يحيى ما انشد فاقبل يحيى يحمل له العذر ويقول ان الخائف لا يبقى له لبٌّ وربما نطق بما لا يعتقدهُ فقلت والله ما ادري من ايّ فعليك اعجب من فعلك معهُ او من اعتذارك عنهُ . لكني اعلم ان الزمان لا يأتي بمثلك ابدًا

وكان يحيى بن خالد يجري على سفيان بن عيينة كل نهار الف درهم فلما مات يحيى كان سفيان يقول في سجودهِ اللهمّ انّ يحيى بن خالد كفاني امر دنياي فاكفهِ امر آخرتهِ

ولما مات يحيى رآهُ بعض اخوانه في المنام فقال ما صنع الله بك قال غفر لي بدعوة سفيان بن عيينة

قال محمد بن جعفر قال ابي لابيهِ يحيى بن خالد وهم في القيود ولبس الصوف والحبس يا اباه بعد الامر والنهي والاموال العظيمة اصارنا الدهر الى القيود ولبس الصوف والحبس فقال له ابوهُ يا بني دعوة مظلومٍ سرت بليلٍ غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ثم انشأ يقول

رب اقوامٍ غدوا في نعمةٍ زمنًا والدهر ريّانٌ غدَق
سكتَ الدهر زمانًا عنهمُ ثم ابكاهم دمًا حين نطق

وتوفي يحيى بن خالد في حبس الرشيد بالرصافة وهو ابن سبعين سنة وصلّى عليه ابنهُ الفضل ودُفن على شاطىء الفرات في ربض هرثمة ووجد في جيبه حين مات رقعةٌ فيها مكتوب بخطهِ قد تقدّم الخصم والمدّعى عليه بالاثر والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج الى بينةٍ فحملت الرقعة الى الرشيد فلم يزل يبكي يومهُ وبقي يومهُ يتبين الاسى في وجههِ

ثم دخلت سنة اثنين وتسعين ومائة فيها مات اسمعيل بن جامع بن عبدالله بن المطلب بن ابي وداعة ابو القاسم وكان يحفظ القرآن الاّ انهُ اشتهر بالغناء . قال ابو الفرج الاصفهاني قال ابن جامع

انتقلت من مكة الى المدينة لشدة لحقتني فاصبحت يوماً وما املك الا ثلاثة دراهم في كمي فاذا بجارية على كتفها جرة تريد الركي تسعى بين يدي وتترنم بصوت شجي وتقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا

وذاك لان النوم يغشى عيونهم سراعاً ولا يغشى لنا النوم اعينا

اذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا

فلو انهم كانوا يلاقون مثلما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

قال فاخذ الغناء بقلبي ولم يذر لي منه حرف فقلت يا جارية ما ادري أوجهك احسن ام غناؤك. فلو شئت اعدت قالت حباً وكرامة ثم اسندت ظهرها الى جدار ثم انبعثت تغنيه فما دار لي منه حرف فقلت لها لو تفضلت مرة اخرى فقطّت وكلحت وقالت ما اعجب احدكم يجيء الى الجارية عليها الضريبة فيشغلها فضربت يدي الى الدراهم الثلاثة فدفعتها اليها فاخذتها وقالت تريد مني صوتاً احسبك تأخذ به الف دينار والف دينار والف دينار ثم غنت ففهمته . ثم سافرت الى بغداد فآل الامر الى ان غنيت الرشيد بهذا الصوت فرمى لي بثلاثة اكياس فتبسمت فقال مم تبسمت فاخبرته خبر الجارية فعجب من اصابتها

وفيها مات بكر بن النطاح ابو وائل الحنفي الشاعر بصري نزل بغداد في زمن الرشيد فكان يعاشر ابا العتاهية واصحابه وكان ابو هفان يقول اشعر اهل الغزل من المحدثين اربعة اولهم بكر بن النطاح . قال النصر بن حديد كنا في مجلس فيه ابو العتاهية والعباس بن الاحنف وبكر بن النطاح ومنصور النميري والعتابي . فقالوا لمنصور انشدنا فانشد مدائح الرشيد فقال ابو العتاهية لابن الاحنف اطرفنا بملحك فانشد

تعلمت الوان الرضى خوف عتبه وعلمه حبي له كيف يغضبُ

ولي الف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب الى اين اذهبُ

قال ابو العتاهية القلوب من عتابك على خطر فكيف الجيوب وفي رواية اخرى الجيوب من هذا الشعر على خطر ولا سيما ان سمع بين حلق ووتر فقال بكر بن النطاح قد حضر لي شيء في هذا المعنى وانشد

أرانا معشر الشعراء قوماً بألسننا تنعّمت القلوبُ

اذا انبعثت قرائحنا اتينا بالفاظ تشق لها الجيوبُ

قال العتابي

ولا سيما اذا ما هيّجتنا بنات قد تجيب وتستجيبُ

قال النضر فما زلت معهم في سرورٍ وبلغ اسحق الموصلي خبرنا فقال اجتماع هولاء القوم طرف الدهر

قال المبرد سمعت الحسن بن رجاء يقول حضرت بكر بن النطاح ومعهُ جماعة من الشعرا يتناشدون فلما فرغوا من طوالهم انشدهم

ما ضرّها لو كتبت بالرضى　　فجفّ جفن العين او غمضا
شفاعةً مردودةً عندها　　في عاشقٍ يندمُ لو قد قضا
يا نفس صبرًا فاعلمي انها　　تأمل منها مثل ماقد مضى
لم تمرض الاجفان من قاتلي　　بلحظِهِ الاَّ لانْ امرضا

قال فابتدروا يقبلون رأسهُ . ولما مات بكر بن النطاح رثاهُ ابو العتاهية فقال

مات ابن نطاحٍ ابو وائلٍ　　بكرٌ وامسى الشعر قد بانا

وفيها مات العباس بن الاحنف بن الاسود ابو الفضل الشاعر كان من عرب خراسان ومنشأهُ ببغداد وكان ظريفًا مقبولًا حسن الشعر . قال عبدالله بن المعتز بالله لو قيل لي ما احسن شعرٍ تعرفهُ لقلت شعر العباس بن الاحنف

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا　　وفرّق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذبٌ قد رمى بالظن غيركمُ　　وصادق ليس يدري انهُ صدقا

قال عبدالله بن الربيع قال هرون الرشيد في الليل بيتًا واراد ان يشفعهُ باخر فامتنع القول عليهِ فقال عليَّ بالعباس بن الاحنف فلما طرق دعر فنزع اهلهُ فلما وقف بين يدي الرشيد قال وجهت اليك لبيتٍ قلتهُ ورُمتُ ان اشفعهُ فامتنع القول عليَّ فقال يا امير المومنين دعني حتى ترجع نفسي اليَّ فاني قد تركت عيالي على حالٍ من القلق عظيمةٍ ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد والوصف فانتظر هنيهةً ثم انشد الرشيد

جنانٌ قد رأيناها　　فلم نرَ مثلها بشرا

فقال العباس

يزيدك وجهها حسنًا　　اذا ما زدتها نظرا

فقال الرشيد زدني فقال

اذا ما الليل مال عليـــك بالاظلام واعتكرا
ودجَّ فلم ترَ قمرًا　　فابرزها ترَ قمرا

فقال لهُ الرشيد قد ازعجناك وافزعناك واقلُّ الواجب ان نعطيك ديتك فامر لهُ بعشرة الاف درهم وصرفهُ

قال الاصمعي بينما انا ذات يومٍ قاعد في مجلسٍ بالبصرة فاذا انا بغلامٍ احسن الناس وجهًا ونورًا واقف على رأسي فقال ان مولاي يريد ان يوصي اليك فقمت معهُ فاخذ بيدي حتى اخرجني الى الصحراء فاذا انا بالعباس بن الاحنف ملقى وهو يجود بنفسهِ وهو يقول

يا بعيد الدار عن وطنهِ مفردًا يبكي على شجنهِ
كلما جدَّ النحيب بهِ زادت الاسقام في بدنهِ

ثم أُغمي عليهِ فانتبه بصوت طائرٍ على شجرةٍ وهو يقول

ولقد زاد الفؤاد شجيً هاتفٌ يبكي على فننهِ
شاقني ما شاقهُ فبكى كلنا يبكي على سكنهِ

ثم أُغمي عليهِ فظننتها مثل الاولى فاذا هو ميتٌ

وفيها مات الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي اخو جعفر وُلِدَ بالمدينة سنة سبع واربعين ومائة وأُمهُ زبيدة بنت منير وارضعتهُ الخيزران وارضعتهُ زبيدة ام الرشيد اياماً فصارا رضيعين في ذلك. قال مروان بن ابي حفصة يمدحهُ

كفى لكَ فضلاً انَّ افضل حرَّةٍ غذتكَ بثديٍ والخليفة واحدُ
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها كما زان يحيى خالدًا في المشاهدُ

وكان الفضل اجود من اخيهِ جعفر وأندى راحةً الاَّ انهُ كان فيهِ كبرٌ شديد وكان جعفر اطلق وجهًا واظهر بشرًا . وكان الناس يؤْثرون لقاء الفضل . وَهبَ الفضل لطبَّاخهِ مائة الف درهم فعاتبهُ ابوهُ في هذا . فقال انَّ هذا صحبني وانا لا املك شيئًا واجتهد في نصيحتي وقال الشاعر

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يصحبهم في المنزل الخشنِ

ووهب لبعض الادباء عشرة الاف دينار فبكى الاديب فقال أتبكي استقلالاً لها قال لا والله ولكن اسفًا على الارض كيف تواري مثلك. وولي للرشيد اعمالاً جليلة بخراسان وغيرها فلما غضب الرشيد على البرامكة وقتل جعفرًا خلَّد الفضل مع ابيهِ يحيى في الحبس فلم يزالا محبوسين حتى ماتا في حبسها مات يحيى سنة تسعين ومائة ومات الفضل سنة اثنين وتسعين ومائة قبل موت الرشيد بشهور وقيل مات في سنة ثلاث وتسعين

قال علي بن الجهم عن ابيهِ قال اصبحت يومًا وانا في غاية الضيقة ما اهتدي الى دينار ولا درهم ولا املك الاَّ دابةً عجفاء وخادمًا خلقًا وطلبت الخادم فلم اجدهُ ثم جاء فقلت اين كنت قال في اجتهاد شيءٍ لك وعلفٍ لدابَّتك فوالله ما قدرت عليهِ فقلت اسرج لي دابتي فاسرجها فركبت فلما صرتُ في سوق يحيى اذا انا بموكب عظيم واذا الفضل بن يحيى فلما ابصرني قال سِر فسرنا قليلاً وحجز بيني

وبينه غلام يحمل طبقًا على باب ينادي جارية فوقف الفضل طويلاً . ثم قال سر فسرت ثم قال تدري ما سبب وقفني قلت ان رأيت ان تعلمني . قال كانت لاختي جارية وكنت احبها حبًا شديدًا واستحي من اختي ان اطلبها منها ففطنت اختي لذلك فلما كان هذا اليوم لبستها وزينتها و بعثت بها اليّ فما كان من عمري يوم اطيب من يومي هذا فلما كان هذا الوقت جاءني رسول امير المومنين فازعجني وقطع لذّتي ولما صرت الى هذا المكان دعا هذا الغلام صاحب الطبق باسم تلك الجارية فارتحت الى ندائهِ فقلت اصابك ما اصاب اخا بني عامر حيث يقول

ودَاعٍ دعى اذ نحن بالخيف من منىً ... فهيج احزان الفوآد وما يدري

دعى باسم ليلى غيرها فكأنما ... اطار بليلى طائرًا كان في صدري

فقال اكتب لي هذين البيتين فعدلت لاطلب ورقة اكتب لهُ هذين البيتين فيها فلم اجد فرهنت خاتمي عند بقال واخذت ورقة وكتبتها وادركتهُ بها فقال لي ارجع الى منزلك فرجعت ونزلت فقال لي الخادم اعطني خاتمك ارهنهُ على قوتنا فقلت قد رهنتهُ فما امسيت حتى بعث لي بثلاثين الف درهم جائزة وعشرة الاف سلفًا عن شهر برزقٍ اجراهُ لي في كل شهرٍ

قال عبدالله بن الحسن العلويّ اتيت الفضل بن يحيى فاكرمني واجلسني معهُ على فراشهِ فكلمتهُ في ديني ليكلم امير المومنين في قضائهِ عني قال وكم دينك قلت ثلاثمائة الف درهم قال نعم فخرجت من عندهِ وانا مغمومٌ لضعف ردّهِ عليّ فمررت ببعض اخواني مستريحًا اليوم ثم صرت الى منزلي فوجدت المال قد سبقني من مالهِ خاصة

وفيها مات محمد بن أُميّة بن عمرو مولى بني أُمية وكان اصلهُ من البصرة وكان شاعرًا كاتبًا ولهُ اقارب كلهم شعراء ولهُ اخبار حسنة كثيرة في الشعر والبلاغة

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة وفيها كان خروج الرشيد الى ناحية خراسان قال صبّاح الطبري مولى علي بن جعفر الهاشمي . شيّعت الرشيد حين مضى الى خراسان فقال لي يا صباح ما احسبك تراني بعد هذا ابدًا فقلت واعيذك باللهِ يا امير المومنين ان تقول هذا واللهِ اني لارجو ان يبقيك الله لامّة نبيهِ (صلعم) مائة سنة فتبسم وقال يا صباح انا والله ميتٌ بعد قريب فقلت يا امير المومنين جعلني الله فداك والله اني ارى دمًا ظاهرًا ووجهًا ناصعًا وشبابًا زائدًا ومنّةً قويّةً وروحًا طيّبة . فعمّرك الله اكثر ما عمّر من ملك الارض وفتح لك ما فتح على ذي القرنين . ولا ارى رعيتك فيك سوءًا . فالتفت الى جميعةٍ كانت وراءهُ فقال تنحّوا عني . ثم قال مِلْ بنا نحو تلك الشجرة حتى اسرّ لك سرًّا . قال فسرت معهُ منحرفًا عن الجادة نحوًا من ثلاثمائة ذراع . فكمن في ظل حائطٍ ثم قال امانة في عنقك ان تخبر بما القي اليك احدًا فقلت يا سيدي هذه مخاطبة الاخ اخاهُ . وانا عبدٌ

يخاطبني مولاي مثل هذا . فقال والله لتقولنّ اني لااقولها لاحدٍ فانها امانة حتى اوديها اليك عند الله قال فكشف عن بطنهِ فاذا حريرٌ قد عصّب بهِ بطنهُ وظهرهُ ثم حوّل اليّ قفاهُ واخذ ثيابهُ عن ظهرهِ . فاذا قروح ونقابات قد واراها بخرقٍ وادويةٍ وقال منذ كم هذا فيّ قلتُ لا ادري قال ظهرتْ في اوان سنة تسع وثمانين ومائة . ووالله ما اطلع عليها احدٌ من الناس الاّ ابن بخت يشوع ومسرور ورجاء . فاما ابن بخت يشوع فانهُ بلغني انهُ اخبر المأمون ووالله لئن بقيتُ لأبن الفاعلة لاتركنّهُ يهيم في طلب الخبز حتى يشغلهُ ذلك عن اذاعة السر واما مسرور فانهُ اخبر الامين بعلتي وما منهم احدٌ الاّ لهُ عين عليّ فاي حياةٍ تصفو لي واعزّ ولدي عليّ يحصي انفاسي ويستحثُّ علتي ولقد بلغ من تبرّمهم بي وبحياتي اني اذا اردت الركوب جاءوني ببرذون قطوف وليس الاّ ليزيد في علتي ويفسد عليّ جروحي فاكره ان اظهر هذا لهم فيستوحشون مني ومتى استوحشوا اظهروا من العداوة ما كان باطنًا والعامّة لهم ارجى والخاصة اليهم اميل وانا كالحالف بينهم اصبح فلا اطمع في المساء وامسي فلا اطمع في الصباح . فقلت يا سيدي ما احسن الجواب عن هذا ولكن اقول من ارادك بكيدٍ فاراهُ الله ذلك الكيد في نفسهِ واراهُ الله تعالى فيك ما يسوءهُ وكبت عداك حيث كانوا فقال سمع الله دعاءك وقال انصرف ان اشغالك ببغداد كثيرة فرجعت وكان اخر عهدي بهِ

ذكر وفاتهِ

قيل دخل عليهِ مسرور يومًا وهو يبكي وبيدهِ قرطاس يقرأهُ فقال لهُ لاابكى الله لك عينًا يا امير المومنين ما سبب هذا البكاء فقال يا مسرور بكائي والله اني غُنّيت بهذه الابيات ورمى اليّ بالقرطاس فاذا فيهِ شعرٌ لابي العتاهية

هل انت معتبرٌ بمن خربت يومًا قضى فيه دساكره
وبمن اذلّ الدهر مصرعهُ فتبرّأت منهُ عساكرهُ
وبمن خلت منهُ اسرّتهُ فغدا وقد عطلت منابرهُ
ابن الملوك وابن جندهمُ صاروا مصيرًا انت صائرهُ
يا جامع الدنيا للذّتهِ والمستعدُّ لمن يكابرهُ
نل ما بدالك لن تنال من الـ دنيا فان الموت آخرهُ

ثم قال يا مسرور هذه عظةٌ من الله تعالى من حقها القبول واخرج مالاً عظيمًا في الصدقة ووجوه البرّ واعتق عددًا كثيرًا من العبيد والاماء ثم خرج الى الحج فحجّ وقصد بلاد الروم فغزا وفتح . ثم عاد الى طوس فمرض مرضًا شديدًا وجمع الاطباء يعالجونهُ ثم قال

انّ الطبيب بطبّهِ ودوائهِ لا يستطيع دفاع محذورٍ اتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرئ مثلهُ فيما مضى
هلك المداوي والمداوى والذي جلب الدواء وباعهُ ومن اشترى

ثم توفي الرشيد في جمادى الاولى من سنة ثلاث وتسعين ومائة عن خمس واربعين سنة وشهرين وستة عشر يومًا ودُفن هناك بطوس وخلافتهُ ثلاث وعشرون سنة

ذكر اولادهِ

وهم محمد الامين وعبدالله المأمون ومحمد المعتصم وكلهم ولوا الخلافة وابو سليمان وابو علي وابو ايوب محمد وكان فاضلاً ولهُ شعر حسن وابو احمد محمد وابو عيسى محمد وابو جعفر محمد وابو احمد محمد السبتي الزاهد الذي يزار وقد ذكرنا اخبارهُ اولاً . وصالح ولاهُ اخوهُ المأمون البصرة وحجَّ بالناس والقاسم وابو محمد . واروى وام سلمة وخديجة وام جعفر. وام القاسم وريطة وحمدونة وسكينة وام محمد وام علي وام الحسن وام عرابة وهي زوجة محمد بن علي بن موسى الرضى عم . وام ابيها وام الفضل وام حبيب وماردة وفاطمة وغالية وابو اسحق وحجَّ بالناس وولاهُ اخوهُ المامون الشام وعلي المؤتمن وحجَّ بالناس وقريب . وكل واحدةٍ من بناتهِ تعد عشرة من الخلفاء كلهم لها محرم . هرون ابوها والهادي عمها والمهدي جدها والمنصور جدُّ ابيها والسفاح عم جدها والامين والمأمون والمعتصم اخوتها والواثق والمتوكل ابنا اخيها

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجَّابهِ

وزَرَ لهُ يحيى بن خالد البرمكي وابناهُ الفضل وجعفر وعزلهم واستوزر الفضل بن الربيع الى آخر ايامهِ . واستقضى ابا يوسف يعقوب صاحب ابي حنيفة ثم الواقدي واحتجب بشر بن ميمون مولاه ومحمد بن خالد بن برمك

ذكر خلافة

الامين

هو ابو عبد الله محمد بن هرون الرشيد وُلد بالرصافة شرقي مدينة السلام في شوال سنة سبعين ومائة امهُ زبيدة بنت جعفر بن المنصور. ولم يلِ الخلافة هاشمي من هاشميين سوى ثلاثة وهم علي بن

ابي طالب وابنة الحسن (عم) ومحمد الامين. هذا أتتهُ الخلافة في تاسع عشر من جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وعمرهُ ثلاث وعشرون سنة وأتاهُ الخبر بوفاة ابيهِ من طوس مع رجاء الخادم على البريد وكان المأمون اذ ذاك في مروَ فنادي في الناس . ثم رقى المنبر وحمد الله واثنى عليهِ وصلى على النبي صلعم . ثم قال ايها الناس احسن الله عزاءي وعزاكم في الخليفة الماضي وبارك الله لي ولكم في خليفتنا الحادث (اي اخيهِ) ومدّ الله في عمرهِ. ثم خنقتهُ العبرة . فقال يا اهل خراسان جدّدوا البيعة لامامكم الامين فبايعهُ الناس جميعًا . واما الامين فانهُ رقى المنبر بجامع الرصافة وحمد الله واثنى عليهِ وصلى على النبي صلعم . ثم قال يا ايها الناس خصوصًا يا بني العباس ان المنون بمرصد لذوي الانفاس حتمٌ من الله لا يدفع حلولهُ ولا ينكر نزولهُ . فارتجعوا قلوبكم من الحزن على الماضي الى السرور بالباقي تحوزوا ثواب الصابرين وتعطوا اجر الشاكرين . فعجب الناس من جرأتهِ . وكان ابيض طويلاً سمينًا صغير العينين بهِ اثر جدري . نقش خاتمهِ حسبي القادر. وكان كريمًا يعطي الصلات الكثيرة سوى الرسوم الراتبة وكان يقرّب ابا نواس ويصلهُ بالجوائز ومدحهُ باشعار كثيرة فمن ذلك قولهُ

واذا المطيُّ بنا بلغنَ محمدًا فظهورهنَّ على الرجال حرامُ
قرّبننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمةٌ وذمامُ
رُفع الحجاب لنا فبان لناظرٍ قمرٌ تقطّع دونهُ الاوهامُ
ملكٌ اغرُّ اذا نظرت بوجههِ لم يرو‌ِك التبجيل والاعظامُ

واوّل هذه القصيدة

يادارُ ما صنعت بكِ الايام لم يبقَ فيك بشاشةٌ تستامُ
عدم الزمان على الذين عهدتهم بكِ قاطنين وللزمان عرامُ
ايام لا اغشى لزينب منزلاً الاّ مخالسةً عليَّ لمامُ
ولقد نهزت مع الرواة بدارهم واسمت سرح اللهو حيث اساموا
وبلغت ما بلغ امرؤٌ بشبابهِ فاذا غضارة كل ذاك اثامُ

وهي قصيدة جيدة حذا ابو تمّام فيها حذوهُ فقال

قصرٌ عليهِ تحيةٌ وسلامُ خلعت عليهِ شبابها الايامُ

ذكر قتلهِ وسببهِ

وكان حسن لهُ خلع اخيهِ المأمون من ولاية العهد وتولية ولده موسى فكاتبهُ يستدعيهِ الى بغداد . فعرف السبب واستدعاه فامتنع ونفذ عسكرًا صحبة طاهر بن الحسين ونفذ الامين ايضًا

عسكرًا فالتقوا فانكسر عسكر الامين وغنمت اموالهم ونزل عسكر طاهر بن الحسين على بغداد محاصرًا لها وكان الامين متشاغلاً بلهوهِ ولعبهِ وذاك مجدٌّ في القتال وفي الحصار واستمالة العساكر والوجوه الى ان ظفر بالامين فقتلهُ ليلة الاحد خامس المحرَّم سنة ثمان وتسعين ومائة بالجانب الشرقي وقد عبرَ في سفينةٍ فأُمسك. ومن كلامهِ لما ظفر بهِ. اذا لم تساعد المقادير ضرَّت التدابير وحمل راسهُ الى المأمون وهو بخراسان ودفن جسدهُ في مقابر قريش

ذكر اولادهِ

وهم عبد الله وكان جميلاً فاضلاً ولهُ شعر لطيف فمن ذلك قولهُ

جارٍ على وجنتهِ مدمعهُ وزال عمن قد رجا مطمعهْ
في حبِّ ظبيٍ لك من وجههِ اذا تجلّى قمرٌ يطلعهْ
قد أُعطي الحسن مليكًا فما اصبح عنهُ احدٌ يمنعهْ
في خدهِ من صدغهِ عقربٌ تلسع من شآء ولا تلسعهْ

ثم موسى وولاّهُ العهد وخلع اخاهُ المامون والقاسم ثم المؤتمن ولقبه الناطق بالحق وابرهيم

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ

وزَّر لهُ الفضل بن الربيع الى اخر ايامهِ وأقرَّ ابا يوسف صاحب ابي حنيفة على قضاء القضاة (هو اول من سمي قاضي القضاة) واستحجب ابا العباس بن الربيع وكانت خلافتهُ اربع سنين واربعة اشهر وليس لهُ عقب في الخلافة والخلفآء من ولد اخيهِ المعتصم

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافتهِ

لما تولى الخلافة كان نازلاً ببغداد في الخلد فتحوَّل الى قصر المنصور بالمدينة ووعد الناس بالخير وبسط الامال للاسود والابيض وبايعهُ جملة اهل بيتهِ وخواص مواليهِ وقوادهِ وأمر للجند بمدينة السلام برزق سنتين ورتب اسمعيل بن صبيح ومعهُ علي بن صالح على ديوان التوقيعات والرسائل وجعل علي بن عيسى بن ماهان على الشرط وقتل عبد الله بن خازم ودخل عليهِ ابو نواس فهناهُ بالخلافة وعزاه في الرشيد في بيت واحد وانشأ يقول

جرت جوارٍ بالسعد والنحسِ فنحن في وحشةٍ وفي انسِ

العين تبكي والسنّ ضاحكة فنحن في مأتم وفي عرس
يضحكها القائم الامين ويبـ كيها وفاة الرشيد بالامس
بدران بدرٌ اضحى ببغداد في الـ خلد وبدرٌ بطوس في الرمس

ثم قدم القادم بالبردة والقضيب والخاتم وقدم عليه حسين الخادم بالخزائن التي كانت مع الرشيد . وقدمت زبيدة من الرقّة في آخر شهر رجب بخزائن الرشيد فتلقاها محمد بالانبار

ولما ولي الخلافة استبطأ الناس جلوسه وقالوا قد تشاغل باللهو فجلس وأمضى الامور وقال أتراني لا اعرف الاصدار والايراد . ولكن شرب كاس وشم آس واستلقاء من غير نعاس احبُّ اليَّ من مداراة الناس

وفيها مات اسمعيل بن ابرهيم بن مقسّم بن بشر الاسدي مولاهم ويعرف بابن عليّة من اهل البصرة واصله كوفي سمع من ابي التياح الضبعي حديثًا واحدًا وروى الكثير عن عبد العزيز بن صهيب وايوب السختياني وابن عون وسليمان التيمي وحميد الطويل وحدّث عنه ابن جريج وشعبة وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي واحمد ويحيي وغيرهم وكان حافظًا نفسهُ مأمونًا ورعًا ثبتًا وكان يقرأُ في الليل ثلث القرآن وكانت اخباره في الزهد والورع مشهورة غير منكرة اختصرنا بذكره عنها . وفيها مات محمد بن جعفر ابو عبد الله ويلقب غندر وهو مولى لهذيل بصري صاحب سعيد ابن ابي عروبة وجالس شعبة نحوًا من عشرين سنة وسمع جماعة غيره وكان امامًا ثقةً اخرج عنه في الصحيحين وكانت فيه سلامة صدر قيل يا غندر ان الناس يعظمون امر السلامة التي بك قال يكذبون قلت فحدثني منها بشيء صحيح . قال صمت يومًا ثم نسيت ثم ثنيت ثم نسيت فثلثت وأتممت صيامي . واشترى غندر سمكًا وقال لاهلهِ اصلحوهُ ونام فاكلهُ عيالهُ ولطخوا يدهُ فلما انتبه قال قدموا السمك قالوا قد اكلت قال لا قالوا فشم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت . وكان بعدهُ جماعة ثلاث اسم كل واحدٍ منهم محمد بن جعفر فلقب هو غندر

ثم دخلت سنة اربع وتسعين ومائة . فيها عزل محمد اخاهُ القاسمَ عن جميع ما كان ابوهُ هرون ولاهُ من عمل الشام وولى خزيمة بن خازم وامرهُ بالمقام بمدينة السلام . وفيها بدأ الفساد بين الامين والمأمون . وكان السبب في ذلك ان الفضل بن الربيع فكّر بعد مقدمهِ العراق على محمد منصرفًا عن طوس وناكثًا للعهود التي كان الرشيد اخذها عليهِ لابنهِ عبد الله وعلم ان الخلافة ان افضت الى المأمون يومًا من الدهر وهو حي لم يبقِ عليهِ فسعى في اغراء محمد بهِ وحثهِ على خلعهِ وصرف ولاية العهد من بعدهِ الى ابنهِ موسى ولم يكن ذاك من رأي محمد الامين ولا في عزمهِ بل كان في عزمهِ الوفاء بما ضمن فلم يزل الفضل يصغر عندهُ شأن المأمون ويزيّن له خلعهُ

فادخل معهُ في ذلك علي بن عيسى بن ماهان والسندي وغيرهما فازالهُ عن رأيهِ فاوّل ما بدأ بهِ محمد الامين عن رأي الفضل بن الربيع فيما دبر من ذلك ان كتب الى جميع العمال في الامصار كلها بالدعاء لابنهِ موسى بالامرة بعد الدعاء لهُ وللمأمون فلما بلغ الى المأمون وعرف عزل القاسم واقدامهُ على التدبير على خلعهِ قطع البريد عن محمد واسقط اسمهُ من الطرز والضرب وحثّ الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان على الامين في البيعة لابنهِ موسى وخلع المامون. وكان الامين يشاور في خلع المامون فينهاهُ القواد وقال لهُ خزيمة بن خازم لاتجرئ القوادَ على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك . فبايع لابنهِ موسى واحضنهُ علي بن عيسى بن ماهان وولاهُ العراق ووجه الى مكة كتاباً معَ رسولٍ من حجبة البيت في اخذ الكتابين الذين كان هرون اكتبهما وجعلهما في الكعبة فقدم بهما عليهِ وتكلم في ذلك بقية الحجبة فلم يحفل بهم فلما أتاهُ بهما اجازهُ بجائزة عظيمة ومزقهما

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة فيها امر الامين باسقاط الدنانير والدراهم التي ضُربت لاخيهِ المامون بخراسان وسبب ذلك ان المامون كان امر ألاّ يثبت فيها اسم محمد وكانت لاتجوز حينًا .وفيها نهى الامين عن الدعاء على المنابر في عملهِ كلهِ للمامون والقاسم وامر بالدعاء لنفسهِ ثم لابنهِ موسى. وفيها شخص علي بن عيسى بن ماهان الى الريّ لحرب المامون .وفيها طرد طاهر بن الحسين عمال محمد الامين عن قزوين وسائر كور الجبل . وفيها ظهر السفياني بالشام واسمهُ علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معوية . فدعى الى نفسهِ وذلك في ذي الحجة وطرد عنها سليمان ابن ابي جعفر بعد ان حصرهُ بدمشق . وفيها مات الحسن بن هانئ بن جناح بن عبد الله بن الجراح ابو علي الشاعر المعروف بابي نواس ويقال لهُ الحكمي وفي ذلك قولان احدهما انهُ نسبة الى جدهِ الاعلا وهو حكم بن سعد العشيرة والثاني انهُ مولى الجراح ولد بالاهواز ونشأ بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي واختلف الى ابي زيد النحوي وكتب عنهُ الغريب والالفاظ وحفظ عن ابي عبيدة ايام العرب ونظر في نحو سيبويه . قال الجاحظ ما رأيت احدًا كان اعلم في اللغة من ابي نواس ولا افصح لهجةً مع حلاوة ومجانبة الاستكراه . وسمع الحديث من حمّاد بن زيد ومعتمد ابن سليمان وعبد الواحد بن زيد وغيرهم واسند الحديث وروى عن حمّاد بن زيد. عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم . لايموت احدكم حتى يحسن الظن بالله فان حسن الظن بالله من الخير. قال ابن كثير دخلنا على ابي نواس نعودهُ في مرضهِ الذي مات فيهِ فقال لهُ عيسى بن موسى الهاشمي يا ابا علي انت في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة و بينك و بين الله هناتٌ فتب الى الله فقال ابو نواس اسندوني

فلما استوى جالسًا فقال اياي تخوف بالله وقد حدّثني حمّاد بن سلمة عن ثابت عن انس قال. قال رسول الله صلعم لكل نبي شفاعة واني اخبأت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي يوم القيمة فترى لا اكون منهم. قال ابو عبيدة كان ابو نواس للمحدثين مثل امرىء القيس للمتقدمين. قال ابو نواس ما قلت من الشعر شيئًا حتى رويت لستين امرأة من العرب. منهنّ الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وله اشعار في مدائح الخلفاء. قال ابن مناذر الشاعر دخل سليمان بن المنصور على محمد الامين فرفع اليه ابا نواس هجاه وانه زنديق حلال الدم وانشده من اشعاره المنكرة ابياتًا فقال يا عمّ أأقتله بعد قوله

صدق الثناء على الامين محمدٍ　　ومن الثناء تكذّبٌ وتخرّصُ
قد ينقص القمر المنير اذا استوى　　وبهاء نور محمدٍ لا ينقصُ
واذا بنو المنصور عدّ حصاؤهم　　فمحمدٌ ياقوتها المتخلّصُ

فغضب سليمان وقال والله لو شكوت من عبد الله يعني ابن الامين ما شكوت من هذا الكافر لرجوت ان تعاقبه فكيف منه. فقال عمّ كيف بقوله

قد أصبح الملكُ بالمنى ظفرا　　كانما كان عاشقًا قدرا
حسبك وجه الامين من قمرٍ　　اذا طوى الليل دونك القمرا
خليفةٌ يعتني بأمّتـهِ　　ولو أتته ذنوبها غفرا
حتى لو اسطاع من تحنّنه　　دافع عنها القضاء والقدرا

فازداد سليمان غيظًا فقال يا عمّ كيف اعمل بقوله

يا كثير النوح في الدمنِ　　لا عليها بل على السكنِ
سنّةُ العشاق واحدةٌ　　فاذا أحببت فاستكنِ
ظنّ بي من قد كلفت به　　فهو يجفوني على الظننِ
بات لا يعنيه ما لقيتِ　　عين ممنوعٍ من الوسنِ
رشأٌ لولا محاسنـهُ　　خلتِ الدنيا من الفتنِ
تضحك الدنيا الى ملكٍ　　قام بالآثار والسننِ
يا امين الله عش ابدًا　　دم على الايام والزمنِ
أنت تبقى والفناء لنا　　فاذا افنيتنا فكنِ

قال فانقطع سليمان عن الركوب فامر الامين بحبس ابي نواس فلما طال حبسه كتب اليه بهذه الابيات

تذكّر امين الله والعهد يذكرُ مقامي وإنشاديك والناس حضّرُ
ونثري عليك الدرّ يادرّ هاشمٍ فيا من رأى درًّا على الدرّ ينثرُ
ابوك الذي لم يملك الارض مثلهُ وعمك موسى عدلهُ المتخيّرُ
ومن مثل منصورٍ بن منصور هاشمٍ ومنصور قحطانٍ اذا عدّ مفخرُ
وجدّك مهديّ الهدى وشقيقهُ ابو أمك الأدنى ابوالفضل جعفرُ
فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا وعبد منافٍ والداك وحميرُ
تحسنتِ الدنيا بحسن خليفةٍ هو الصبح الاّ انهُ الدهرَ مسفرُ
يشبّ اليهِ الجودُ من وجناتهِ وينظرُ من اعطافهِ حين ينظرُ
مضت لي شهورٌ مذ حبست ثلثةٌ كانيَ قد أذنبت ما ليس يغفرُ
فان اكُ لم اذنب ففيمَ عقوبتي وان كنت ذا ذنبٍ فعفوك اكبرُ

فلما قرأ محمد الابيات قال اخرجوهُ واجيزوهُ ولو غضب ولد المنصور كلهم. وكان ابو نواس قد غالب عليهِ حب اللهو واللعب وحب المعاصي ولا يجوز ان نذكر افعالهُ المذمومة فان الله غفور رحيم وقد تاب في اخر عمرهِ واقلع عن الذنوب ووردت الاخبار عنهُ بذلك في اخر عمره وانما كان استهتارهُ في اول العمر. قال ابو العتاهية لقيت ابا نواس في المسجد الجامع بالبصرة فعذلتهُ وقلت لهُ اما آن لك ان ترعوي اما آن لك ان تزدجر. فرفع رأسهُ اليّ وهو يقول

اتراني يا عتاهي تاركًا تلك الملاهي
أتراني مفسدًا بالنـ ـسك عند القوم جاهي

قال فلما الححت عليهِ بالعذل انشأ يقول

لن ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجرُ

قال فوددتُ أن قلت هذا البيت بكل شيء قلتُ. قال علي بن محمد بن زكرياء. دخلت على ابي نواس وهو يجود بنفسهِ فقال لي اتكتب قلت نعم فانشأ يقول

دبّ فيّ الفناءُ سفلاً وعلوًا واراني اموت عضوًا فعضوا
ذهبت شرّتي بجدّة نفسي وتذكرتُ طاعة الله نضوا
ليس من ساعةٍ مضت ليَ الاّ يقتضيني بمرّها بي جزوا
لهف نفسي على ليالٍ واياً مٍ تمليتهنّ لعبًا ولهوا
قد اسأنا كل الاساءة يار بّ فصفحًا عنا الهي وعفوا

ولما احتضر ابو نواس قال اكتبوا هذه الابيات على قبري

وعظتك اجداثٌ صُمُت ونعتك ازمنةٌ خُفُت
وارتك قبرك في القبو رِ وانت حيٌ لم تَمُت
وتكلمت عن اوجهٍ تبلى وعن صورٍ سبُت

توفي ابو نواس في سنة خمس وتسعين ومائة وكان عمرهُ تسعًا وخمسين سنة ودفن بمقابر الشونيزي في تل اليهود . قال محمد بن رافع كان ابو نواس لي صديقًا فوقعت بيني وبينهُ هجرة في آخر عمرهِ ثم بلغتني وفاتهُ فتضاعف عليّ الحزن . فبينا انا بين النائم واليقظان . اذا انا بهِ فقلت ابا نواس فقال لات حين كنية قلت الحسن بن هانيء قال نعم . قلت ما فعل الله بك . قال غفر لي بابياتٍ قلتها هي تحت وسادتي فأتيت اهلهُ فلما احسوا بي اجهشوا بالبكاء فقلت لهم هل قال اخي شعرًا قبل موتهِ قالوا لانعلم الاَّ انهُ دعى بدواةٍ وقرطاس وكتب شيئًا لاندري ما هو قلت ايذنوني ادخل قال فدخلت الى مرقده فاذا ثيابهُ لم تحرَّك بعد فرفعت وسادةً فلم ارَ شيئًا ثم رفعت اخرى فاذا انا برقعةٍ فيها مكتوب

يارب ان عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بان عفوك اعظمُ
ان كان لا يرجوك الاَّ محسنٌ فبمن يلوذ ويستجيرُ المجرمُ
ادعوك ربِّ كما امرت تضرعًا فاذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ
ما لي اليك وسيلةٌ الاَّ الرجا وجميل عفوك ثمَّ اني مسلمُ

وفيها مات محمد بن حازم ابو معوية الضرير التميمي مولى سعد بن زيد مناة وُلد سنة ثلاث عشرة ومائة وعمي بعد اربع سنين لازم الاعمش عشرين سنة وكان اثبت اصحابهِ وكان يتقدَّم على الثوري وشعبة وكان حافظًا للقران ثقة لكنهُ كان يرى رأي المرجئة . روى عنهُ احمد ويحيى وخلق كثير قال ابو معوية حججت مع جدّي ابي أُمي وانا غلام فرآني اعرابي فقال لجدّي ما يكون هذا منك قال ابني قال ليس بابنك قال ابن ابنتي قال ليكون لهذا شان وليطأنَّ برجليهِ هاتين بسط الملوك فلما قدم الرشيد بعث اليَّ فلما دخلت عليهِ ذكرت حديث الاعرابي فاقبلت التمس برجلي البسط فقال يا ابا معوية ما هذا ولِمَ تلتمس البساط فحدثتهُ حديث الاعرابي فعجب منهُ . قال وحرَّكني شيء فقلت يا امير المؤمنين احتاج الى الخلاء فقال للامين والمأمون خذا بيد عمكما فارياهُ الموضع فاخذا بيدي فادخلاني الموضع فشممت منهُ رائحة طيبة فقالا لي هذا الموضع فشانك فقضيت حاجتي . واكل ابو معوية مع الرشيد فصبَّ على يديهِ فقال يا ابا معوية مَن يصبُّ عليك قال لاادري قال امير المؤمنين قال انما اجللت العلم فاكرمك الله واجلك ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة وفيها وجه محمد الامين الى عبد الله المأمون احمد بن مزيد في عشرين الفًا

وعبد الرحمن بن حميد بن قحطبة في عشرين الفًا وامرهما ان يدفعا طاهرًا عن حلوان
وفيها رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل وقدرهُ . وفيها تولى الحسن بن سهل ديوان الخراج
وفيها خُلع محمد بن هرون الرشيد وأُخذت عليهِ البيعة للمامون ببغداد وحُبس في قصر ابي
جعفر مع ام جعفر وسبب ذلك ان عبد الملك بن صالح لما جمع الناس ثم تفرقوا مات بالرقة فرد
الجند للحسن بن علي بن ماهان الى بغداد. وفيها مات محمد بن زيد بن سليمان ابو الشيص الشاعر
وكان ابو الشيص سريع الخاطر الشعر عليهِ اهون من شرب الماء . عن ابي عبيد قال اجتمع مسلم
ابن الوليد وابو نواس وابو الشيص ودعبل بن علي الخزاعي في مجلس فقالوا لينشد كل واحد منكم
اجود ما قال من الشعر فقال رجل كان معهم اسمعوا اخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل ان
ينشد قالوا هات . قال لمسلم اما انت فكأني بك قد انشدت قولك

اذا ما علت منا ذؤابة واحدٍ وان كان ذا حلمٍ دعتهُ الى الجهلِ
هل العيش الا ان تروح مع الصبى وتغدو صريع الكأس والاعين النجلِ

قال وبهذا البيت لُقّب صريع الاغاني لقبهُ بهِ الرشيد فقال لهُ مسلم صدقت . ثم اقبل على ابي
نواس فقال لهُ كأني بك قد انشدت

لا تبكِ ليلى ولا تطرب الى هندِ واشرب على الورد من حمراء كالوردِ
خمرًا اذا انحدرت في حلق شاربها أجدتهُ حمرتها في العين والخدِّ
فالخمرُ ياقوتةٌ والكأس لؤلؤة من كف جاريةٍ ممشوقة القدِّ
تسقيك من عينها خمرًا ومن يدها خمرًا فما لك من سكرين من بدِّ

فقال صدقت . ثم اقبل على دعبل بن عبد الله فقال كأني بك تنشد

اين الشبابُ وايةً سلكا لا اين يطلبُ ضلّ بل هلكا
لا تعجبي يا سلمُ من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسهِ فبكى

فقال صدقت . ثم اقبل على ابي الشيص فقال كأني بك قد انشدت

لا تنكري صدّي ولا اعراضي ليس المقلّ عن الزمان براضي

فقال لا ما هذا اردت ان انشد ولا هذا باجود شيء قلته قالوا فانشدنا ما بدا لك فانشدهم

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخرٌ عنهُ ولا متقدَّمُ
اجدُ الملامة في هواك لذيذةً حبًا لذكرك فليلمني اللوَّمُ
اشبهت اعدائي فصرت احبهم اذ كان حظي منك حظي منهمُ
واهنتني فاهنت نفسي عامدًا ما من يهون عليك ممن يكرمُ

فقال ابو نواس احسنت والله واجدت. وعمي ابو الشيص في آخر عمره واخذ ابو نواس المعنى الذي في البيت فنقله الى المديح نقلاً خفيًا في قصيدته التي مدح بها الخصيب فقال

وما جازهُ جودٌ ولاحلَّ دونهُ ولكن يصيرُ المجد حيث يصيرُ

ونقل المعنى الفرزدق الى باب المراثي فقال

ان الفصاحة والسماحة والحجى في قبةٍ ضربت على ابن الحشرجِ

ونقلهُ غيرهُ الى الهجاء فقال

انتم قرارة كل معدن سوءٍ ولكل سائلةٍ تسيل قرارُ

ونقلهُ ابو منصور النمري ايضًا الى المديح فقال

خليفة الله ان الجود اودية احلَّك الله منها حيث تجتمعُ

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة فيها اتى القاسم بن الرشيد ومنصور بن المهدي خرجا من العراق فلحقا بالمامون. وفيها حاصر طاهر بن الحسين وهرثمة وزهير بن المسيَّب محمدًا بن هرون ببغداد فنزل زهير قصر رقة كلواذى ونصب المجانيق والعرَّادات واحتفر الخنادق وجعل يخرج في الايام عند اشتغال الناس بحرب طاهر فيرمي العرَّادات من اقبل ومن ادبر ويعشر اموال التجار وبلغ من الناس كل مبلغ. فشكوا منهُ الى طاهر ونزل هرثمة بنهربين وجعل عليه حائطًا وخندقًا واعدَّ المجانيق والعرادات وانزل عبيد الله بن الوضاح الشماسية ونزل طاهر البستان بباب الانبار فانزعج لذلك محمد الامين ونفد ما كان عندهُ وامر ببيع ما في الخزائن من الامتعة وضرب آنية الفضة والذهب دنانير ودراهم وكثر الهدم والخراب حتى درست محاسن بغداد وارسل طاهر الى الارباض من طريق الانبار وباب الكوفة وما يليها فكل ناحية اجابهُ اهلها خندق عليهم ووضع مسالحهُ فمن ابى قاتلهُ واحرق منزلهُ فذلت الاجناد وتواكلت عن القتال وبقي اهل السجون والاوباش والرعاع والطرارين وكان حاتم بن الصقر قد اباحهم النهب وخرج من اصحاب طاهر رجل من اهل النجدة فنظر الى قوم عراة لاسلاح معهم فقال لاصحابهِ ما يقاتلنا الاَّ من ارى استهانة بامرهم فاوتر قوسهُ وتقدَّم فقصدهُ احدهم وفي يدهِ باريةٌ مقيَّرة وتحت ابطهِ مخلاة فيها حجارة فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استتر منهُ العيَّار فوقع في باريتهِ فياخذهُ فيجعلهُ في موضع من البارية قد هيأهُ كالجعبة فانفد الخراساني نشَّابهُ ثم حمل على العيار ليضربهُ بالسيف فاخرج العيار حجرًا من مخلاتهِ فجعلهُ في مقلاع ورماهُ فما اخطأ بهِ عينهُ ثم ثناهُ باخرى فكاد ان يصرعهُ عن فرسهِ فكرَّ راجعًا وهو يقول ليس هولاء بانس فحدَّث طاهرًا فضحك واعفاهُ من القتال. وقال في هذا بعض شعراء بغداد

خرّجت هذي الحروب رجالاً لا لقحطانها ولا لنزارِ
معشرًا في جواشن الصوف يغدو ن الى الحرب كالاسود الضواري
وعليهم مغافر الخوص يجزء بهم عن البيض والتراس البواري
ليس يدرون ما الفرار اذا الا بطال عاذوا من القنا بالفرارِ
واحدٌ منهمُ يشد على الفا قين عريان ما لهُ من ازارِ
ويقول الفتى اذا طعن الطعـ نة خذها من الفتى العيّارِ
كم شريف قد اخملتهُ وكم قد رفعت من مقامرٍ طرّارِ

ولم يزل طاهر يصابر محمد الامين وجندهُ حتى ملّ اهل بغداد ما لقوا

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة فيها قُتل محمد الامين . ولما تيقن محمد انهُ لا عدة لهُ للحصار وخاف ان يظفر بهِ وباصحابهِ صار اليهِ حاتم بن الصقر ومحمد بن ابرهيم وقوادهُ وقالوا لهُ قد آلت حالك وحالنا الى ما ترى وقد رأينا رأيًا نعرضهُ عليك فانظر فيهِ فانا نرجو ان يكون صوابًا قال ما هو قالوا قد تفرّق عنك الناس واحاط بك عدوّك من كل جانب وقد بقي من خيلك معك الف فارس ونرى ان نختار من قد عرفناه لمحبتك من الابناء سبعمائة رجل ونخرج ليلاً من هذه الابواب حتى نلحق بالجزيرة والشام فتفرض وتجبي الخراج ونصير في مملكة واسعة وتسارع اليك الناس فقال نعم ما رأيتم واعتزم على ذلك . فخرج الخبر الى طاهر بن الحسين فكتب الى سليمان ابن ابي جعفر والى محمد بن عيسى بن نهيك والى السندي بن شاهك والله لئن لم تردوهُ عن هذا الرأي لا تركت لكم ضيعة الاّ قبضتها ولا يكون لي همة الاّ انفسكم. فدخلوا على محمد فقالوا قد بلغنا ما عزمت عليهِ ولسنا نأمن من الذين تخرج معهم ان ياخذوك اسيرًا او يأخذوا رأسك. فاضرب عما كان عزم عليهِ ومال الى طلب الامان . فلما اشتدّ الحصار عليهِ فارقهُ سليمان بن ابي جعفر وابرهيم بن المهدي ومحمد بن عيسى فلحقوا جميعًا بعسكر المهدي وناظر محمد اصحابه في طلب الامان فقال لهُ السندي بادر بنا الى هرثمة واخرج ليلاً . فغضب طاهر واراد ان يخرج اليهِ فقيل لهُ يخرج الى هرثمة لانهُ يأنس بهِ ويدفع اليك الخاتم والقضيب والبردة وذلك الخلافة فاجاب الى ذلك ثم قيل لطاهر هذا مكرٌ منهُ وان الخاتم والقضيب والبردة تحمل معهُ الى هرثمة فاغتاظ وكمن حول القصر كمينًا بالسلاح فلما اراد محمد الخروج استسقى ماء فلم يوجد لهُ فدعا بولديهِ وضمهما وقبلهما وقال استودعكما الله وجعل يمسح دموعهُ بكمهِ ولبس ثياب الخلافة وركب بريد هرثمة وبين يديهِ شمعة فلما انتهى الى دار الحرس قال لخادمهِ اسقني ماء من حباب الحرس فناولهُ كوزًا فعافهُ لسهوكتهِ فلم يشرب فلما ان صار الى الحراقة خرج طاهر واصحابهُ فرموا الحراقة

بالسهام فغرق محمد ومن كان معهٔ فيها فشق محمد ثيابهٔ وسبح حتى عبرّ وصار في بستان موسى فعرفهٔ محمد بن حميد الطاهري فصاح باصحابهِ فنزلوا فاخذوهُ فبادر محمد الماء فاخذوا بساقهِ ثم حمل على برذونٍ وأُلقي عليهِ ازار من أُزُر الجند وحمل الى منزل ابرهيم بن جعفر البلخي واردف خلفهٔ رجلاً يمسكهٔ لئلا يسقط كما يفعل بالاسير وقيل عرض على الذين اخذوهُ مائة حبة قيمة كل واحدة الف درهم فابوا ان يتركوهُ وجاء الخبر بذلك الى طاهر فدعى مولىً لهٔ يقال لهٔ قريش الدنداني فامرهُ بقتل محمد فلما انتصف الليل فتح الدار اقوامٌ من العجم بايديهم السيوف مسللة فلما رآهم قام وجعل يقول انّا لله وانا اليهِ راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله اما من حيلةٍ اما من مغيثٍ. فلما وصلوا اليهِ احجموا عن الاقدام وجعل بعضهم يقول لبعضٍ تقدم فاخذ محمد بيدهِ وسادةً وجعل يقول ويحكم اني ابن عم رسول الله وابن هرون الرشيد واخو المامون الله الله في دمي. فدخل عليهِ رجل يقال لهٔ خمارويه غلام لقريش الدنداني مولى طاهر فضربهٔ بالسيف ضربةً وقعت على مقدم رأسهِ وضرب محمد وجههٔ بالوسادة ودخل جماعة فنخسهٔ واحدٌ منهم بالسيف في خاصرتهِ وركبوهُ وذبحوهُ ذبحًا من قفاه واخذوا راسهٔ فمضوا بهِ الى طاهر وتركوا جثتهٔ فنصب طاهر رأس محمد على رأس رمحٍ على برج حائط البستان وتلى. قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء. وخرج اهل بغداد ما لا يحصى عددهُ ينظرون اليهِ ثم بعث براسهِ الى المامون مع الرداء والقضيب والبردة فامر لهٔ بالف الف دينار وادخل الرأس ذو الرئاستين بيدهِ الى المامون يوم الجمعة فلما رآهُ سجد واعطى طاهر بعد قتل محمد للناس كلهم الامان وهدأ الناس ودخل طاهر المدينة وصلى بالناس وخطبهم وحضّ على الطاعة ولزوم الجماعة وانصرف الى معسكرهِ. وفيها ورد الكتاب من المامون بعد قتل الامين محمد بخلع القاسم بن هرون وفيها بويع المامون البيعة العامة

ذكر خلافة

المامون

وهو ابو العباس عبد الله بن هرون الرشيد مولدهُ كان بالياسرية في ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الاول سنة ست وسبعين ومائة وصارت الخلافة اليهِ في خامس عشر من المحرّم سنة

ثمان وتسعين ومائة وهو اذ ذاك بمرو فتوجه الى بغداد فوصلها يوم السبت سادس عشر صفر من سنة اربع ومائتين . واكتنى في خلافته بابي جعفر تفاؤلاً بكنية المنصور والرشيد في طول العمر وكان مولده ليلة استخلف الرشيد وكان ابيض الوجه اجنى العين جميلاً طويل اللحية ضيق الجبهة بخده خال اسود تعلوه صفرة . ساقاه من سائر جسده صفراوين وامه امة اسمها مراجل ماتت بعد ولايته بقليل وكان فطناً ذكياً قال ابو محمد اليزيدي كنت أُودب المامون وهو صغير في حجر سعيد الجوهري قال فانتبه يوماً وهو داخل الدار العامرة فوجهت اليه بعض خدمه يعلمه بمكاني فابطأ علي ثم وجهت باخر فابطأ فقلت لسعيد الجوهري انما هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر قال أجل ومع هذا فانه اذا فارقك عزم على خدمه ولقوا منه اذًى شديدًا فقومه بالادب فلما خرج امرت بحمله فضربته سبع درر قال فانه ليدلك عينيه من البكاء اذ اقبل جعفر بن يحيى فاخذ منديلاً فمسح عينيه من البكاء ومسح ثيابه وقام الى فرشه فقعد عليها متربعاً ثم قال ليدخل فدخل فقمت من المجلس وخفت ان يشكوني اليه فالقى منه ما اكره فاقبل عليه بوجهه وحدثه حتى اضحكه وضحك اليه فلما هم بالحركة دعا بدابته وامر غلمانه فسعوا بين يديه . ثم سال عني فجئت فقال خذ علي ما بقي من حزبي . فقلت ايها الامير اطال الله بقاءك لقد خفت ان تشكوني الى جعفر بن يحيى ولو فعلت ذلك لتنكر لي . فقال اتراني يا ابا محمد كنت اطلع الرشيد على هذا فكيف جعفر بن يحيى حتى اطلعه اني احتاج الى الادب يغفر الله لك بعد ظنك . خذ في امرك فقد خطر ببالك ما لا تراه ابدًا ولو عدت في كل يوم مائة مرة . وقال الرشيد لابي معوية الضرير وهشام اني اسمع من ابني هذا يعني المأمون كلامًا لا ادري أمن تلقين القيم عليه ام من قريحته فادخلا عليه فدخلا اليه وهو في اثواب صباه فقالا ان امير المؤمنين امرنا بالدخول عليك نناظرك . فاي العلوم احب اليك قال امتعها لي قالا وما امتعها قال ابينها عن قائلها واقربها من استفهام مستمعها فقال هشام جئناك لنعلمك فتعلمنا منك . ثم اخبرا الرشيد ان شيئًا يكون هذا اوله لحقيق ان يرجى اخره . ثم اعتق عنه مائة عبد وامة والزمها خدمته

وبلغنا ان ام جعفر عاتبت الرشيد على تقريظه المامون دون ابنها محمد فدعى خادمًا بحضرتها وقال له وجه الى محمد وعبد الله خادمين خصيين يقولان لكل واحد منهما على الخلوة ما يفعل به اذا افضت الخلافة اليه . فاما محمد فقال للخادم الذي مضى اليه اقطعك واوليك وابلغ بك . واما المأمون فرمى الخادم بالدواة وقال يا ابن اللخناء تسألني ما افعل بك لموت امير المومنين اني لارجو ان نكون جميعًا فداء له فرجع بالخبر كل واحد منهما فقال الرشيد لام جعفر كيف ترين ما قدم ابنك الا متابعة لرأيك وتركًا للجزع

وقد كان المأمون يعني بالعلم قبل ولايته كثيرًا حتى جعل لنفسه مجلس نظر

قال يحيي بن اكثم كان المامون قبل تقلده الخلافة يجلس للنظر فدخل يهودي حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثوب فتكلم فاحسن الكلام فلما تقوّض المجلس دعاه المأمون فقال اسرائيلي قال نعم قال اسلم حتى افعل بك واصنع فقال ديني ودين اباءي فلاتكلفني تركه فلما كان بعد سنة جاءنا وهو مسلم فتكلم في الفقه فاحسن الكلام فلما تقوّض المجلس دعاه المأمون فقال له ألست صاحبنا بالامس وقد كنت عرضته عليك فابيت . قال انيأ حسن الخط فمضيت فكتبت ثلاث نسخ من التوراة فزدت فيها ونقصت وادخلتها الى الكنيس فبعتها فاشتريت فكتبت ثلاث نسخ من الانجيل فزدت ونقصت وادخلتها الى البيعة فاشتريت قال وعدت الى القرآن فكتبت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت وادخلتها إلى الورّاقين فعرضتها فكلما تصفحوها فرأوا الزيادة والنقصان رموها فعلمت ان هذا كتاب محفوظ فكان سبب اسلامي. قال يحيي بن اكثم فحججت فرأيت سفيان بن عيينة فحدثته بهذا الحديث فقال مصداق هذا في كتاب الله عزّ وجلّ قلت في اي موضع فقال في قوله تعالى في التوراة والانجيل بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فجعل حفظه اليهم فضاع وقال عزّ وجلّ انّا نحن نزّلنا الذكر وانّا له لحافظون فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع

ولما استوثق الامر للمأمون ولى الحسن بن سهل كلما افتتحه طاهر بن الحسين من كوَر العراق وفارس والاهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن وكتب المأمون الى طاهر بتسليم جميع ما في يده من الاعمال في البلدان كلها الى خلفاء الحسن بن سهل وولاهُ الموصل والجزيرة والشام والمغرب

وكان المأمون يحفظ القرآن وقد سمع الحديث من مالك بن انس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم وكان له حظ من علوم كثيرة ثم اسند الحديث ولم يحفظ القرآن احدٌ من الخلفاء الاّ عثمان بن عفان والمأمون . قال ذو الرئاستين ختم المأمون في رمضان ثلاثًا وثلثين ختمة

روى المامون باسناده عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم . مَن عال ابنتين او ثلاثة اواختين او ثلاثا حتى يمتن اويموت عنهنّ كان معي في الجنة كهاتين واومى حماد بن سلمة بالوسطى والشاهدة

قال ابن عيينة جمع المأمون العلماء وجلس للناس فجاءت امرأة فقالت يا امير المؤمنين مات اخي فخلف ستمائة دينار فاعطوني دينارًا واحدًا وقالوا هذا نصيبك فحسب المأمون ثم قال هذا نصيبك رحمك الله فقال له العلماء كيف علمت يا امير المؤمنين قال سمعت ان هذه القسمة قسمها امير المؤمنين عليّ عم على هذا الحكم . وقد جرى ذكر شرحها انفًا

قال المأمون لابن الاعرابي اخبرني عن احسن ما قيل في الشراب فقال يا امير المومنين قوله

تريك القذى من دونها وهي دونهُ اذا ذاقها مَن ذاقها يتمطقُ

قال اشعر منهُ الذي يقول يعني ابا نواس

فتمشَّت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقمِ
فعلت في البيت اذ مُزجت مثل فعل الصبح في الظلمِ
فاهتدى ساري الظلام بها كاهتداء السفر بالعلمِ

فقلت فائدة يا امير المؤمنين فقال اخبرني عن قول هند بنت عتبة

نحن بناتُ طارقِ نمشي على النمارقِ

مَن طارق هذا فنظرت في نسبها فلم اجدهُ قلت يا امير المومنين ما اعرف طارقًا في نسبها . فقال انما ارادت النجم فانتسبت اليهِ بحسنها من قولهِ تعالى والسماء والطارق . فقلت فائدتان يا امير المؤمنين. فقال انا لؤلؤ هذا الامر وابن لؤلؤه . ثم رمى اليَّ بعنبرةٍ كان يقلبها في يدهِ فبعتها بخمسة الاف درهم

قال يحيى بن اكثم كنت عند المامون اذاكرهُ واحدثهُ فغفي ثم انتبه فقال يا يحيى انظر الى شيء عند رجليَّ فنظرت تحت فراشهِ حية بطولهِ فقتلوها . فقلت انضاف الى كمال امير المومنين علمُ الغيب فقال معاذ الله ولكن هتف بي هاتف الساعة وانا نائم فقال

يا راقد الليل انتبه انَّ الخطوب لها سُرَى
ثقةُ الفتى بزمانهِ ثقةٌ محلَّلةُ العُرَى

فانتبهت فزعًا فعلمت ان قد حدث امر ما قريب او بعيد قال فتأملت باقرب زمان فكان ما رأيت

وقيل بكَّر احمد بن ابي خالد يقرأُ على المأمون قصصًا فجاع فمرَّت بهِ قصة عليها فلان بن فلان اليزيدي فقرأهُ الثريدي فقال المأمون ياغلام صحفةً مملوة ثريدًا لابي العباس فانهُ اصبح جائعًا فاستحيا وقال ما انا بجائع ولكن صاحب القصة احمق نقَّط على الياء ثلاث نقط فقال ما انفع حمقهُ لك . فاحضرت الصحف مملوة ثريدًا وعراقًا وودكًا فخجل احمد فقال لهُ المأمون بحياتي الاَّ ملت اليها فاكلت فعدل فاكل حتى اكتفى ثم غسل يديهِ وعاود القراءة فمرَّت بهِ قصة عليها فلان بن فلان الحمصي فقرأ الخبيصي فقال المأمون ياغلام جام مملوًّا خبيصًا لابي العباس فان طعامهُ كان مبتورًا . فاستحيا وقال ياسيدي صاحب القصة احمق فتح سنتين فقال لولا حمق صاحبهِ

منه اليوم من الجوع فأُتي بجام مملوّاً خبيصاً فخجل فقال المأمون بحياتي عليك الاّ ملت اليه فاكل وغسل يديه وعاود القراءة فما اسقط حرفاً حتى انقضى المجلس

قال محمد بن الجهم دعاني المأمون فقال انشدني بيت مدح نادر فانشدته

يجود بالنفس ان ضنّ الجواد بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود

فقال قد وليتك همذان . فانشدني بيت هجاء نادر فانشدته

قبحت مناظرهُ فحين خبرته حسنت مناظرهُ بقبح المخبرِ

قال قد وليتك الدينور فانشدني بيت مرثية نادرة فانشدته

ارادوا ليخفوا قبرهُ عن عدوّهِ فطيب تراب القبر دلّ على القبرِ

فقال قد وليتك نهاوند فانشدني بيت غزل نادر فانشدته

حبٌّ مجدٌ وحبيبٌ يلعبُ والقلب ما بينهما معذّبُ

ومن كلام المأمون قال علي بن هشام قال لي المأمون الملوك تحمل لاصحابها كل شيء خلا ثلاث خصال قلت وما هي يا امير المؤمنين قال القدح في الملك وافشاء السر والتعرض للحريم وبلغنا ان المأمون جمع ولده يوماً فقال يا بني ليعلم الكبير منكم انه انما عظم قدره بصغار عظموه وقويت قوته بضعاف اطاعوه وشرفت همته بعولهم اطاعوا له فلا يدعونه تفخيم المفخم منهم اياه الى تصغيره وتعذير امره الى تذليله ولا يستأثرن بعائدة ورفق ولا يبوأن من بتسمية عبدانكم تسمية الاعاجم وليّاً واخاً فان الشيء الذي قوامه من اجزاء خسيسة ومعانٍ مذمومة فهو ايضاً خسيس مذموم وكل امر من ذلك جزء من عدده وعماد من عماده فاذا اختلت اجزاؤه ومالت دعائمه مال العماد وتهدّم الكل . وقد قيل كل من ملك احراراً كان اشرف ممن ملك عبيداً مستكرهين . يا بني ارجعوا فيما اسبه عليكم من التدبير الى اراء الحزمة المجرّبين فانهم مرايا لكم يرونكم ما لا ترون قد صحبوا لكم الدهر وكفوكم التجارب . وقد قيل ان من جرّعك المرّ لتبرأ هو اشفق عليك ممن سقاك حلواً لتسقم ومن خوّفك لتأمن ابرّ ممن امنك حتى تخاف وقال الاخوان ثلاث طبقات اخ كالغذاء الذي تحتاج اليه في كل يوم وفي كل وقت وهو الاخ العاقل الاديب واخ كالدواء وتحتاج اليه عند الداء وهو الاخ الاريب . واخ كالداء الذي لا تحتاج اليه وهو الاحمق . وكان يقول اعظم الناس سلطاناً من تسلط على نفسه فوليها بحكم التدبير وملك هواه فحمله على محاسن الامور وأُشرب معرفة الحق فانقاد للواجب فوقف عند الشبهة حتى استوضح مقرّ الصواب فتوخاه ورُزق عظيم الصبر فهان عليه هجوم النوائب تأميلا لما بعدها من عواقب الرغائب وأُعطي فضيلة التثبت فحبس غرب لسانه . ومما ينبغي للملوك الاحتياط فيه اختيار الكفاة من الاعوان وانزالهم منازلهم

ولانتصارهم على ما يطيقونهُ . وانشد

من كان راعيهِ ذئبًا في حديقتهِ فهو الذي نفسهُ في امره ظلما
يرجو كفايتهُ والغدر عادتهُ وسن ولايتهِ يستشعر الندما

وقيل للمأمون اي المجالس احسن قال ما نظر فيهِ الى الناس . قال يحيى بن اكثم بتُّ ليلة عند المأمون فعطشت في الليل فقمت لاشرب ماء . فرآني المأمون فقال لي ما لك ليس تنام يا يحيى قلت والله انا عطشان . قال ارجع الى موضعك فقام والله الى البرّادة فجاء بكوز ماء وقام على رأسي وقال اشرب يا يحيى فقلت يا امير المؤمنين فهلاَّ وصيف اووصيفة . فقال انهم نيام . قلت فانا كنت اقوم اشرب فقال لي لوم بالرجل ان يستخدم ضيفهُ . ثم قال يحيى . قلت لبيك يا امير المؤمنين. قال حدثني الرشيد قال حدثني المهدي قال حدثني المنصور عن ابيهِ عن ابن عباس قال حدثني احمد بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلعم يقول سيد القوم خادمهم

قال يحيى وكنت امشي يومًا في ميدان البستان والشمس عليَّ وهو في الظل فلما رجعنا قال لي كن الان في الظل فأبيت عليهِ فقال اول العدل ان يعدل الملك في بطانتهِ ثم الذين يلونهم حتى يبلغ الطبقة السفلى

وقال يحيى بن اكثم بت عند المأمون بالشام فاخذ المأمون السعال فرأيتهُ يسدُّ فاه بكم قميصهِ حتى لاانتبه

وقال عبد الله بن البوّاب كان المأمون يحلم حتى يغيظنا . فجلس يومًا على دجلة من وراء ستر ونحن قيام بين يديهِ فمرَّ ملاَّح وهو يقول باعلى صوتهِ أتظنون ان هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل اخاه قال فوالله ما زاد على ان تبسم وقال لنا ما الحيلة عندكم حتى ابل في عين هذا الرجل الجليل .

وكان يقول المامون حُبّب اليَّ العفو حتي اظن ان لن أُوجر عليهِ ولو علم الناس حبي للعفو لتقرّبوا اليَّ بالجرائم

ولما ولد جعفر بن المأمون فهناوهُ بصنوف من التهاني وكان فيمن دخل العباس بن الاحنف فمثل قائمًا بين يديهِ ثم انشأ يقول

مدَّ لك الله الحياة مدًّا حتي ترى ابنك هذا جدًّا
ثم يفدّى مثلما تفدًّا كانهُ انت اذا تبدّا
اشبهُ منك قامةً وقدًّا موزّرًا بمجدهِ مردًّا

فامر لهُ بعشرة الاف درهم . وكان نقش خاتم المأمون عبد الله يؤمن بالله مخلصًا . وكان شهمًا

ابيّ النفس اخذ من جميع العلوم بقسط وضرب فيها بسهم واستخرج كثيرًا من كتب الطب وترجمت له . واستخرج اقليدس وترجم له وعقد المجالس للمناظرة بين اهل العلم في الاديان والمقالات وغزا الروم وفتح فتوحات كثيرة وكان جوادًا موصوفًا بالحلم وعفوه عن ابرهيم بن المهدي عمه وقد نازعهُ رداء الملك بعد ان بويع له بالخلافة مشهور . وعفوهُ عن الفضل بن الربيع الذي جلب الحرب بينهُ وبين اخيهِ الامين معلوم . وعن الحسين بن الضحاك وقد بالغ في هجائهِ واطنب في تقبيح ذكرهِ تعصبًا لاخيهِ الامين مفهوم . ولهُ اخبار كثيرة في الحلم والكرم يستبعدها السامع

قال القاضي احمد بن دواد سمعت المأمون يقول لرجل قد رُفع عليهِ شيء وقد بدا يعتذر يا هذ انما هو عذر او يمين وقد وهبتهما لك فلا تزال تسيء واحسن وتذنب واعفو حتى يكون العفو هو الذي يصلحك

وقال القاضي يحيى بن اكثم وقد رآه وقَّع في يوم واحد بثلثمائة الف دينار وعرض عليهِ من القصص ما يزيد عن الحدّ فوقع في الجميع ولم يضجر فقلت يا امير المؤمنين

كأنك في الكتاب وجدت لاءً محرَّمةً عليك فلا تحلُّ

فما تدري اذا اعطيت مالاً أيكثرُ من عطائك ام يقلُّ

فقال لهُ يا قاضي انما تُطلب الدُنيا لتُملك فاذا مُلكت فلتوهب

ذكر وفاتهِ

توفي يوم الخميس عاشر شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بالقرب من طوس وهو متوجه يريد الغزو فحمل اليها ودفن في دار خاقان عن سبع واربعين سنة وستة اشهر وعشرة ايام وخلافتهُ احدى وعشرون سنة ولا عقب له في الخلافة والخلفاء من ولد اخيهِ المعتصم

ذكر اولادهِ

وهم احمد وقد روى الحديث وكان فاضلاً والعباس وولاَّهُ ابوهُ الجزيرة والثغر وقتل في خلافة عمهِ المعتصم وزينب وتكنّى ام حبيبة وزوَّجها ابوها علي بن موسى الرضى ومحمد ويكنى ابا القاسم وجعفر وابو القاسم عبدالله وعلي والحسين وسليمان واسحق وهرون وعيسى

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجَّابهِ

وُزّرَ له بخراسان الفضل بن سهل وقتل هناك فوُزّر لهُ الحسن بن سهل وحظي عنده وتزوّج ابنتهُ بوران ومرض الحسن فلزم منزلهُ فاستوزر احمد بن ابي خالد الاحول وتوفي فوزّر لهُ احمد ابن يوسف بن القاسم مولى بني عجل وتوفي فوزّر لهُ ابو عباد ثابت بن محمد واصابهُ مرض فعطلهُ

فوزّر له محمد بن زاد المروزي وقضاته قضاة اخيه ويحيى بن اكثم وحجابه عبد الحميد بن عيسى وحميد بن قحطبة وصالح صاحب المصلى وعلي بن صالح ثم اسماعيل بن محمد بن صالح ثم محمد ابن عباد

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافته

في سنة ثمان وتسعين ومائة فيها مات سفيان بن عيينة بن ابي عمران ابو محمد مولى ابي هاشم ابن دوبية وقيل مولى محمد بن مزاحم الهلالي ولد بالكوفة سنة سبع ومائة وكان ابوهُ من عمّال خالد ابن عبدالله القسري فلما عزل خالد هرب عيينة فنزل مكة . وكان لسفيان تسعة اخوة حدّث منهم محمد وآدم وعمران وابرهيم وكان سفيان مقدمًا على الكل وادرك سفيان ستة وثمانين نفسًا من التابعين وروى عنهُ من الكبار الاعمش والثورى وشعبة وابن المبارك ووكيع وابن مهدي والشافعي واحمد ويحيى . وقال سفيان لما بلغتُ خمس عشرة سنة دعاني ابي فقال لي ياسفيان قد انقطعت شرائع الصبي فاحتفظ ان تكون من اهله ولا يغرّنك من اغترّ بالله عزّ وجلّ فمدحك بما تعلم خلافهُ منك فانهُ ما من احد يقول في احد من الخير اذا رضي عنهُ الاّ وهو يقول من الشر مثل ذلك اذا سخط عليهِ . يابنيّ استأنس بالوحدة من جلساء السوء ولا تنقل حسن ظني بك الى غير ذلك ولن يستعد بالعلماء الاّ من اطاعهم . قال سفيان فجعلت وصية ابي قبالةً اميل معها ولا اميل عنها . ودخل الى مجلس سفيان صبي فتهاونوا بهِ لصغر سنهِ فقال سفيان كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم ثم قال يا نصرُ لو رأيتني ولي عشر سنين . طولي خمسة اشبار ووجهي كالدينار وانا كشعلة نار ثيابي صغار واكمامي قصار وذيلي بمقدار ونعلي كآذان الفار اختلف الى علماء الامصار مثل الزهري وعمرو بن دينار اجلس بينهم كالمسمار محبرتي كالجوزة ومقلمتي كالموزة وقلمي كاللوزة فاذا دخلت المجالس قالوا وسعوا للشيخ الصغير ثم تبسّم سفيان وضحك

قال بشر بن مطر كنا على باب سفيان بن عيينة فجاءت طائفة فدخلوا واخرى فضجعنا وصحنا وقلنا يجيء اصحاب الدراهم والدنانير ونحن الفقراء وابناء السبيل نمنع الدخول فخرج الينا وهو يبكي ويقول ان اصبتم مقالاً فقولوا هل رأيتم صاحب عيال افلح . ثم قال اعلمكم اني كنت أُوتيت منهم القرآن فلما اخذت من جعفر منعت

قال سفيان رأيت في منامي كان اسناني كلها سقطت فذكرت ذلك للزهري فقال يموت اصحابك وتبقى أنت فمات اصحابي وبقيت

وذكر احمد بن حنبل سفيان بن عيينة فقال ما رأينا مثلهُ

وقال سفيان حججت سبعين حجة اقول كل مرة اللهمّ لاتجعلها اخر العهد من هذا المكان

فاني قد استحييت من الله من كثرة ما اسأله ذلك فرجع فتوفي في السنة الداخلة واخبر انه وُلد في سنة تسع ومائة ومات اول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودُفن بالحجون

وفيها مات محمد بن هرون وقد تقدم ذكرهُ . وفيها مات محمد بن مناذر الشاعر يكنى ابا ذريح وقيل ابا جعفر مولى سليمان القهرماني سمع من شعبة وسفيان بن عيينة وكان شاعرًا مجيدًا ومدح المهدي وكان فصيحًا عالمًا باللغة . قال الثوري سألت ابا عبيدة عن اليوم الثاني من النحر ما كانت العرب تسميه فقال لا اعلم فقلت لابن مناذر فقال اسقط مثل هذا على ابي عبيدة وهي اربعة ايام متواليات كلها على حرف الراء . الاول يوم النحر والثاني القرّ والثالث النفر والرابع يوم الصدر فلقيت ابا عبيدة فحدثته فكتبهُ عني . وكان محمد بن مناذر يتعبد ويتنسك ويلازم المسجد . ثم هوي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتهتك فيهِ وعدل عن النسك واظهر الخلاعة وكان عبد المجيد من احسن الناس وجهًا واكثر ادبًا واحسن لباسًا وكان يحب الشيخ ابن مناذر ايضًا وتزوج عبد المجيد امرأة واولموا عليها وليمة عظيمة مدة شهر فصعد بعد ذلك ذات يوم الى السطح فرأى طنبًا من اطناب الستارة انحلّ فانكب عليهِ ليشدهُ فتردّى على رأسهِ فمات من سقطة فما كانت في الزمان مصيبة تعادل تلك المصيبة ولا اعظم منها من مصيبة فرثاه ابن مناذر بابيات يقول منها

كل حيّ لاقى الحمام فمودي ... ما لحيّ مؤمَّلٍ من خلودِ

ما تهاب المنون شيئًا ولا تر ... عى على والدٍ ولا مولودِ

كنت لي عصمة وكنت رجاء ... بك تحيي ارضي ويخضرّ عودي

ان عبد المجيد يوم تولّى ... هدّ ركنًا ما كان بالمهدودِ

ما درى نعشه ولا حاملوهُ ... ما على النعش من عفافٍ وجودِ

سأُقيمنّ مأتمًا كنجوم الـ ... ـليل زهرًا يلطمنَ حرّ الخدودِ

فاجعات يبكينَ للكبد الحرّ ... ى دوامًا وللفؤادِ العميدِ

ولعينٍ مطروفة قال دمعي ... لا تملي من البكاء وجودي

كلما اعوز البكاء فافنيـ ... ـت بعبد المجيد سجلا فعودي

فلما انشد الابيات قالت امهُ والله لا بر قسم الشيخ واخرجت اخواته يندبن معهُ ويقلن وايه وايه وهي اول ما ندب بها في عبد المجيد . قال يحيى بن معاذ . كان ابن مناذر صاحب شعر وكان يتعشق ابن عبد الوهاب الثقفي ويقول فيهِ الشعر فخرج الى مكة شرّفها الله تعالى فكان يرسل العقارب في المسجد الحرام حتى تلسع الناس ويصب المداد بالليل في الماء الذي يتوضأ

الناس فيه حتى تسود وجوههم فلا يروي رجل عنه خيرًا يتولاه الله تعالى

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة فيها قدم الحسن بن سهل بغداد من عند المأمون واليه على الحرب والخراج. وفيها مات عمارة بن حمزة مولى بني هاشم وهو من ولد عكرمة بن عباس كان احد الكتاب البلغاء وكان أتيه الناس حتى ضرب المثل بتيهه فقيل أتيه من عمارة وكان جوادًا .

استأذن قوم على عمارة بن حمزة يشفعون اليه في بر قوم قد اصابتهم جائحة فاخبره حاجبه فامر لهم بمائة الف درهم . قال فاجتمعوا ليدخلوا اليه للشكر فقال لحاجبه اقرهم سلامي وقل لهم اني رفعت عنهم ذل المسئلة فلا احملهم موئنة الشكر

بعث ايوب المكي بعض ولده الى عمارة بن حمزة فادخله الحاجب قال ثم دنا الي سترٍ مسبل فقال لي ادخل فدخلت فاذا عمارة مضطجع محول وجهه الى الحائط فقال لي الحاجب اذكر حاجتك فقلت لعله نائم قال لا فقلت جعلني الله فداك اخوك يقريك السلام ويذكر دينًا عليه ويقول بهظني وستر وجهي ولولاه كنت موضع رسولي تسأل اميرالمومنين قضاءه عني فقال وكم دين ابيك قال ثلثمائة الف درهم فقال وفي مثل هذا القدر أكلم اميرالمومنين ياغلام احملها معه . وما التفت اليّ ولا كلمني بغير هذا

وقال الفضل بن الربيع كان ابي يأمرني بملازمة عمارة . قال فاعتل عمارة وكان المهدي سيّئ الرأي فيه . فقال له ابي يومًا يا اميرالمومنين ان مولاك عمارة عليل وقد افضى الى بيع فرشه وكسوته. قال غفلت عنه وما كنت اظن انه بلغ الى هذه الحالة احمل اليه خمسمائة الف درهم ياربيع واعلمه ان له عندي بعدها ما تحب . قال فحملها ابي من ساعته وقال لي اذهب بها الى عمك وقل له اخوك يقريك السلام ويقول اذكرت امير المومنين امرك فاعتذر عن غفلته عنك وامر لك بهذه الدراهم وقال لك عندي بعدها ما تحب . قال فاتيته بالمال ووجهه الى الحائط فسلمت . فقال لي من انت فقلت ابن اخيك الفضل بن الربيع فقال مرحبًا بك وابلغته الرسالة. فقال قد كان طال لزومك لنا وقد كنا نحب ان نكافيك على ذلك ولم يمكنا قبل هذا الوقت انصرف بها فهي لك . قال فهبته ان اردها عليه فتركت البغال على بابه وانصرفت الى ابي فاعلمته فقال يابنيّ خذها بارك الله لك فيها . عمارة ليس ممن يرد وكانت اول مال ملكته

ثم دخلت سنة مائتين وفيها مات ايوب بن المتوكل المقرىء من اهل البصرة سمع الحديث وكان عالمًا ثقة من القراء

وفيها مات أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن جعفر مولى بني رقاش من اهل البصرة شاعر مطبوع مقدم . قدم بغداد واتصل بالبرامكة وعمل كتاب كليلة ودمنة شعرًا وله قصائد

ومدائح في الرشيد والفضل بن يحيى ويقال ان كل كلام نقل الى الشعر فالكلام افصح منهُ الاّ هذا واول قصيدتهِ هذه قولهُ

هذا كتابُ أدبٍ ومحنه   وهو الذي يدعى كليله دمنه

وعددها اربعة عشر الف بيت مزدوجة في ثلاثة اشهر. قال فاعطاهُ يحيى بن خالد عشرة الآف دينار واعطاهُ الفضل خمسة الاف دينار. وقال لهُ جعفر بن يحيى ألا ترضى ان اكون روايتك انا ولم يعطهِ شيئًا . فتصدَّق بثلث المال الذي اخذهُ وكان حسن السيرة حافظًا للقرآن

وفيها مات معروف بن الفيرزان ابو محفوظ المعروف بالكرخي نسبة الى كرخ بغداد كان اهلهُ نصارى وكان صبيًّا في المكتب يقول معلمهم آب وابن فيصيح احد احد وأسلم وروى عن بكر بن حنيس وعن الربيع وصبيح وغيرهما وهو من كبار الزهاد في الدنيا العارفين بالله المخبتين لهُ ولهُ كرامات كثيرة واخبار مختلفة في الكرامات وكان سفيان بن عيينة يقول لا يزال اهل بغداد بخير ما بقي فيهم معروف الكرخي . وكان يقال انهُ يكون ببغداد ويرى على جبل عرفات ولهُ اخبار عظيمة في هذا الباب يطول شرحها في هذا الكتاب. وفيها مات وهب بن منبّه بن عبد الله بن زمعة ابن المطلب ابو البختري القرشي وكان قاضي عسكر المهدي . وكان كثير العطاء وفيهِ يقول الشاعر

فهلاَّ فعلتَ هداكَ المليـ   ـكُ فينا فعال ابي البختري
تتبّع اخوانهُ في البلادِ   فأغنى المقلَّ عن المكثرِ

الاّ انهُ كان يضع الاحاديث واكثرها وضعها عن الله تعالى. وقد هجاهُ بعض الشعراء بهذا المعنى الفاحش

ثم دخلت سنة احدى ومائتين فيها كانت مراودة اهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فابى ذلك فارادوهُ على الامرة عليهم على ان يدعو للمأمون بالخلافة وقالوا لا نرضى بالمجوسي ابن المجوسي يعني الحسن بن سهل فاجابهم الى ذلك منصور وسمي بالمرتضي وفي هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وليّ عهد المسلمين والخليفة من بعدهِ وسماهُ الرضى من آل محمد وامر جندهُ بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة وكتب بذلك الى الآفاق وذلك انهُ نظر في بني العباس و بني علي فلم يجد احدًا افضل ولا اورع ولا اعلم منهُ وانهُ سماهُ الرضى . وكتب بذلك الى بغداد فوصل الكتاب الى عيسى فدعا اهل بغداد الى ذلك فاختلفوا فقال قوم نبايع وقال قوم لا نخرج الامر من ولد العباس وانما هذا دسيس من قبل الفضل بن

سهل وغضب ولد العباس من ذلك واجتمع بعضهم الى بعض وتكلموا فيه وقالوا نولي بعضنا ونخلع المأمون وكان المتكلم في هذا ابرهيم بن المهدي ومنصور اخوه. وفي هذه السنة بويع لابرهيم بن المهدي وكان السبب ان المأمون لما بايع لعليّ بن موسى الرضى نفرَ العباسيون واظهروا انهم قد خلعوا المأمون وبايعوا ابرهيم بن المهدي وضمنوا للجند اشياء يعطونهم وامروا رجلاً يقول يوم الجمعة حين يؤذّن المؤذّن انّا نريد أن ندعو للمأمون ومن بعده لابرهيم يكون خليفة ودسوا قومًا فقالوا اذا قام من يتكلم بهذا الكلام قوموا وقولوا لا نرضى الّا ان تبايعوا لابرهيم ومن بعده لاسحق وتخلعوا المأمون . فلما قام من يتكلم واحسوا بهذا لم يصلوا في ذلك اليوم الجمعة ولا خطب احدٌ وصلى الناس اربع ركعات

وفيها توفي الحسين بن الحسن بن عطية بن جنادة ابو عبد الله العوفي من اهل الكوفة ولي قضاء الشرقية وكان ضعيفًا في الحديث ويصحف اذا روى وكانت لحيته الى ركبته وكان قصيرًا وله حكايات عجيبة . منها ان جاءته امرأة وكان قاضي هرون الرشيد ومعها صبيٌّ ورجل فقالت هذا زوجي وهذا ابني منه فقال له أهذه امرأتك قال نعم. قال وهذا الولد منك فقال اصلح الله القاضي انا خصيٌّ قال فألزمه الولد فاخذ الصبي فوضعه على رقبته وانصرف فلقيه خصيٌّ آخر صديقه والصبي على عنقه فقال من هذا الصبي فقال القاضي العوفي يفرّق اولاد الزنا على الخصيان.اهرب

وفيها مات علي بن موسى الرضى سمع اباهُ وعمومته وغيرهم وكان يفتي في مسجد رسول الله صلعم وهو ابن نيف وعشرين سنة وكان المامون قد امر باشخاصه الى بغداد فلما قدم نيسابور اقام بها مدة ثم اقام بمرو فامر المامون باخراجه اليه وجعله وليّ عهده كما سبق ذكرهُ. فلما رأوا انّ الخلافة قد خرجت الى اولاد علي سقوا عليّ بن موسى فتوفي بطوس في رمضان ومدحه ابو نواس فقال

قيل لي انت واحدُ الناس في كا ... ل قديمٍ من المقال بديهِ
لك في جوهر الكلام بديعٌ ... يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلى ما تركتَ مدح ابن موسى ... بالخصال التي تجمّعن فيه
قلتُ لا اهتدي لمدح امامٍ ... كان جبريل خادمًا لأبيه

وفيها مات محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ويُعرف بالديباج لحسن وجهه وهو اخو اسحق وموسى وعلي بن جعفر حدّث عن ابيه وروى عنه جماعة وكان هذا محمد قد اقام بمكة في ايام المأمون ودعا الى نفسه فبايعه اهل الحجاز وتهامة بالخلافة يوم الجمعة لثلاث خلون من ربيع الاخر سنة مائتين فلم يزل يُسلم عليه بالخلافة الى يوم الثلثاء . وحجّ المعتصم بالناس وبعث اليه من حاربه وقبض عليه واوردهُ بغداد في صحبته والمأمون بخراسان فوجه به اليه فعفا عنه ولم يمكث الّا يسيرًا

حتى توفي عندهُ . قيل انهُ جامع وافتصد ودخل الحمام في يوم واحد فكان ذلك سبب موتهِ .وكان محمد شجاعًا عاقلاً فاضلاً وكان يصوم يومًا و يفطر يومًا وكانت زوجتهُ بنت عبد الملك بن الحسين تقول ما خرج من عندنا في ثوب قط فرجع حتى يكسوهُ . وركب المأمون لشهود جنازتهِ فلقيهم قد خرجوا بهِ فلما نظر الى السرير ترجل ودخل بين العمودين فلم يزل حتى وُضع فصلّى عليهِ ثم دخل قبرهُ فلم يزل فيهِ حتى بني عليهِ . ثم خرج فقام على القبر فقال له عبد الله يا امير المؤمنين انك قد تعبت فلو ركبت فقال المأمون هذه رحمٌ قد قُطعت من مائتي سنة

وفيها مات النضر بن شميل المازري ابو الحسن سكن مرو وسمع من عوف وشعبة وغيرهم وكان راوية للشعر ولهُ المعرفة بالنحو واللغة وايام الناس ومات بخراسان وكان من اهل البصرة روي انهُ لما أضرَّ بهِ المقام بالبصرة شرع في الظعن عنها وتبعهُ لوداعهِ سبعمائة رجل من اصحابهِ وتلامذتهِ يشيعونهُ وجعلوا يبكون توجعًا لمفارقتهِ فاظهر لهم مثل ذلك وبكى وقال لو كان لي في كل يوم ربع مدّ من الباقلا اتقوّت بهِ ما ظعنت عنكم فما فيهم من قال لك عندي ذلك . قال الراوي فعجبت من انهُ لم يكن في هذا الجمع الكثير المتفجعين لفقدهِ من يكفيهِ هذا القدر الحقير ويقوم لهُ بهِ . ثم انهُ اتى خراسان فاتصل بالمأمون فاستغنى بما فعلهُ معهُ من الاحسان اليهِ . قال النضر دخلت ليلة على المأمون للمسامرة بمرو وعليَّ قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف قلت يا امير المؤمنين انا رجل كبير وضعيف وحرّ مرو شديد اتبرّد بهذه الخلقان . قال لا ولكنك قشف ثم تجاريا في الحديث فاخذ المأمون في ذكر النساء فقال المأمون حدّثني هشيم عن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال . قال رسول الله صلعم . اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سَداد عن عوزٍ قلت صدق فوك عن هشيم يا امير المؤمنين . حدّثني عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن الحسن عن علي عم ان النبي صلعم قال اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد عن عوز وكان المأمون متكئًا فانتصب وقال كيف قلت يا نضر سِداد بكسر السين قلت يا امير المومنين السداد بفتح السين هنا لحنٌ قال أوَ تلحنني يا نضرُ قلت لا يا امير المومنين ولكن لحن هشيم وكان لحانًا فتتبع امير المؤمنين لفظهُ وقد تتبع الفقهاء فقال ما الفرق بينهما قلت السَّداد القصد في الدين والسبيل والسِداد البلغة وكل شيء سددت بهِ شيئًا هو سداد . قال او تعرف العرب هذا قلتُ نعم هذا العرجي يقول وهو من ولد عثمان بن عفّان

اضاعوني واي فتىً اضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ

ثم اطرق المأمون مليا ثم قال قبح الله من لا ادب لهُ ثم قال انشدني يا نضر اخلب بيت قالتهُ العرب فقلت قول ابن بيض في الحكم بن مروان

تقول لي والعيون هاجعةٌ ، اقم علينا يومًا فلم اقمِ
اي الوجوه انتجعت قلت لها واي وجهٍ الاّ الى الحكمِ
متى يقل حاجبًا . سرادقة هذا ابن يوض بالباب يبتسمِ
قد كنت اسلمت فيك مقتبلاً وها انا ذا دخل فاعطني سلمي

فقال المأمون لله درّك فكأنما شقّ لك عن قلبي انشدني انصف بيتٍ للعرب قلت قول ابن ابي عروبة المديني

واني وان كان ابن عمي غائبًا لمزاحمٌ من خلفهِ وورائهِ
ومفيدهُ نصري وان كان امرءًا متزحزحًا في امرهِ وسمائهِ
واكون والي امرهِ فاصونهُ حتى يحق عليّ وقت ادائهِ
واذا الحوادث اجحفت بسوائهم قربت صحيحتنا الى جربائهِ
واذا دعا باسمي لاركب مركبًا صعبًا ركبت لهُ على سلسائهِ
واذا ارتدى ثوبًا كريمًا لم اقل يا ليت انّ عليّ فضل ردائهِ

فقال المامون احسنت يا نضر ما شئت انشدني اقنع بيتٍ قالتهُ العرب فانشدتهُ

اني امروءٌ لم ازل وذاك من الـ له اديبًا اعلّم الادبا
اقسم بالله ما اطمئنت بي الـ دار وان كنت نازحا طربا
لا اجتوي حلة الصديق ولا ابغي لنفسي شيئًا اذا ذهبا
اطلبُ ما يطلب الكريم من الـ رزق بنفسي واجملُ الطلبا
واحلبُ البرّة الصفي ولا اجهدُ اخلاف غيرها حلبا
اني رأيتُ الفتى الكريم اذا رغّبتهُ في صنيعهِ رغبا
والعبد لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئًا الاّ اذا وهبا
مثل الحمار الموقّع السوء لا يحسن مشيًا الاّ اذا ضُربا
ولم اجد عروة الخلائق الـ لا الدين لمّا اختبرتُ والحسبا
لم يرزق الخافض المقيم ولا شدّ بعنسٍ رحلاً ولا قتبا
ويحرمُ الرزقَ ذو المطيةِ والر راجل من لا يزالُ مغتربا

قال احسنت يا نضر فعندك ضدّها قلت نعم احسن منهُ قال هاتِ فانشدتهُ

يدُ المعروف غنمٌ حيثُ كانت تحمّلها كفورٌ او شكورُ

قال احسنت يا نضرُ . ما تملك قلتُ اريضة تمرٍ وانصابها واتمززها فقال أولا نزيدك مع ذلك

مالاً فقلت اني اليه لمحتاج فاخذ قرطاساً فكتب ولم ادرِ ما يكتب. ثم قال كيف تقول من التراب اذا امرت ان يترب قلت اتربهُ . قال فمن الطين قلتُ طنهُ قال فهوَ ماذا قلتُ مترب ومطين فقال هذه احسن من الاولى ثم قال للغلام أتربهُ وطنه. ثم قام وصلّى بنا العشاء فلما فرغ قال لخادمهِ تبلغ معهُ الفضل بن سهلٍ . فلما وصلنا اليهِ وقرأَ الورقة فقال يا نضرُ انّ امير المؤمنين قد أمر لكَ بخمسين الف درهم فما كان السبب فاخبرتهُ ولم اكذب فقال ولحّنت امير المؤمنين قلت لا ولكن لحنَ هشيم وكان لحَّانًا فتبع امير المؤمنين لفظهُ وقد تتبع الفقهاء فامرَ لي الفضل من عندهِ بثلاثين الف درهم اخرى فقبضت ثمانين الف بكلمةٍ استفادها

ثم دخلت سنة اثنين ومائتين فيها اهل العراق خلعوا المأمون وبايعوا لابرهيم بن المهدي بالخلافة وسموهُ المبارك وصعد ابرهيم المنبر وكان اوّل من بايعهُ عبيد الله بن محمد الهاشمي ثم منصور بن المهدي ثم سائر بني هاشم ثم القوّاد وكان المتوكل لاخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك وكان الذي سعى في ذلك وقام بهِ السندي وصالح صاحب المصلّى . وفيها مات الفضل بن سهل بن عبد الله ابو العباس الملقّب ذا الرئاستين وكان من اولاد ملوك العجم فاسلم ابن سهل في ايام الرشيد واتّصل بيحيى بن خالد البرمكي واتصل الفضل والحسن ابناء سهلٍ بالفضل وجعفر ابني يحيى بن خالد فضم جعفر بن يحيى الفضل بن سهلٍ الى المأمون وهو وليُّ عهدٍ وقيل ان الفضل لمّا اراد ان يسلم كره ان يسلم على يد الرشيد والمأمون فسار وحدهُ الى الجامع يوم الجمعة فاسلم واغتسل ولبس ثيابهُ ورجع مسلمًا وغلب على المأمون بخلاله الجميلة من الكرم والوقار والبلاغة والكتابة فلما استخلفَ المأمون فوّض اليه امورهُ كلها وسماهُ ذا الرئاستين لتدبيرهِ امر السيف والقلم

قال رجلٌ للفضل بن سهل اسكتني عن وصفك تساوي افعالك في السودد وحير في فيها كثرة عددها فليس الى ذكرها سبيلٌ . واذا اردت وصف واحدةٍ عرضت اختها اذ كانت الاولى ليست احق بالذكر فلستُ اصفها الاّ باظهار العجز عن وصفها

وقال ابرهيم بن العباس الصولي في الفضل بن سهل

لفضل بن سهل يدٌ تقاصر عنها المثل
فبسطهـا للغنى وسطو بها للاجل
وباطنها للندى وظاهرها للقبل

فاخذ ابن الرومي المعنى فقال للقاسم بن عبد الله

اصبحتُ بينَ خصاصةٍ وتجمُّلٍ والحرُّ بينهما يموتُ قتيلاَ
فامدد اليَّ يداً تعوّد بطنها بذل النوال وظهرها التقبيلاَ

وقال ابرهيم الصولي اعتلّ ذو الرئاستين علةً بخراسان فلما ابل جلس للناس فهناوهُ بالعافية وتصرّفوا في الكلام فلما فرغوا اقبل على الناس فقال . انّ في العلل لنعمًا ينبغي للعقلاء ان يعرفوها . تمحيص الذنوب وتعرّض لثواب الصبر وايقاظ من الغفلة . وادّكار بالنعمة في حال الصحة . واستدعاء للتوبة . وحضّ على الصدقة

قال ابو حسّان الزنادي قتل الفضل بن سهل ذو الرئاستين يوم الخميس لليلتين خلتا من شعبان بسرخس في الحمام اغتالهُ خمسة انفس فدخلوا عليهِ فقتلوهُ فقتلهم بهِ المأمون. وهم عبد العزيز بن عمران الطائي . و يونس بن عمران البصري . وخلف بن عمر البصري .وعلي بن ابي سعيد . وسراج الخادم . فقتلوهُ وهربوا فجعل المأمون لمن جاءَ بهم عشرة الاف دينار . فجاء بهم العباس بن القاسم . فقالوا للمأمون انت امرتنا بقتلهِ . فامر بهم فضربت اعناقهم. وكان عمر الفضل احدى واربعين سنة وخمسة اشهر

وفيها مات يحيى بن المبارك بن المغيرة ابو محمد اليزيدي العدوي صاحب ابي عمرو بن العلاء احد القرّاء حدّث عن ابي عمرو وابن جريج واخذ عن الخليل من اللغة امرًا عظيمًا . وجلس يومًا الى جانب الخليل فقال احسبني قد ضيقت عليك فقال الخليل ما ضاق شيءٌ على صاحبين والدنيا لاتسع متباغضين . وهو عدويٌّ وانما قيل اليزيدي لانقطاعهِ الى يزيد بن منصور الحميري خال المهدي يؤدب ولدهُ فنسب اليهِ ثم اتصل الى الرشيد فجعل المامون في حجرهِ يؤدبهُ وكان الكسائي يؤدب الامين . وكان اليزيدي عالمًا باللغة والنحو واخبار الناس ولم يكن في النحو من طبقة الخليل وسيبويه

وحكي ان الكسائي تكلم مع اليزيدي في حضرة الرشيد فظهر كلام اليزيدي على الكسائي فرمى اليزيدي قلنسوتهُ فرحًا بالغلبة فقال لهُ الرشيد لأدب الكسائي مع انقطاعهِ احبُّ الينا من سوء ادبكَ مع الغلبة

وكان اليزيدي يعلّم الامين والمأمون وهما صبيان بكلام يقصد بهِ تعلم الفصاحة فاكلا يومًا كمأةً فقصّرا فقال لهما شعرًا

كُلاَ كُلاَ كِلا كُما كُمَا كُلاَ لا تَنْبوًا إِنْ تَنبوًا لنْ تَنْبلاَ

وكان الرشيد قد وكلّ بهما خادمًا يؤدي اليهِ مايجري منهما فمضى الى الرشيد فقال انهما قد علمها اليوم كلام الزنجية فدعاهُ الرشيد فقال ما بنا حاجة الى كلام الزنجية فلمَ علمتهما اياهُ فقال ياامير المومنين والله ما احسنتُ الزنجية قط فقال كذا عرفني الخادم . فقال الخادم بلى قد كان ذلك في وقت اكل الكمأة. فقال انا قلتُ ذلك لكوني اوثر ذكر الفصاحة بحضرتهما ليتفاصحا وانا

افعله كثيرا . فقال الرشيد لاتلم الخادم فلولا التقدمة منه لظننته انا بالزنجية
وكان اليزيدي احد القراء الفصحاء الشعراء عالمًا بلغة العرب ثقةً وكان يجلس ايام الرشيد مع الكسائي ببغداد يقرآن القرآن وكان الكسائي يؤدب الامين واليزيدي يؤدب المأمون فامر الرشيد باحضار الكسائي وتقدّم اليه ان ياخذ على الامين بحرف حمزة وامر اليزيدي ان يعلم المأمون حرف عمرو وانشد اليزيدي

اذا نكباتُ الدهر لم تعظِ الفتى   وافرغَ منها لم تعظهُ عواذله

ومن لم يؤدبهُ ابوهُ وامهُ   تؤدبهُ روعات الردى وزلازله

فدع عنك ما لا تستطيعُ ولا تطع   هواكَ ولا يغلب بحقك باطله

وسأل المأمون اليزيدي يومًا عن شيء فقال لا وجعلني الله فداكَ يا امير المؤمنين فقال لله درُّكَ ما وضعت واو موضعها احسن منها في لفظٍ مثل هذا ووصله بعطية سنية . ومن شعره

كنا نقيس النحو فيما مضى   على لسان العرب الأولِ

فجاء اقوامٌ يقيسونهُ   على لغى اشياخ قطربّلِ

فكلهم يعمل في نقض ما   بهِ يصابُ الحق لا يأتلي

ان الكسائي واصحابهُ   يرقون في النحوِ الى اسفل

ومات اليزيدي سنة اثنين ومائتين في خلافة المأمون
ثمّ دخلت سنة ثلاث ومائتين فيها غلبت السوداء على الحسن بن سهل فتغيرّ بذلك المرض عقلهُ وقُيّد حتى كتب بذلك القوّاد الى المامون فكتب ان يكون على معسكره دينار بن عبدالله
وفيها ركب ابرهيم بن المهدي في زيّ الخلافة فصلى بالناس صلاة الاضحى ومضى من يومه الى داره المعروفة فلم يزل فيها الى اخر النهار ثم خرج منها بالليل فاستتر وانقضى امرهُ وكانت مدة خلافتهِ منذ بويع بمدينة السلام ببغداد الى يوم استتاره سنة واحد عشر شهرًا وخمسة ايام ثم ظفر به المامون وعفا عنهُ واخباره في قبضهِ والعفو عنهُ واشعارهُ ومحاوباته للمأمون مشهورة لم نذكرها في هذا المختصر واستبقاهُ المأمون ولم يزل ظاهرًا مكرّمًا الى ان توفي . وفيها مات الامام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قُصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ابو عبدالله الشافعي
قال القاضي ابو الطيب الطبري شافع بن السائب الذي ينسب الشافعي اليهِ قد لقي النبي صلعم وهو مترعرع واسلم ابوهُ السائب يوم بدر فانهُ كان صاحب راية بني هاشم وأُسر وفدى نفسهُ ثم اسلم فقيل لهُ لِمَ لم تسلم قبل ان تؤذى فقال ما كنت لأحرم المسلمين طمعًا لهم فيّ . قال ابو

الطيب القاضي وقد وصف بعض اهل العلم بالنسب الشافعي فقال شقيق رسول الله في نسبهِ وشريكهُ في حسبهِ. وزوّج المطلب ابنهُ هاشمًا الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف فولدت له عبد يزيد جدّ الشافعي وكان يقال لعبد يزيد المحض فقد ولد الشافعيَّ الهاشمان جميعًا. هاشم ابن المطلب وهاشم بن عبد مناف والشافعي ابن عم رسول الله صلعم وابن عمتهِ لان عبد المطلب عم رسول الله . والشفاء بنت هاشم اخت عبد المطلب عمة رسول الله صلعم. الأزد جرثومة العرب وُولد الشافعي بغزة من بلاد الشام وقيل باليمن ونشأ بمكة شرّفها الله تعالى وكتب العلم بها وبمدينة النبي صلعم . وكان خفيف العارضين يخضب بالحناء وقدم بغداد مرتين وحدّث وسمّي ناصر الحديث وخرج الى مصر فنزلها الى حين وفاته. وسمع مالك بن انس وابرهيم وسفيان بن عيينة وعبد العزيز الدراوردي ومسلم بن خالد الزنجي وخلقًا كثيرًا وروى عنه احمد بن حنبل وغيره من الاكابر قال محمد بن عبد الله بن الحكم قال الشافعي وُلدت بغزة من سنة خمسين ومائة وحملت الى مكة شرّفها الله تعالى وانا ابن سنتين واخبرني غيرهُ عنه قال لم يكن لي مال وكنت اطلب العلم في الحداثة فاذهب الى الديوان استوهب الظهور اكتب فيها وقال الشافعي حفظت القرآن وانا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وانا ابن عشر سنين وما افتيت حتى حفظت عشرة الاف حديث. وكان الشافعي في اول امرهِ قليل التلاوة للقرآن لاشتغالهِ بالعلم ثم اكثر في اخر عمره من القراءة فروى عنهُ الربيع انه كان يختم في كل ليلة فاذا كان رمضان ختم ستين ختمة . وكان حسن الصوت اذا سمعه الناس يقرأ يشتد بكاؤُهم وكان في اول امره ينام ثلث الليل ويصلي ثلث الليل ويكتب العلم ثلث الليل ثم صار يحيي الليل وافتى ولهُ خمس عشرة سنة

وذكر ابو بكر بن نوران المعروف بخالويه في كتاب فضائل الشافعي عن الربيع ان الشافعي كان عند مالك وعندهُ سفيان بن عيينة والزنجي فاقبل رجلان فقال احدهما انا رجل ابيع القماري وقد بعت هذا قمريًا وحلفت لهُ بالطلاق انهُ لا يهدأ من الصياح فلما كان بعد ساعة اتاني فقال قد سكتَ فردّ عليّ دراهمي وقد حنثت فقال مالك. بانت منك امرأتك . قال فتبعهُ الشافعي فقال للبائع اردت ان لا يهدأ ابدًا او ان كلامهُ اكثر من سكوتهِ فقال قد علمت انهُ ينام وياكل ويشرب وانما اردت ان كلامهُ اكثر من سكوتهِ فقال ردّ عليك امرأتك. فاخبرا مالكًا فقال للشافعي من اين قلت هذا فقال من حديث فاطمة بنت قيس قالت يا رسول الله ان معوية وابا الجهم خطباني فقال ان معوية صعلوك وان ابا الجهم لا يضع عصاهُ عن عاتقهِ وقد كان ينام ويستريح وانما خرج كلامهُ على الاغلب فعجب مالك وقال الزنجي افتِ فقد آن لك ان تفتي وهو ابن خمسة عشر سنة وقال الشافعي بمكة سلوني عما اخبركم من كتاب الله وسنة نبيهِ فقال لهُ رجل ما

تقول في المحرم قتل زنبورًا . فقال قال الله تعالى ما اتاكم الرسول فخذوهُ وما نهاكم عنه فانتهوا.
وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال . قال رسول الله
صلعم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وحدثنا سفيان عن مسعر عن قيس بن اسلم عن
طاوس بن شهاب عن عمر انه امر بقتل الزنبور المحرم

وقال الشافعي اشرف الاعمال ثلاثة الجود من قلة والورع في خلوة وكلمة الحق عند من
يرجى ويخاف. وقال تعالى ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون . وقال الشافعي
لوددت ان الخلق يتعلمون مني ولا ينسب اليّ منه شيءٌ. وقال طلب العلم افضل من صلوة النافلة
وقال ما ناظرتُ احدًا فاحببت ان يخطيء بل احب ان يوفق ويسدّد وما ناظرت احدًا الاّ ولم
ابال بيّن الله الحقّ على لساني او لسانه وقال الشافعي من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر في
الفقه نبل مقدارهُ ومن تعلم اللغة رقّ طبعه . ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث
قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه

ذكر ما جرى للشافعي مع امير المومنين هرون الرشيد

حكى ابرهيم المزني قال دخلت على الرشيد فقال لي كيف احوالك فقلت بخير يا امير المومنين
غير انّ الشافعي يذكر انه للخلافة اهلٌ ولست انت لها باهلٍ . وحُكِيَ انه جرى هذا يقول منه
وهو في مجلس محمد بن الحسن على حدّ المداعبة قال فغضب الرشيد غضبًا شديدًا وقال عليّ
بالشافعي قال فأُتي بالشافعي فجثا بين يديه بالمكان الذي يراهُ ويسمع كلامه فقال الرشيد ايه
يا محمد فقال الشافعي يا امير المومنين انت الدّاعي وانا المدعو وانت السائل وانا المسئول المجيب
فقال الرشيد بعد كلام طويل . كيف علمك بكتاب الله فهو احرى ان نبدأ به . فقال يا امير
المومنين انّ الله عزّ وجلّ جمعه في صدري وجعل جنبيّ دفتيه وانا اعتمدُ عليه في كل اموري .
ولكن ايّ علم تريد منه علم تاويله ام علم تنزيله علم مكيه ام علم مدنيه علم ليليه ام علم نهاريه . علم
سفريه ام علم حضريه علم محكمه ام علم متشابهه. علم ناسخه ام علم منسوخه علم خاصه ام علم عامه . علم
تسمية سوره آياته ام حروفه فقال الرشيد هل يقدر احدٌ على ذلك فقال الشافعي وهل يسمى احدٌ
حافظًا لكتاب الله تعالى الا بعد معرفته بالقرآن . فقال الرشيد كم حرف فاتحة الكتاب فقال
ايعدّ امير المومنين بسم الله الرحمن الرحيم آيةً منها قال لا . قال اذًا مائة وثمانية وعشرون
حرفًا فاطرق الرشيد وادخل يدهُ في كمه كانه عدها ثم قال كيف معرفتك بالاحكام قال في
التجارات تريد ام في الدّيات ام في الطلاق ام في العتاق ام في الحكومات ام في الجراحات . فقال

امير المؤمنين كيف معرفتك بالشعر فقال يا امير المؤمنين اعرف الشاذ منه وما كرم للمنابر وروىت منه القديم والحديث في الجد والهزل . قال كيف علمك بالنجوم . قال اني اعرف القطب الدائر ومنازل القمر والبروج كلها وما يهدى بها في البرّ والبحر . قال كيف بصرك في الطب قال اعرف منه ما قال حكماء الروم مثل اريسطوتاليس وجالينس وما قال حكماء الفرس مثل بزرجمهر ومثل شاهرد . وما قال فلاسفة الهند مثل منكة وهيلتها . قال كيف معرفتك بالعرب قال يا امير المؤمنين اعرف وقائعهم وانسابهم وانساب الكرام منهم ومثالب الاراذل منهم وانا عارف بنسب امير المؤمنين ونسبي . وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالساً فقال لقد ادعيت من الامور كبارها . فعظني بموعظة على البديهة ليستبين لي فصاحة لسانك وان لا يكون هذا منك معمّداً فقال يا امير المؤمنين على شريطة فقال وما هي شريطتك فقال يا امير المؤمنين قبول النصح والقاء رداء الكبر عن عاتقك وطرح الحشمة وترك الهيبة . فقال الرشيد لك ذلك يا محمد فاشار الشافعي اليه ان انزل عن سرير الملك فنزل الرشيد وجلس الشافعي اليه وحسر عن ذراعيه وقرن السبابة قريباً من عينيه وقال يا ذا الرجل انه من اطال عنان الامن في العزّ طوى عذار الحذر في المهلة . ومن لم يعرّج على طرق النجاة كان الى جانب طرق قلة الاكتراث بالرجوع الى الله مقيما . ومن آمن وحسن الظن بالله كان في امنه . وانّ اكيس الناس من بادر مطايا المراجعة الى دار المقامة لا يامن عليها نفسها بحجر عن سببها الدهر الا ولو جرّعها سمّ مخالفتها وبادرها سرق المراجعة بالتوبة الى دار المقامة . ان لو فعلت ذلك يا ذا الرجل ان تزيد الندامة وبادرتك حسرات غدٍ في عرصات القيمة . ولكن صرت حتى ضرب عليك الهوى رواق الحيرة فتركتك اذا اخرجت يد موعظتك لم تكد تراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . وهذا جبريلُ عليه السلام قد نزل على النبي صلعم فقال يا محمد عش ماشئت فانك ميتٌ واحبب من شئتَ فانكَ مفارقهُ واعمل ما شئتَ فانك مجزيٌّ به . واعلم يا امير المؤمنين انّ شرف المؤمن قيامهُ بالليل وعزّهُ استغناؤهُ عن الناس وقد جعلكَ الله فوق الخلق وليس فوقك احدٌ الاّ الله . واعلم يا امير المؤمنين انك صائرٌ الى الله فاتقِ الله ايها الرجلُ تقوى من يعلم انّ عليهِ من الله رقيباً ومن يعلم انّ الله في القيمة له حسيبا . قال فبكا الرشيد بكاءً شديداً حتى بلّ منديلاً كان بين يديه . فقال الرزقاء (احد خواص الرشيد) وكان قائماً على رأسهِ حسبك فقد ابكيتَ امير المؤمنين . فرفع الشافعي طرفهُ اليه فقال يا عُبيد الرجعة أولستم الذين باعوا انفسهم بمحبوب الدنيا . اما رأيتم من استُدرج ممن كان قبلكم من الخلفاء والامم السالفة كيف فضح مستورهم واضطربَ بوائكيرُ الهوان عليهم لتبديل ما غيروا وتلبيسهم وكتمانهم الحق فاصبحوا بعد خفض

العيش والامن والرفاهية حصائد النعم ومدارج المثلات . فقال الرشيد لقد سلبتَ علينا لسان الفصاحة بنصحك ولا تمتك وهي امضى سيفيك فقال الشافعي هو لك ان قبلته لا عليك . قال الرشيد اوصني بوصية كثبانية (اي مجموعة جامعة) فقال ان استقمت لله وعمرت الضياع وقطعت الطمع جمع الله لك خير الدنيا والاخرة . قال الرشيد زدني قال اوصيك بالقسمة بين المسلمين بالسوية وان تحب احباء الله وتعادي اعداء الله . قال زدني قال اعمر قبر رسول الله صلّى الله عليه فانك ان عمرتَ بيته لزمك على ذلك مؤنة غليظة ولكن اعمر قبر رسول الله صلعم بالنظر الى اولاده ولاولاد المهاجرين والانصار تغز مع العابدين وعليك السلام . فقال الرشيد فهل لك اليّ حاجة خاصة بعد العامة قال الشافعي يا امير المؤمنين تأمرني ان اضع قدر موعظتي بالمسئلة . قال فامر الرشيد له ببدرة فيها عشرة الاف درهم فاخذها وخرج الى باب القصر وردّها على الحاجب وكتب على البدرة

ذُلُّ الحياةِ وهولُ المماتِ كلاًّ وجدناهُ طعمًا وبيلا

فان كان لابدَّ احداهما فمشيًا الى الموت مشيًا جميلا

وروي عن عبد الله بن محمد العلوي قال لما جيء بمحمد بن ادريس الشافعي أُدخلَ العراق على بغلة عليها قتب وعليه طيلسان مطبق وفي رجليه حديد وكان من اصحاب عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب عم وأُدخلَ على الرشيد فسائله عن القرآن وعن السنة وعن الشعر وعن ايام العرب وعن الاحكام وعن الطبّ وعن النجوم وهو يقول فيها بفهم فازداد الرشيد منه تعجبًا فوعظه وامرَ له بجائزة فابى ان يقبلها . وخرج محمد بن الحسن وابو يوسف من مجلس الرشيد وكان ابو يوسف قاضي القضاة ومحمد على المظالم . فجرّدا عشرين مسئلة وبعثابها الى الشافعي مع حدثٍ من اصحاب الحديث فدخل بها على الشافعي فلما قرأ الدّرج قال له من اعطاكَ هذا الدّرج قال من احبّ تفسيرها قال متعنّتٌ او متعلّمٌ فسكت الحدث قال الشافعي هذا من عنت محمد ويعقوب . قال نعم فنظر الشافعي فيها ثم انه دخل على امير المؤمنين الرشيد فاخبرهُ واقرأهُ الدّرج فعجب وبعث مولاه سراج فاحضرها وسألهما عن الدرج فاعترفا به فقال الرشيد للشافعي فسّرها ولك الفضل . قال الشافعي يا امير المؤمنين اول مسألة سالاني عن رجل ابق له عبد فقال هو حرٌّ ان طعمت طعامًا حتى اجدهُ . فالجواب عن ذلك ان يهبه لبعض ولده

وسألاني عن رجلين كانا فوق سطحٍ فمال احدهما فسقط فمات فحرمت على الاخر زوجته . فالجواب عن ذلك ان امرأة الحي كانت امة للميت وكان الزوج بعض ورثته فصارت الامة ميراثًا فحرمت عليه

وسألاني عن رجلين خطبا امرأةً فحلت لاحدهما ولم تحل للاخر من غير مكروه . فالجواب

في ذلك ان احد الرجلين كانت له اربع نسوة فحرمت عليه الخامسة والآخر لم يكن له امرأة فحلت له بالخطبة والنكاح

وسألاني عن رجل ذبح شاة في منزله ثم خرج لحاجة فرجع وقد حرمت الشاة عليه فقال لاهله كلوا فقد حرم الله عليّ الاكل منها قالوا له اهله ونحن ايضاً قد حرم الله علينا الاكل منها . الجواب ان هذا الرجل كان مشركاً فذبح شاة وخرج لحاجة فاسلم في طريقه و رجع وقد قيل لاهله ان اباكم قد اسلم فاسلموا فقال لهم كلوا فقد حرم الله عليّ الاكل لاني قد اسلمت قالوا ونحن قد حرم الله علينا لانا قد اسلمنا ايضاً

وسألاني عن امرأة تزوجت في شهر واحد ثلثة ازواج كلٌّ كان حلال غير حرام . فالجواب في ذلك ان هذه المرأة طلقها زوجها وهي حبلى فولدت بعد عشرة ايام فعدتها ولادتها ثم خطبها رجل آخر وعقد عليها عقده فاختلعت عنه قبل ان دخل بها ولم يكن لها عدة ثم خطبها رجل اخر فدخل بها . فذلك ثلاثة ازواج في شهر واحد

وسألاني عن رجل واحد حرمت عليه امرأته ثم حلت له من غير حنث ولا طلاق ولا عدة . فالجواب في ذلك ان هذا الرجل وامرأته كانا في الحج وهما محرمان وفاتهما الحج ولم يفكا احرامهما بفدية فلم تزل امرأته حراماً عليه اتيانها فلما كان في العام المقبل حجا وتحللا من الحرام حلت له امرأته فوطئها

وسألاني عن امرأتين لقيا غلامين فقالتا مرحبا بابنينا وابني زوجينا و زوجينا . فالجواب في ذلك ان الامرأتين كان لهما ابنان فتزوجت كل واحدة منهما ابن صاحبتها فكانا ابنيهما و زوجيهما وابني زوجيهما معاً

وسألاني عن شخصين شربا الخمر فوجب على احدهما الحد ولم يجب على الاخر شيء وكلاهما مسلمان . فالجواب عن ذلك ان احدهما كان حراً بالغاً فوجب عليه الحد والاخر كان صبياً لم يبلغ الحلم فثرد في الخمر فاكل الثريد فلا حد عليه

وسألاني عن مخلوقين سجدوا لغير الله وهم مطيعون لله . فالجواب في ذلك انهم الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام

وسألاني عن رجل قال لولده ان مت فلك من ارثي الفان ولو كنت ابن عمي لكان لك من ارثي عشرة الاف . فالجواب في ذلك ان مال الرجل ثلاثون الف درهم وله ثمان وعشرون بنتاً وابن واحد فالابن الفا درهم ولكل بنت الف درهم ولو كان ابن عمه لكان للبنات الثلثان وهو عشرون الف درهم والباقي لابن العم وهو عشرة الاف درهم

وسألاني عن رجل أخذ قدحاً فيه ماء يشربه فشرب بعضه حلالاً وحرم عليه الباقي .
فالجواب في ذلك انه شرب بعضه ورعف في الباقي حتى غلبه الدم فحرم عليه الباقي
وسالاني عن امرأة ادعت ان زوجها لايقربها وانها بكر كما خلقت . فالجواب في ذلك ان تومر القابلة حتي تحملها بيضة فان غابت البيضة كذبت وان لم تغب صدقت

وسألاني عن رجل دفع الى امرأته كيساً مختوماً فقال لها انت طالق ان فتحتيه او فتقتيه او خرقتيه وانت طالق ان لم تفرغيه . فالجواب في ذلك ان الكيس كان فيه ملح فوضعته في ماء حار فذاب الملح وتفرغ الكيس

وسألاني عن امرأة لقيت غلاماً فقبلته وقالت فديت من امها ولدت امه وانا امرأة ابيه . فالجواب في ذلك انها امه

وسألاني عن رجل اتى جارية فقبلها وقال فديت من ابي جدها واخي عمها . فالجواب في ذلك انها ابنته

وسألاني عن خمسة نفر زنوا بامرأة فوجب على احدهم القتل وعلى الثاني الرجم وعلى الثالث الحد وعلى الرابع نصف الحد ولم يجب على الخامس شيء . فالجواب في ذلك ان الاول مشرك زنا بمسلمة فوجب عليه القتل . والثاني محصن زنا فوجب عليه الرجم والثالث بكر زنا فوجب عليه الحد والرابع مملوك زنا فوجب عليه نصف الحد . والخامس مجنون او صبي زنا فلا شيء عليه

وسألاني عن امرأة قهرت مملوكاً حتى وطئها المملوك وهو كاره لوطئها . فالجواب في ذلك ان كان المملوك خشي ان تقتله ان لم يعمل ما تأمره فلا شيء عليه وان لم يخش القتل وتوقع الضرب فعليه نصف الحد وان كانت مولاته محصنة فعليها الرجم وان كانت غير محصنة فوجب عليها الحد ويباع مملوكها عليها

وسألاني عن رجل صلى بقوم وسلم عن يمينه فطلقت امرأته وسلم عن شماله ففسدت صلاته ونظر الى السماء فوجب عليه الفا درهم من وقته فالجواب في ذلك ان هذا الرجل لما سلم عن يمينه نظر الى رجل كان زوج امرأته وغاب عنها فتزوج بها فاذا قدم من سفره فليس له بعد النظر الا فراقها ثم سلم عن شماله فنظر في ثوبه دماً كثيراً فوجب عليه اعادة الصلوة ونظر الى السماء فنظر الى الهلال وكان عليه دين منجم في الشهر الفا درهم

وسألاني عن رجل ضرب رأس رجل بعصا فادعى المضروب ان ضاربه قد اذهب في ضربته احدى عينيه وانه قد جف خياشيمه وانه قد اخرس لسانه من الضرب فهو لا يقدر ان يتكلم يومئ ايماء . فالجواب في ذلك ان يقام في مستقبل الشمس فان لم يطرف فهو صادق ويشم

الحرّاق فان لم يتأذّ به فهو صادقٌ ويغرز لسانه بابرة فان خرج دمٌ اسود فهو صادقٌ

وسألاني يا امير المؤمنين رأس العشرين عن امام كان يصلي بالناس وكان وراءهُ اربع نفر فدخل المسجد رجلٌ آخر فصلى معهم عن يمين الامام فلما سلم الامام عن يمينه ونظر الرجل الداخل وجب على الامام ضرب العنق واخذ امرأته منه وتدفع الى الرجل الداخل ووجب هدم المسجد ويجب على الاربعة الذين صلوا وراء الامام الحدّ. فالجواب في ذلك ان ذلك الرجل الذي دخل بعد الاربعة وصلى معهم كان مالك ذلك المسجد فسافر وخلى اخاه مقيماً في المسجد موضعة وخلّف امرأته عند اخيه فشدّ ذلك الامام على اخي ذلك الرجل فقتله واخذ امرأة القادم غصبا وادعى انها امرأته فشهد له الاربعة الذين صلوا وراءهُ انها امرأته واخذ دار الذي كان قتله فجعلها مسجداً فوجب عليه القتل بالقتل ورجعت المرأة الى زوجها ويردّ المسجد داراً كما كانت اذ كان ذلك غصباً وجلد الاربعة الذين شهدوا انها امرأة الامام الحدّ بشهادة الزور

ثم قال الشافعي وانا سائلهما عن مسألتين فان اجابا فالحمد لله وان لم يجيبا فانا اسأل امير المؤمنين ان يكفينيهما فانني مشغولٌ عنهما بشيء من الفقه اجمعة لصلاح دين الخاصة والعامة فقال الرشيد يا ابن ادريس سلهما عن ذلك كما سئلت. فاقبل الشافعي على ابي يوسف فقال ما تقول في رجلٍ تزوج بامرأة وتزوج ابنه امها فجاءت الام بولدٍ والبنت بولدٍ ما يكون هذا الولد من هذا وذاك من هذا. فسكت يعقوب ابو يوسف

فاقبل الشافعي على محمد بن الحسن فقال ما تقول في رجلٍ مات وخلف ستمائة درهم وله من الورثة اخت فاصابها درهم واحد مما ترك. ما فرض هذه الفريضة. فسكت محمد بن الحسن

فقال الرشيد يا ابن ادريس فسرّها وانا اكفيك امرها. فقال الشافعي يا امير المؤمنين. ابن الام خال ابن البنت وابن البنت عم ابن الام. هذا واما الفريضة فانه بلغني ان امرأة جاءت الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عم) وقد وضع رجله في الركاب ليركب فقالت له يا امير المؤمنين اني قد جئتك عام اول وقد مات اخي وخلّف ستمائة درهم فدفع اليّ من ميراثه درهمٌ واحدٌ ولست اعرف كيف حكمت به فقال عليٌّ (عم) حكمت بحكم الله تعالى ان اخاك مات وخلّف ابنتين فاصابهما الثلثان اربعمائة درهم وخلّف امًّا فاصابها السدس مائة درهم وخلّف زوجةً فاصابها الثمن خمسة وسبعون درهمًا فبقي من المال خمسة وعشرون خلف اثنى عشر اخًا واختًا فلكل اخٍ درهمان اربعة وعشرون درهمًا ولكِ درهم واحد فضحك الرشيد هرون واقبل على يعقوب ومحمد بن الحسن فقال لهما دعاهُ عنكما فان الله قد فرض له حق القرابة من رسول الله (صلعم)

وحق الشرف وحق العلم فقالا لا يطاع امر امير المؤمنين ولا يُعصى . قال فامر لمير المؤمنين الرشيد للشافعي بالف دينار وخلع عليهِ ثيابهُ . فقبل الشافعي الثياب والدنانير فرّقها في اصحاب الرشيد فلما بلغ الباب لم يبقَ معهُ الأ قبضة دفعها الى خادمه يستعين بها . فلقد رأيت بعد ذلك محمد بن الحسن يتردد الى الشافعي وربما حجبهُ

وقال المزني دخلت على الشافعي في علتهِ التي مات فيها فقلتُ كيف اصبحت فقال اصبحت من الدنيا راحلاً ولاخواني مفارقًا ولكاس المنيّة شاربًا ولسوء عملي ملاقيًا وعلى الله تعالى واردًا فلا ادري أروحي تصير الى الجنة فأُهنيها او الى النار فأُعزيها وانشأ يقول

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت الرجا مني لعفوك سُلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنتهُ	بعفوك ربي كان عفوك اعظما
ومازلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل	تجود وتعفو منّةً وتكرّما

قال الربيع توفي الشافعي ليلة الجمعة بعد عشاء الاخرة آخر يوم من رجب سنة ثلاث ومائتين ودفناهُ يوم الجمعة وانصرفنا . فرأينا هلال شعبان وبلغ من العمر اربعًا وخمسين سنة قال الربيع رأيت الشافعي بعد وفاتهِ في المنام فقلت لهُ يا ابا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونشر عليّ اللؤلؤ الرطب

وفيها مات هشام بن محمد بن السائب بن بشر ابو منذر الكلبي قال محمد بن ابي السَّري قال لي هشام بن محمد الكلبي حفظت ما لم يحفظهُ احدٌ ونسيت ما لم ينسهُ احدٌ كان لي عمٌّ يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتًا وحلفت ان لا اخرج منهُ حتى احفظ القرآن فحفظتهُ في ثلاثة ايام . ونظرت في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فاخذت ما فوق القبضة

ثم دخلت سنة اربعة ومائتين فيها قدم المأمون العراق مع انقطاع موارد الفتن

وقال الصولي ان زينب بنت سليمان بن علي كلمت المأمون في ترك لباس الخضرة والاضراب عما فعلهُ من تولية اولاد علي (عم) فقال لها ان ابا بكر تولّى فما ولّى احدًا من بني هاشم ثم عمر كذلك ثم عثمان فاقبل على بني عبد شمس وترك غيرهم ثم ولي علي بن ابي طالب فولى عبد الله بن العباس البصرة وعبيد الله اليمن ومعبدًا مكة شرّفها الله تعالى وقسما البحرين وما ترك منا احدًا الأ ولّاهُ فكانت هذه في اعناقنا فكافيتهُ بما فعل . وقال المأمون

أُلامُ على شكري الوصيّ ابا الحسن	وذلك عندي من اعاجيب ذا الزمن
خليفة خير الناس والأول الذي	اعان رسول الله في السرّ والعلن
ولولاهُ ما عدّت لهاشم امرةٌ	وكان على الايام يعصى ويمتهن

فولي بني العباس ما اختصَّ غيرهم ‏ ومَن منهُ اولى بالتكرُّم والمنن
فاوضح عبد الله بالبصرة الهدى ‏ وفاض عبيد الله جودًا على اليمن
وقسم اعمال الخلافة بينهم ‏ فلا زلت مغبوطًا بذا الشكر مرتهن

قال ابو سهل الرازي لما دخل المأمون بغداد تلقاهُ اهلها فقال لهُ رجل يا امير المؤمنين بارك الله لك في مقدمك وزاد في نعمتك وشكرك عن رعيتك فقد فقت من قبلك واتعبت من بعدك وايست ان يعتاض عنك لانهُ لم يكن مثلك ولا نعلمه اما فيمن مضى فلا يعرفونهُ واما فيمن بقي فلا يرتجونهُ فهم بين دعاءٍ لكَ وثناءٍ عليك وتمسكوا بك اخصب لهم جنابك واحلا لي ولهم ثوابك وكرُمت مقدمتك وحسنت اثارك فجبرت الفقير وفككت الاسير فانت كما قال الشاعر

ما زلتَ في البذلِ والنوالِ كذا ‏ إطلاقِ عانٍ بجرمهِ عَلقا

فقال لهُ المأمون مثلك يعيب من لا يستنطقهُ ويغر من يجهل قدرهُ فاعذرني في مسالتك فاستجدي في مستانفك

ولما دخل المأمون بغداد دخلت عليهِ زبيدة بنت جعفر فلما جلست قالت الحمد لله لئن كنت قد فقدت ابنًا خليفةً فلقد اعتضتُ ابنًا خليفة وما خسر من اعتاض مثلك وما ثكلت امٌّ ملأت يدها منك فاسأل الله اجرًا على ما اخذ وامتاعًا بما وهب فقال المأمون ما تلد النساء مثل هذه فماذا ابقت في هذا الكلام لبلغاء الرجال ‏ قال وكتبت اليهِ

لخير امامٍ قام من خير عنصرٍ ‏ وافضل راقٍ فوق اعوادِ منبرِ
ووارث علم الاولين وملكهم ‏ وذاك هو المأمون من ام جعفر
كتبتُ وعيني تستهلُّ دموعها ‏ اليك ابن عمي من جفوني ومحجري
اصبتُ بادني الناس منك قرابةً ‏ ومن هولي روحي فعيل تصبُّري
اتى طاهرٌ لاطهَّرَ الله طاهرًا ‏ فما طاهرٌ في فعلهِ بمطهَّرِ
فابرزني مكشوفة الوجه حاسرًا ‏ وانهب اموالي وخرَّب ادوري
يعزُّ على هرون ما قد لقيتهُ ‏ وما مرَّ لي من ناقص الخلق اعورِ
تذكَّر امير المؤمنين قرابتي ‏ فديتك من ذي قربةٍ متذكرِ
فان يكُ ما اسدي لامرٍ امرئهُ ‏ صبرتُ لامرٍ من قديرٍ مدبرِ
وان يكن الاخرى فغير مدافع ‏ اليك امير المؤمنين فغيِّرِ

فلما قرأ الابيات قال انا لله انا المطالب بثار اخي قتل الله قاتلهُ وكتب اليها في ظهر رقعتها

يعزُّ عليَّ ما لاقيتُ فيهِ ‏ وانتِ الامُّ خيرُ الامهاتِ

ولم ارضَ الذي فعلوا اليه — من الفعل المخالف والشتاتِ
فاني مثلة لكِ فاعليه — على ما كان ما بقيت حياتي
وثاري بعد ثار الله فيه — سيذهب بالجبابرة العتاتِ .
بني لكِ جعفرٌ بيتًا رفيعًا — وانتِ اميرةٌ للمؤمناتِ

ثم عبرَ اليها فعزّاها واكثر البكاء معها فقالت يا امير المؤمنين دواءَ دائي وباب مسألتي في غدائك عندي فاقام وتغدّى عندها واخرجت اليه من جواري محمد من تغنيه وسالته ان ياخذ منهنّ من يرتضيه فغنت واحدةٌ منهنّ

هم قتلوهُ كي يكونوا مكانهُ — كما غدرت يومًا بكسرى مرازبهُ

فذهبَ مغضبًا فقالت زبيدة حرمني الله اجرهُ إن كنتِ علمتُ بذلك او دسستُ اليها فصدقها وعجب من ذلك

ولم نذكر جميع الحوادث التي جرت ايام خلافته طلبًا للاختصار بهذا المجموع واقتصرنا على ما ذكرنا منها وفيه الكفاية للمتأمل ان شاء الله وتوفي المأمون ليلة الخميس عاشر رجب من سنة ثمان عشرة ومائتين بالقرب من طرسوس وهو متوجه يريد الغزو فحُمل اليها ودفن في دار خاقان الخادم وقد ذكرنا ذلك في اخباره مشروحًا والخير يكون ان شاء الله تعالى

ذكر خلافة

المعتصم

وهو ابو اسحق محمد بن الرشيد وُلد يوم الاثنين عاشر شعبان من سنة ثمانين ومائة وامّهُ ام ولد يقال لها ماردة لم تدرك خلافتهُ وكان مع اخيهِ المأمون ببلاد الروم لما توفي فاراد الناس ان يبايعوا العباس بن المأمون فابى وسلم الامر الى عمهِ المعتصم فتوجه الى بغداد مسرعًا فوافاها غرة شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين واقام بها سنتين ثم توجه الى سرّ من رأى وبناها واتخذها دارًا . وكان ابيض اصهب اللحية طويلها مربوعًا مشرَب اللون حمرةً . نقش خاتمهِ الحمدُ لله الذي ليس كمثلهِ شيء . وكان من العظماء الموصوفين بالحزم ذوي المناقب الوافرة والفتوح الظاهرة والفضائل الجمة والهمة العالية جدَّ في اعزاز الدين وحجّ قبل الخلافة وكان له في خلافتهِ فتوح لم يكن لاحدٍ من الخلفاء وهي ثمانية بلاد منها عمورية وقتل ثمانية ملوك ولكل واحد من هؤلاء

الملوك ومن فتوحه خبر ظريف يطول ذكره . فنها فتوح عمورية وما جرى لابي تمام الطائي معه بمدحه بتلك القصيدة التي اولها

السيف اصدق انباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وهذه القصيدة طويلة عددها ثلثة وسبعون بيتا اعطاه جائزتها ثلثة وسبعين الف دينار على كل بيت الف دينار وقصصه في فتوحاته طويلة واخبارها ظريفة يطول استقصاؤها في هذا المختصر وقد ذكر الشيخ تاج الدين علي بن الحسن البغدادي نبذا من ذلك في كتابه الموسوم بكتاب الايناس في مناقب الخلفاء من بني العباس ومن اعاجيب احواله ان اباه الرشيد جعل ولاية العهد في اولاده الثلاثة محمد الامين وعبد الله المأمون والقاسم المؤتمن ولم يعينه معهم فلم يكن من نسلهم خليفة . وساق الله تعالى الخلافة اليه والى عقبه وله بسامرا الآثار الحسنة والابنية العظيمة. قيل انه مسافتها سبع فراسخ وحفر نهر الاسحاقي وعمل تل المخالي وحكايته مشهورة لما جيش الى حصار عمورية وبنى سور المصيد وبنى الجامع الكبير وانفق على ذلك خمسمائة الف دينار وجعل وجوه حيطانه مرايا بحيث يرى القائم في الصلاة من يدخل من خلفه وبنى المنارة التي يقال انها من احدى العجائب وكان عدة عسكره سبعين الفا وفي ذلك يقول علي بن الجهم

ورافضة تقول بشعب رضوى ... امام خاب ذلك من امام
امامي من له سبعون الفا ... من الاتراك مسرعة السهام

قيل انه لم يكن في بني العباس قبله اشجع منه ولا اشد تيقظا في الحرب ولا اشد قوة . قيل انه اعتمد باصبعه السبابة والوسطى على ساعد انسان فدقه وكان يلوي العمود الحديد حتى يصير طوقا ويشد على الدينار باصبعه فيمحو كتابته وكانت همته في حروبه مناسبة لحيلته

ذكر وفاته

توفي يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وعمره ثمانية واربعون سنة وكان يسمى المثمن من بني العباس لما كان فيه من نسبة الثمانية من عمره ومدة خلافته واولاده ومواريثه وبالي ذكرها ودفن بسامرا

ذكر اولاده وهم ثمانية من الذكور وثمانية من الاناث

هرون الواثق وجعفر المتوكل وقد وليا الخلافة ومحمد وهو والد المستعين . واحمد وجعفر

وحج بالناس في خلافة اخيه هرون وكان اديباً فاضلاً شاعراً جميل الصورة ومن شعره قوله

وشادن يفضح بدر الدجى والبدر في ليله يزهر
يجحد اني مستهام به فهو لقولي ابداً ينكر
وقد كساني سقمي حلة تظهر من وجدي الذي اضمر
يكفيك مني شاهد انني اليك من دون الورى انظر

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزارة الفضل بن مروان وعزله واستوزر ابا العباس احمد بن عمار وعزله واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات الى آخر ايامه ولم يعزل قضاة اخيه المأمون وحاجبه وصيف مولاه

ذكر بعض الحوادث التي جرت في ايامه

لما كان غرضنا في هذا المجموع المبارك الاختصار فتركنا ذكر الحوادث من ايام المعتصم ولم نثبتها خيفة التطويل والاسهاب وذكرنا من حال كل خليفة من الخلفاء العباسية نبذاً من احاديثهم ومدة ايام خلافتهم وما جرى لهم مختصراً مفيداً لصحة نقله لصغر حجم الكتاب والله الموفق للصواب

ذكر خلافة

الواثق

وهو ابو جعفر هرون بن المعتصم مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة . امه ام ولد يقال لها قراطيس رومية وبويع بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه ابوه وذلك بسامرا ووصل الخبر الى بغداد يوم الجمعة ثاني وفاة ابيه على يد اسحق بن ابرهيم فلم يظهر وفاته . وخطب للمعتصم على منبر بغداد وهو ميت . وفي يوم السبت طلب اسحق امراء الهاشميين والقواد والاعيان بالحضور بدار الخلافة . فاخذ البيعة على الناس للواثق بعد ان نعي اليهم المعتصم وكان الواثق جسيماً ابيض تعلوه صفرة حسن الوجه في عينه اليمنى نكتة بياض . نقش خاتمه . الله ثقة الواثق . وكان يتشبه بعمه المأمون في اخلاقه وكرمه وحلمه لانه هو الذي رباه فقبل افعاله وحج بالناس واحسن الى العلويين واحرقت الكرخ في ايامه وتشاغل الاغنياء بعمارة منازلهم وعجز الفقراء عن عمارة املاكهم وانتقلوا عنها فاطلق للفقراء منهم خاصة الف الف درهم معونة لهم على اصلاح المنازل ودخل اليه احمد بن

ابي دواد ومعهُ قصة من اهل فرغانة يسأل الوثق اعانتهم على حفر نهرٍ وسدّ بثق هناك فقال يا ابا عبد الله قد اطلقتُ منذ ساعةٍ لك المال وتسال هذا عقيبهُ فقال لهُ انك تسأل عن اهل فرغانة كما تسأل عن اهل بغداد وبحسب ذلك فينبغي ان يعم احسانك من بَعُدَ كما يشمل من قَرُبَ فوقعَ بما التمسوهُ . ومن شعرهِ

تنحَّ عن القبيح ولا تردهُ ومَن اوليتهُ حسنًا فزدهُ
ستلقى من عدوكَ كلَّ كيدٍ اذا كاد العدو ولم تكدهُ

وقولُهُ

هي المقادير تجري في اعنتها فاصبر فليس لها صبرٌ على حالِ
تريكَ يومًا وضيع القدر مرتفعًا الى السماء ويومًا تخفض العالي

وكان حسن الفكر في صلاح الرعية حافظًا حق من خدمهُ يتجاوز عن هفوته

ذكر وفاتهِ ومدة خلافتهِ

قيل انهُ لما حضرتهُ الوفاة امر بطيّ البساط من تحته والصق خدَّهُ بالارض وجعل يقول يا من لا يزول ملكهُ ارحم من قد زال ملكهُ . وتوفي يوم الاربعاء سابع عشرين ذي الحجة من سنة اثنين وثلاثين ومائتين وَدُفن بسرّ من رأى وكانت خلافتهُ خمس سنين وثلاثة اشهر وخمسة عشر يومًا

ذكر اولادهِ

وهم محمد المهتدي بالله وابو اسحق ابرهيم ومحمد وابو القاسم عبد الله وهرب لما قتل اخوهُ المهتدي فلحق بابي الليث الصفّار فاكرمهُ وطلبهُ منهُ المعتمد فلم يسلمهُ وتوفي عندهُ . وابو العباس احمد وكان عالمًا فاضلاً . والعباسة وتزوجها المستعين وعائشه وتزوجها ايضًا لما ماتت اختها

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وزّر لهُ محمد بن عبد الملك الزيات وزير ابيهِ مدّة خلافتهِ وقاضيهِ احمد بن ابي دواد وحاجبهُ وصيف التركي ومحمد بن عاصم

ذكر خلافة

المتوكل

وهو ابو الفضل جعفر اخو هرون الواثق بن المعتصم مولدهُ سنة سبع ومائتين امهُ ام ولد يقال لها شجاع بويع بالخلافة بسرَّ من رأى بعد وفاة اخيهِ وبايعهُ منهم سبعة كل منهم ابن خليفة وهم محمد بن الواثق واحمد بن المعتصم وموسى بن المأمون وعبد الله بن الامين وابو احمد بن الرشيد والعباس بن الهادي ومحمد بن المتوكل يعني ابنهُ. وكان المتوكل اسمر خفيف الجسم حسن العين خفيف العارضين قصيرًا . نقش خاتمهِ . على الله توكلت . وكان كريمًا سهل الاخلاق حجَّ قبل الخلافة

ذكر شيء مما كان يؤثر من كلامهِ

فمنها لذة الدنيا في الدعة والسعة . ومن شعرهِ لما توفيت امهُ

تذكرتُ لما فرّق الدهر بيننا ۞ فعزيتُ نفسي بالنبيّ محمدِ
فقلت لها ان المنايا سبيلنا ۞ فمن لم يمت في يومهِ مات في غدِ

ذكر قتلهِ وسببهِ

كان قد قدّم ولدهُ المعتزّ على ولدهِ محمد المنتصر وكان المنتصر اشدّ من المعتزّ فتوعّد المعتزّ اخاهُ المنتصر وسبّ امهُ فانتهز المنتصر الفرصة ذات ليلةٍ حتى انفرد ابوهُ فهجم عليهِ بغلمان اتراك كان قد واطأهم على قتلهِ ووعدهم الاحسان اليهم فقتلوهُ وقتلوا معهُ الفتح بن خاقان وقيل غير ذلك . نقل بعض اهل السير ان المتوكل كان يظهر من سبّ عليّ بن ابي طالب والاستهزاء بذكرهِ كثيرًا وكان المنتصر الاغلب عليهِ التشيع وحبّ عليّ كرمَ الله وجههِ فاخذتهُ في ذلك الغيرة مما جرى منهُ من اشياء لا يجوز اثباتها مما لا يعلم بصحتها الاّ الله تعالى. لهونا عن ذلك وذكرنا مختصرًا من نبذها وانهُ قتلهُ على سبب المذهب والله اعلم

ومن عجيب الاتفاق انهُ وُصفَ لهُ سيفٌ فابتاعهُ فلم يعجبهُ فقال لشاعر التركي هذا سيفٌ وحشٌ وانت وَحشٌ ووَهبهُ لهُ فقتلهُ بهِ وذلك في رابع شوال من سنة سبع واربعين ومائتين وكانت خلافتهُ اربع عشرة سنة وعشرة اشهر ودُفن بسر من رأى

ذكر اولادهِ

وهم ابو شيبة الغيداق وابو العباس محمد واسمعيل وتوفي بواسط وحمل الى سامرًا فدُفن بها وكان اخوهُ المعتزُّ قد ولّاه الحجاز ومصر وافريقية وبرقة والاسكندرية · وموسى واروى وميمونة وام محمد وعائشة وابو الحسن وابو عبدالله وابو عيسى توفي في ايام اخيهِ المعتضد بالبردان وأُخذ رأسهُ والقيَ جسدهُ في دجلة ومحمد المنتصر ومحمد المعتز وطلحة واسمعيل

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وُزّر لهُ محمد بن عبد الملك الزيات ثم قتلهُ واستوزر محمد بن الفضل الجرجاني وعزلهُ واستوزر عبدالله بن يحيى بن خاقان · وقضاتهُ يحيى بن اكثم وعزلهُ وولّى جعفر بن محمد الترجي ثم جعفر بن عبدالله العباسي. وحجابهُ وصيف التركي ثم محمد بن عاصم ثم يعقوب بن قوصرة ثم المرزبان ثم ابرهيم بن الحسن بن سهل

ذكر خلافة

المنتصر

وهو ابو العباس محمد بن جعفر المتوكل مولدهُ بسرمن رأى في شهر ربيع الاول من سنة اربع وعشرين ومائتين امهُ ام ولد رومية اسمها جيشة وكان ابوهُ المتوكل قد عقد لهُ ولاخوتهِ المعتز والمؤيد بولاية العهد وبويع المنتصر بالله بالخلافة في الصبيحة التي قتل فيها ابوهُ المتوكل وخلع اخويه من البيعة التي اخذها ابوهما لهما على الناس . وكان المنتصر قصيرًا اشم ضخم الهامة عظيم البطن جسيمًا على عينهِ اليمنى اثر وقع اصابهُ في صغره وكان شيعيًا ومن كلامهِ . ما ذلَّ ذو حقٍ وإن اطبق الناس عليهِ . ولا عزَّ ذو باطل ولو طلع القمر من بين عينيهِ . وكان قد حجَّ بالناس قبل الخلافة ومن شعرهِ

متى ترفع الايام من قد وضعنهُ ... وينقادُ لي دهرٌ عليَّ جموحُ

أُعلل نفسي بالرجاء وانني ... لأغدو على ما ساءني واروحُ

وقد مدحهُ البحتري ويأتي ذكر قصيدته عند ذكر البحتري واشعارهِ

ذكر وفاته

جلس يومًا على بساط ديباج فرأى في دائرة فيه كتابة بالفارسية فقال ما هذه الكتابة فقريت فاذا هي انا شيرويه بن كسرى قتلت ابي فلم امتع بالملك بعده فتغير وجهه وقام عن مجلسه فلم يبق بعد ذلك الا يسيرًا ومرض فعادته امه وسألته عن حاله فقال ذهبت مني الدنيا والاخرة وانشد

فما فرحت نفسي بدنيا اصبتها ولكن الى الله الكريم اصير

وهذا من اعجب الاتفاقات واظرف العظات وشرّ احداث الزمان ما اتفق . وكانت وفاته يوم الاحد خامس شهر ربيع من سنة ثمان واربعين ومائتين وكانت خلافته ستة شهور ودفن بالجوسق من سر من رأى ولم يلِ الخلافة قبله اقل من مدته

ذكر اولاده

وهم احمد وعبد الوهاب وعبد الله

ذكر وزرائه وقضاته وحجّابه

وزر له مدة خلافته احمد بن الخصيب ولم يعزل قضاة ابيه وحاجبه وصيف التركي ولا عقب له في الخلافة والخلفاء من ولد اخيه الواثق

ذكر خلافة

المستعين

وهو ابو العباس احمد بن الامير محمد بن المعتصم مولده بسرّ من رأى يوم الثلثاء سابع شهر رجب سنة احدى وعشرين ومائتين امه مخارق بنت عبد الله بويع له بالخلافة في شهر ربيع الاخر بعد وفاة المنتصر سنة ثمانية واربعين ومائتين . ولما دعي ليبايع قال استعين بالله فلقب المستعين وكان ابيض حسن الوجه ظاهر الدم بوجهه اثر جدري . نقش خاتمه استعنت بالله . وكان مسلمًا الى الله تعالى في اموره كثير التضرع اليه في حالتي شدته ورخائه سديد الاراء حسن التدبير ذا سخاء وجود وكان عنده ادب ويقول الشعر فمن ذلك قوله

صبرت على ريب الدهور وصرفها وقلبت قلبي في احرّ من الجمرِ

فملكني ربي الذي لم اظنهُ فاعقبني صبري التملك للامرِ

وقد مدحهُ ابن الرومي بمدائح كثيرة

ذكر خلعهِ ووفاتهِ

كان قد أُلجئ الى خلع نفسهِ فلما دخل عليه القضاة اشهدهم عليه وأخذ ابن أبي شوارب كتاب الخلع وقال اشهد عليك يا امير المؤمنين بهذا قال نعم فقال لهُ خار الله لك يا ابا العباس فبكى وقال يارب خلعتني من خلافتك فلا تخلعني من رحمتك وذلك في ثالث عشر المحرَّم سنة اثنين وخمسين ومائتين وكانت خلافتهُ ثلاث سنين وثمانية اشهر وقتل بعد الخلع بالقادسية قرب سامرَّا قتلهُ بغا التركي وأخذ رأسهُ فحملهُ الى ابن عمهِ المعتز ودفن بسرمن رأى عن ثلثين سنة وثلاثة اشهر ولا عقب لهُ في الخلافة

ذكر اولادهِ

وهما العباس وكان ولاهُ والدهُ الحرمين . والقاسم

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وُزّر لهُ احمد بن الخصيب وعزلهُ واستوزر ابا صالح بن عبد الله يزداد وعزلهُ واستوزر محمد بن الفضل الجرجاني ثم شجاع بن ابي القاسم . وقاضيهِ ابن ابي الشوارب . وحجابهُ اوقاس التركي ثم بغا التركي ثم موسى بن بغا ثم وصيف

ذكر خلافة

المعتز بالله

وهو ابو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل مولدهُ يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وثلثين ومائتين امهُ ام ولد اسمها قبيحة بويع لهُ بالخلافة بعد خلع ابن عمهِ المستعين وكان طويلاً جسيما وسيما ابيض مشرَّبا حمرة ادعج العينين اقنى الانف حسن الوجه جعد الشعر كثَّ اللحية . نقش خاتمهِ . محمد رسول الله . وكان كاملاً في الفضل والأدب والخلال الحميدة . ومن شعرهِ

لقد عرفتُ علاج الطبِّ من وجعي وَما عرفتُ علاج الحب والجزعِ

جزعتُ للحبِّ والحمى صبرتُ لها اني لاعجبُ من صبري ومن جزَعي

ومنا املّ حبيبي ليتني ابدًا مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

وقوله

الله يعلم يا حبيبي انني مذ غبت عني مدلّه مكروب
يدنو السرور اذا دنا بك منزل ويغيب صفو العيش حيث تغيب

وقد مدحه البحتري بقصائد كثيرة

ذكر خلعهِ ووفاتهِ

كان المعتز بعد مبايعتهِ بالخلافة اخرج اخاهُ المؤيد من الجوسق وخلع عليهِ ثم بلغهُ عنهُ انهُ يريد الوثوب عليهِ فحبسهُ فبلغهُ ان جماعة من الاتراك يريدون اخراجهُ من الحبس فطلبهُ فوجدهُ ميتًا فاخرجهُ واشهد القضاة والفقهاء على جسدهِ انهُ لا اثر بهِ . ثم كبسهُ حاجبهُ صالح بن وصيف وجاء في جماعة من الاتراك وصاحوا على بابهِ فاعتذر من الخروج بانهُ قد شرب دواء واذن في دخول بعضهم فلما دخلوا عليهِ الجاؤهُ الى خلع نفسهِ واشهد عليهِ بذلك القاضي ابن ابي الشوارب وغيره ثم وُكل بهِ وذلك في يوم الاثنين سابع وعشرين رجب من سنة خمس وخمسين ومائتين ومدة خلافتهِ اربع سنين وستة اشهر واربعة عشر يومًا وتوفي في شهر رمضان من السنة بسامرًا ودفن بها في موضع يقال لهُ السميدع عن ثلاث وعشرين سنة ولا عقب لهُ في الخلافة

ذكر اولادهِ

وهم عبد الله بن المعتز ذو الفضل الشائع والادب البارع والشعر والرسائل . وحمزة وقد روى عن اخيهِ عبد الله المذكور

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وزر لهُ جعفر بن محمد الاسكافي وعزلهُ واستوزر علي بن فرخشاه وعزلهُ واستوزر احمد بن اسرائيل الانباري . وقضاتهُ ابن ابي الشوارب واحمد بن وزير . وحجابهُ صالح بن وصيف وموسى بن بغا

ذكر خلافة

المهتدي بالله

وهو ابو عبد الله محمد بن هرون الواثق وُلدَ في سنة ثمان عشرة ومائتين . امهُ ام ولد يقال لها قرب . بويع لهُ بالخلافة يوم خلع ابن عمهِ المعتز بالله . وكان اسمر رقيقًا . نقش خاتمهِ هداني الله . وكان احسن الخلفاء مذهبًا واجملهم طريقةً واتمهم ورعًا واكثرهم عبادةً وتحسنًا وُجد لهُ سفط فيهِ جبة صوف وكساء . وكان يلبس ذلك في الليل ويصلي فيهِ وحرّم الغناء والملاهي وحسم اطماع اصحاب السلطان عن الظلم وامر ان يحدَّ شارب الخمر كائنًا من كان وابغضهُ الجند واهل الفساد بسبب ذلك . ولهُ شعر فمن ذلك قولهُ

ايها الناعي ما يبقى بما يغني ترفق
انما الدنيا عناءٌ وشقاءٌ نتدفق
امرءٌ رهنٌ للمعاصي وبقيد الذنب موثق
فافعل الخير فعلك بفعال الخير تطلق

وقولهُ

عاون على الخير تسلم ولا تجزهُ فتندم

وقد مدحهُ البحتري بقصيدة منها

علم الله سيرة المهتدي بالـ له فاختارهُ لما يختارُ
لم يجالح الملوك فيهِ ولا كا ن بوحي القلوب عنهُ نفارُ
وتجلّى للناظرين انيّ قيهِ عن جانب القبيح ازورارُ
ولديهِ تحت السكينة والاخـ ـبات سطوة على العدى واقتدارُ
التقيّ النقيُّ والفاضل المفـ ـضل فينا والمرتضى المختارُ

ذكر خلعهِ وقتلهِ

كان الاتراك قد اتفقوا على خلعهِ لما كان نهاهم عن جميع المنكرات ومنعهم عن تعاطي المحرَّمات فحاربوهُ وحصل في ايديهم فمكث بقية يومهِ وليلتهِ محبوسًا واخرج في اليوم الثالث ميتًا وذلك في يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب سنة ست وخمسين ومائتين ودفن بدار محمد بن خاقان بسر من رأى

الى جانب المعتز وكانت خلافته احد عشر شهراً وتسعة عشر يوماً وعمره سبع وثلثون سنة واربعة اشهر وعشرة ايام ولا عقب له في الخلافة وهو اول خليفة تولى الخلافة بعد ابيه باربعة خلفاء وهو الخامس لان اباه الواثق وولي بعده اخوه جعفر المتوكل ثم ابنه المنتصر ثم اخوه المستعين ثم اخوه المعتز بالله وهو الخامس

ذكر اولاده

ومنهم عبد الصمد وكان فاضلاً وقد حكى ابو بكر الصولي ان المهتدي خلف سبعة عشر ولداً ذكوراً وست بنات وكان اكبر اولاده عبد الله وكان الناس يركنون اليه ويقصدونه لدينه وعلمه

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له جعفر بن محمود الاسكافي ثم جعفر بن احمد بن عمار ثم سليمان بن وهب وقاضيه ابن ابي الشوارب وحاجبه وصيف ثم محمد بن عتاب

ذكر خلافة

المعتمد على الله

وهو ابو العباس احمد بن جعفر المتوكل على الله مولده سنة تسع وعشرين ومائتين امه ام ولد يقال لها فتيان (وقيل قينان) رومية بويع بالخلافة يوم الثلثاء سادس شهر رجب سنة ست وخمسين ومائتين يوم خلع ابن عمه المهتدي بالله . وبين المعتمد هذا وبين ابيه اربعة خلفاء وهو الخامس وهم اخوه محمد المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي وهو الخامس وكان اسمر رشيقاً خفيف اللحية نقش خاتمه . اعتمادي على الله وهو حسبي . قدم بغداد لحرب يعقوب بن الليث الصفار في سنة اثنتين وستين ومائتين والتقى الجيشان عند دير العاقول فانهزم يعقوب . وخطب المعتمد لاخيه الموفق ابي احمد طلحة بولاية العهد بعده وانتدبه لمحاربة صاحب الزنج بالبصرة وفي سنين على ذلك مصابراً له حتى ظفر به وقتله ولقبه اخوه المعتمد الناصر لدين الله وكان حكمه اتم من حكم اخيه ولم ينل الخلافة وكان المعتمد حليماً لطيفاً من الرأفة والرحمة على غاية ومن كلامه . من عرف بالحلم كثرت الجرأة عليه . ومن قعد به نسبه نهض به حسبه . ومن شعره قوله

شبهت حمرة وجهه في ثوبه　　كشقائق النعمان في الكمام

وقوله

طال والله عذابي واهتمامي واكتئابي
بغزال من بني الاصفر لا يعرف ما بي .
انا مغرى بهواه وهو مغرى باجتنابي

ذكر وفاته

توفي يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فجاة ببغداد وحمل الى سامرا ودفن بها ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وستة ايام وعمره خمسون سنة

ذكر اولاده

جعفر وكان ابوه عقد له بولاية العهد بعده وسماه المفوض الى الله ثم خلع ثم قتله المعتضد وابو احمد وكان ولي عهد ابيه ايضاً بعد اخيه جعفر ومات في حياة ابيه وابو عبد الله محمد وقد روى الحديث وكان فاضلاً عاقلاً . واسحق ومات في خلافة المعتمد ابيه ايضاً وعبد العزيز وكان مترشحا للخلافة

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له عبد الله بن يحيى بن خاقان وتوفي فوزر له محمد بن الجراح وعزل فوزر له سليمان ابن وهب وعزل فوزر له الحسن بن مخلد وعزل فوزر له اسمعيل بن خليل ثم احمد بن صالح بن سرداير ثم صاعد بن مخلد وكان نصرانيا فاسلم ثم عزله فوزر له ابو اسحق ابرهيم بن المدبر وكان كثير العزل والتولي في الوزراء خاصة ولم يعزل احدا من القضاة . وحجابه يوسف بن بغا ثم ابن بكير

ذكر خلافة

المعتضد بالله

وهو ابو العباس احمد بن الامير اي ابي احمد طلحة الموفق بن جعفر المتوكل ولد بسر من رأى في ذي القعدة سنة اثنتين واربعين ومائتين امه ام ولد اسمها خفير (وقيل ضرار) لم تدرك خلافته بويع بالخلافة يوم الاثنين ثاني عشر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وكان اسمر نحيف

الجسم قد وخطهُ الشيب في مقدَّم لحيتهِ وفي مقدم رأسهِ شامة بيضاء اقنى الانف يعلوهُ هيبة . نقش خاتمهِ احمد يؤمن بالله الواحد . كان ذا رأي وحزم وشجاعة وعدل في الرعية حتى انهُ تقدم الى كافة اصحابهِ وخواصهِ ان يلزموا الطريقة المثلى وامرهم باخذ اصحابهم بمثل ذلك وقرَّر انهُ من تعدَّى الواجب وافسد وتناول احدًا من الرعية باذى كان هو المواخذ بذلك المقابل عليهِ دون الجاني وشاع ذلك في الاجناد وانكفوا وسلكوا احسن مسلك وحجَّ وغزا وفضائلهُ كثيرة وآثارهُ عظيمة وهو اول من سكن دار الخلافة ببغداد وانتقل من سامرَّا وكانت دار الخلافة قصر الحسن بن سهل . ثم انتقلت الى ابنتهِ بوران زوجة المأمون فاستنزلها المعتضد عنهُ فرمَّمتهُ وفرشتهُ باجلِّ الفرش وملأت خزائنهُ بما يخدم بهِ الخلفاء وربَّت فيهِ الجواري والخدم وما تدعو الحاجة اليهِ ثم انتقلت عنهُ وراسلتهُ بالانتقال فانتقل ووجد فيهِ ما استحسنهُ واستكثرهُ ثم انهُ اضاف الى القصر ما جاورهُ ليوسع الدار بذلك وعمل عليهِ سورًا وكان المعتضد يسمى السفاح الثاني لانهُ جدد ملك بني العباس وقد ذكر ذلك ابن الرومي في قصيدة يمدحهُ بها يقول

بياض في النسخة

(تعليق من مصحح الكتاب) في سنة تسع وسبعين ومائتين مات ابو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي السلمي وكان اماماً حافظاً لهُ تصانيف منها الجامع الكبير في الحديث وكان ضريرًا وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين مات البحتري ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي شاعر وقته ولهُ بضع وسبعون سنة وكان مولدهُ سنة ست ومائتين

وفي سنة ست وثمانين كان ظهور القرامطة بالبحرين وكان ابتداء ظهورهم في خلافة المعتمد على الله

وجرى للمعتضد حروب وخطوب مع خمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر الى ان كانت سنة اثنتين وثمانين ومائتين فيها اصطلح المعتضد وخمارويه فتزوج المعتضد بابنتهِ قطر الندى على صداق اربعين الف دينار فبعثها ابوها وجهزها بالف الف دينار ففي ذلك يقول علي بن العباس الرومي

ياسيد العرب الذي زفت لهُ	باليمن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعودها بك انها	ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بملأي ناظريها بهجة	وضميرها نبلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى	فتكشفت بهما عن الدنيا ظلم

ذكر وفاته

توفي ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الاخر سنة تسع وثمانين ومائتين في قصره المعروف بالحسنين بمدينة السلام ودفن ليلاً في دار محمد بن طاهر في الجانب الغربي من الدار المعروفة بدار الرخام ولما حضرته الوفاة انشد

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى ... وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرنقا
ولا تأمن الدهر اني قد امنته ... فلم يبق لي حالاً ولم يرع لي حقا
قتلتُ صناديد الرجال ولم ادع ... عدوًّا ولم امهل على طنه خلقا
واخليتُ دار الملك من كل نازع ... فشردتهم غربًا ومزّقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزًّا ورفعةً ... وصارت رقاب الخلق اجمع لي رقّا
رماني الردا سهمًا فاخمد جمرتي ... فها انا ذا في حفرتي عاجلاً القى
ولم يغنِ عني ما جمعتُ ولم اجد ... لذي ملك منها ولا راغب رفقا
فياليت شعري بعد موتي ما القى ... الى نعم الرحمن ام ناره القى

ومدة خلافته تسع سنين وتسعة اشهر وثلاثة عشر يومًا

ذكر اولاده

وهم علي وهو المكتفي وجعفر وهو المقتدر وهارون ومن البنات احدى عشرة وقيل سبع عشرة

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزّر له عبيد الله بن سليمان ولما مات استوزر ابنه القاسم وقضاته محمد بن ابي الشوارب وابو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز واحمد بن محمد بن الفرات وعلي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح واسمعيل بن اسحق وحاجبه بدر مولاه

ذكر خلافة

المكتفي بالله

هو ابو محمد علي بن المعتضد ولد في سنة اربع وستين ومائتين امه ام ولد تركية اسمها جيجك بويع بالخلافة بعد موت ابيه المعتضد في ربيع الاخر سنة تسع وثمانين ومائتين واخذ له ابوه البيعة في

مرض موته وكان معتدل القامة جميل الصورة رقيق البشرة اسود الشعر حسن اللحية وكان بالرقة يوم وفاة ابيه فكتب اليه الوزير القاسم بن عبيد الله بخبره فسار الى بغداد ودخلها لثمان خلون من جمادي الاولى من هذه السنة فلما سار الى منزله امر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لاهل الجرائم

(عودٌ الى الاصل)

وفي ايامه ظهرت القرامطة ومنعوا الحاج وقلعوا الحجر الاسود من الكعبة فبذل الاموال العظيمة في محاربتهم حتى اباده وفتح انطاكية وكان الروم قد استولوا عليها وقتل منهم الفًا واستأسر الفًا واستنقذ من المسلمين اربعة الاف اسير واصاب كل واحدٍ ممن اصابت الحرب ثلاثة الاف دينار وظفر بستين مركبًا كان الروم اتخذوها للغزو . وكان يقول ارى الدنيا لا تفي بهمتي ولا اموالها بقدر ما أثر من الانعام على اهلها . وكان يُضرَبُ بهِ المثل في الجمال وتطنبُ فيهِ الاشعار ومما قيل فيهِ

قايستُ بين جمالهِ وفعالهِ فاذا الملاحة بالقباحة لاتفي

والله لا كلمتهُ لو انهُ كالبدر اوكالشمس اوكالمكتفي

ومليح الشعر له في ذلك قوله في الغزل

مَن لي بأن يعرفَ ما ألقى فيعرف الصبوة والعشقا

ما زال لي عبدًا وحبي له صيرني عبدًا له رقا

يعتق من رقي ولكنني من حبهِ لا املك العتقا

ومن اثاره الحسنة التاج المشرف على دجلة بدار الخلافة وما وراءهُ من القباب والمجالس

ذكر وفاتهِ

توفي عشية السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ودفن بدار محمد بن طاهر بالحريم بالقرب من قبة (بياض) ومدة خلافته ست سنين وستة اشهر وعشرين يومًا

ذكر اولادهِ

وهم ابو الفضل وكان عالمًا عارفًا فاضلاً (بياض) القاضي التنوخي في نشوات المحاضرة وعبد الصمد وقتل في ايام الراضي وعبد الصمد ايضًا والعباس والفضل وعيسى وظهر بارمينية وتلقب بالمستنجد بالله وانضم اليهِ جماعة من الديلم وتغلب على بلاد من اذربيجان وقبض عليهِ وقتل .

وموسى وهرون وبشر وابو احمد قتل في ايام ابن اخيه القاهر ومحمد وكان عاقلاً أحضر بعد قتل المقتدر الى دار الخلافة ليبايع فامتنع وقال عمي احق بذلك فبويع عمه القاهر بالله والحسين والعباس وامة الواحد ومحمد وام العباس وام سلمة وسارة وام الفضل وام الفتح ومريم وعبد العزيز

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له ابو الحسين القاسم بن عبيد الله الى ان توفي فوزر له العباس بن الحسن الى اخر ايامه. قاضيه يوسف بن يعقوب وحاجبه خفيف السمرقندي

ذكر خلافة

المقتدر بالله

وهو ابو الفضل جعفر بن احمد المعتضد بالله مولده في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين امه ام ولد يقال لها شغب ادركت خلافته بويع بالخلافة يوم مات اخوه المكتفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة من قبله اصغر سنًا منه . وعمل الصولي كتابًا في جواز ولايته واستدل بان الله تعالى بعث يحيى بن زكرياء (عم) ولم يكن بالغًا وذكر من استعمله رسول الله صلعم ولم يكن بالغًا. وخلع مرتين وأعيد . وفي احدى المرتين بويع عبد الله بن المعتز ثم بطل ذلك وفي المرة الثانية اجتمع القواد والجند والاكابر والاعيان والاصاغر مع يونس ونازوك وتشاوروا على خلع المقتدر فالزموه بان كتب رقعة بخطه بخلع نفسه ففعل واشهد عليه بذلك ومضى ابن حمدان الى دار ابن طاهر فاحضر اخاه محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر بالله بعد ان بايعوه وذلك في منتصف المحرم من سنة تسع عشرة وثلثمائة . ثم بعد يومين تغير الجند واختلفوا وقتلوا نازوك واقاموا القاهر من مجلس الخلافة وأعيد المقتدر وجددت له البيعة وذلك بعد يومين وكان حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر نقش خاتمه . العظمة لله . نقل عنه في التجمل والمساكن والالات والمنازل والسلاح والرباط للخيل واتخاذ الزينة في سائر احواله ومواخذة اتباعه وعبيده وخواصه واجناده باثار نعمه عليهم ما لا حد له ولا غاية

ذكر قتله

قتل يوم الاربعاء سابع عشر شوال سنة عشرين وثلثمائة بالشماسية وقد خرج لقتال مونس

وهو على فرسهِ ودفن هناك واخفي قبرهُ وكانت خلافتهُ منذ بويع الى ان قتل اربعاً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً وكان عمرهُ ثمانيا وثلثين سنة

ذكر اولاده

وهم محمد المرتضي بالله وابرهيم المتقي بالله والفضل المطيع لله والعباس واحمد وابو الحسن علي وولاّهُ والدهُ قزوين وريحان واسهر وموسى وابو عبدالله هرون وولاّهُ والدهُ فارس وكان كاملاً في عقلهِ وادبهِ وابو علي عبد الواحد وابو موسى وابو احمد العباس وابو محمد اسحق واسمعيل وابو اسمعيل وابو عيسى

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجّابهِ

لم يستوزر احداً قبلهُ مثلهُ فاول من وزّر لهُ العباس بن الحسن وزير اخيهِ المكتفي وقتل فوزّر لهُ علي بن محمد بن الفرات وعزلهُ واستوزر علي بن محمد بن خاقان ثم علي بن عيسى بن داود بن الجراح وعزلهُ واعاد ابن الفرات ثم عزلهُ واستوزر عبد الله بن محمد بن عبد الله الخاقاني وعزلهُ واستوزر احمد بن عبد الله بن الخصيب وعزلهُ واعاد علي بن عيسى واستوزر ابا علي محمد بن مقلة وعزلهُ واستوزر سليمان بن الحسن وعزلهُ واستوزر عبد الله بن محمد الكلوذاني واستعفى فاعفاهُ واستوزر الفضل بن جعفر بن الفرات فكان علي وزارتهِ الى ان قتل المقتدر . وقضاتهُ يوسف بن يعقوب بن دويم البصري المالكي وابنهُ ابو عمرو محمد . وحجابهُ سوس ثم نصر القشري ثم ياقوت ثم محمد بن رائق ثم ابرهيم بن رائق

ذكر خلافة

القاهر بالله

وهو ابو منصور محمد بن المعتضد مولدهُ في خامس جمادى الاولى من سنة سبع وثمانين ومائتين امهُ ام ولد اسمها قبول بويع بالخلافة يوم قتل اخوهُ المقتدر بالله وكان ربعةً من الرجال اسمر معتدل الخلق اصهب الشعر طويل الانف في مقدم لحيتهِ طولٌ نقش خاتمهِ . القاهر بالله. وكان ذا سطوةٍ وبأسٍ ولما زادت سطوتهُ وقتل اولياء الدولة خاف منهُ وزيرهُ ابو علي بن مقلة ودبر على خلعهِ وكان قد حلَّ ما قد وقتهُ السيدة شغب ام المقتدر علي الحرمين والثغور وكان

سفاكاً للدماء واجتمع ارباب الدولة والقواد على خلعهِ فخلع وسملت عيناهُ وذلك في يوم السبت سادس جمادى الاولى من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وارتكب امرٌ عظيم لم يسمع بمثلهِ في الاسلام. وكانت خلافتهُ سنة وستة اشهر وسبعة ايام

ذكر وفاتهِ

لم يزل بعد خلعهِ في حال نقص الى ان توفي ليلة الجمعة ثالث جمادى الاولى من سنة تسع وثلاثين وثلثمائة في منزلهِ بدار ابن طاهر بالحريم ودفن الى جانب ابيهِ المعتضد وعمرهُ اثنان وخمسون سنة

ذكر اولادهِ

وهم عبد الصمد وابو القاسم وكان القاهر قد رشح ولدهُ عبد الصمد بالخلافة ونقش اسمهُ على الدينار والدرهم. ولما ولي الراضي الخلافة قطع لسانهُ. فعاد نبت وتكلم فخاف وهرب الى مصر فقبلهُ كافور الاخشيدي واكرمهُ واقام عندهُ الى ان مات كافور فتوجه الى الشام وكان قد لحق بهِ اخوهُ ابو الفضل محمد فلما عرف المطيع لله خبرهما كاتبهما بالعفو عنهما وانفذ اليهما الامان فوردا بغداد واقاما في حال صيانةٍ وحراسةٍ الى ان ماتا. وعبد العزيز وكان خيرًا عاقلاً

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وزّر لهُ ابو علي بن مقلة ثم الكلوذاني ثم ابن الفرات ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله وتوفي فاستوزر احمد بن الخصيب الى ان خلع ولم يعزل احدًا من قضاة اخيهِ المقتدر وحجابهُ علي بن بليق ثم قتلهُ واستحجب سلامة الطولوني

ذكر شيء من احوالهِ وما جرى لهُ في ايام خلافتهِ

حيث بويع لهُ بالخلافة على ما تقدم ذكرهُ اشار مؤنس ان يستوزر علي بن عيسى ووصف لهُ سلامتهُ واستقامتهُ وحسن مذهبهِ ودينهِ فقال الاحوال الحاضرة لا تقتضي وزارة علي بن عيسى والوقت يحتاج الى اسمح منهُ واوسع اخلاقاً واشدّ جراءة واقدامًا واشار بابي علي بن مقلة وكان يومئذٍ بفارس فامضى مؤنس ذلك وقلدهُ اياها واستخلف لهُ ابا القاسم الكلوذاني وكتب الى ابن مقلة يامرهُ بسرعة الوصول وانحدر القاهر بالله الى دار الخلافة وانحدر الجماعة ومؤنس الى منازلهم وقدم علي بن عيسى فلقي القاهر بالله ومؤنس والجماعة وعاد الى بيتهِ وشرع القاهر بالله في مخاطبة والدة المقتدر بالله وطلب الاموال منها وكانت مريضة فلما سمعت بحديث ولدها امتنعت من المأكول والمشروب فرفق بها النساء حتى تناولت اليسير من الزاد ثم دعاها القاهر بالله الى بين يديهِ وجعل يخاطبها

مرةً بالرفق ومرةً بالتهديد ومرةً بالعذاب فحلفت له انه لم يبقَ لها مالٌ ولا جمالٌ بل لها صناديق فيها ثياب وفرش وطيب في دار تقارب دار الخلافة ووقفته على ذلك وقالت لو كان عندي مال لما سلمت ولدي الى القتل فاخذ تلك الصناديق ثم ضربها بيده وعلقها بفرد رجلها وتارةً بفرد يديها . ولم يدع لها حرمة ابيه ولا حرمة احسانها اليه في ايام اعتقاله وما كانت تحمله اليه من المأكول والمشروب والكسوة والطيب والجواري فلما بالغ في مكروهها ولم يحلِّ لها ما اظهرته له اولاً امسك عنها . فلما كان مستهل ذي القعدة حضر الكلوذاني والحاجب وابنه وطالبوا القاهر بالله بمال البيعة ليفرّق على الاجناد فقال لهم لستُ من ارباب الاموال ولم يصلني ارتفاع ولا درهم واحد وام المقتدر بين ايديكم خذوها ثم ادخلهم الدار التي فيها الصناديق ففتحوها فاذا فيها ثياب وشي وديباج ومصاغ من الفضة كثير ونوافج مسك وتماثيل عنبر وكافور مرصعة وعود هندي وصندل وفرش ملكي وابو قلمون وستور ديباج وخزٌ مرقوم بذهب فقوموا الثياب وغيرها فكان قيمة ذلك ثمانين الف دينار وكانت قيمة الطيب وما يجري مجراه ثلثمائة الف درهم فحُمل الاكثر الى مؤنس ليبيعه ويصرفه الى الجند وتركوا البعض يستعمله القاهر بالله وصودر جميع حاشية المقتدر بالله واصحابه . ثم احضر والدة المقتدر بالله لتشهد عليها انها قد حلت وقوفها ووكلت في بيعها فامتنعت وقالت وقفتها على ابواب البرّ والتقرّب الى الله تعالى بمكة والمدينة ولتعود على الضعفاء والمساكين فلا استحلُّ حلها ولا بيعها واما املاكي فقد وكلتُ علي بن العباس النوبختي في بيعها كما قد رُسم فغضب القاهر وقال من هي واي امرٍ لها حتى توقف واشهدهم على نفسه انه قد حلّ وقفها جميعه ووكل في بيع ذلك علي بن العباس النوبختي وفي بيع ما سوى ذلك من الضياع الخاص والعباسية والمستحدثة والمرتجعة وما يجري مجرى ذلك ثم وكل في بيع المسقف والمستغلات ثم قدم ابو علي بن مقلة من شيراز يوم عيد النحر وقبل وصوله كتب فسأل القاهر بالله ان يجلس له ليلاً لان الطالع كان الجدي وفيه احد السعدين والاخر في وسط السماء فالتقاه ليلا فاكرمه وخرج من عنده مسرورًا وقد اعدّ له دار هرون بن المقتدر بالله وقد فرشت باحسن الفرش فدخلها ووقّع ساعة دخوله في باب البرّ بالف دينار وقيل بل كانت هذه عادتهم من قبل وصار اليه علي بن عيسى فلم يقم له حين دخل ولا حين خرج فاستقبح الناس له ذلك ثم صار اليه ابن قرابة وصار يجري على عادته في الفساد والتخليط

وفي هذه السنة استوحش ابو علي بن مقلة ومؤنس والحاجب من القاهر وتظافروا عليه . وسبب ذلك ان محمد بن ياقوت اختصّ بالقاهر بالله فغلظ على الجماعة . وفي هذه السنة احتال الوزير بن مقلة ومؤنس بليق وولدهُ على هلاك القاهر بالله فانعكست الحال عليهم وهلكوا سوى

ابن مقلة الوزير واذا اردنا الاستقصاء فيما جرى من الاحوال كلها نقضًا وابرامًا طال هذا المختصر في الخطاب واتسع حجم الكتاب فاختصرنا على اليسير مع تحري الصواب

ذكر مختصر ما كان من خلع القاهر بالله

قد ذكرنا ما كان من حال ابن مقلة وتطلب القاهر له وكان ابن مقلة في استتاره يراسل الحجرية والساجية ويغريهم بالقاهر بالله ويظهر اليهم ليلاً بزي النساك تارةً وتارةً بغير ذلك حتى جال كلامهُ في قلوبهم وجعلهُ ابغض الناس اليهم وجمع نياتهم على الفتك بهِ وعرفهم انهُ قد حفر المطامير وانهُ من ظفر بهِ منهم القاهُ في مطمورة مثلما فعل باسمعيل وابي السرايا وكان سيما رئيس الساجية سوَّة على القاهر فانقلبوا عليهِ فانهزم منهم فضربوا خادمًا صغيرًا لهُ فدلهم عليهِ وهو في سطح حمام فتحيلوا على نزولهِ واجلسوا الراضي وسلموا عليهِ بالخلافة واجلسوهُ على سرير القاهر واخرجوا القاهر فخلع نفسهُ وسلم عليهِ بالخلافة

ذكر لمع من اخبار بني بويه

من اول مبدئهم وما آل الامر اليهِ منهم مختصرًا صحيحًا ان شاء الله تعالى نذكر الاتفاقات التي اتفقت لركن الدولة حتى لقب بهذا اللقب

اختلف الناس في هذا الرجل فقال بعضهم ان والدهُ كان يزعم انهُ من ولد يزدجرد بن شهريار وكان يسمى ابو شجاع بويه وماتت زوجتهُ وخلفت لهُ ثلاثة بنين ابو الحسن علي وابو علي الحسن وابو الحسن احمد فلازم الحزن عليها فلامهُ شهريار بن رستم وسلاَّهُ واخرجهُ الى صيد السمك في بحيرة الديلم فاصطاد واوقر بهيمين سمك واخذهُ شهريار الى بيتهِ واولادهِ معهُ وتشاغل النساء باصلاح السمك . فاجتاز رجل على الباب يذكر انهُ منجم معزِّم يفسر المنامات ويكتب الرقاع والطلسمات فقال ابو شجاع بويه لشهريار استدعهِ فانني قد رأيت منامًا ليفسرهُ فاستدعاهُ فدخل فاذا هو رجل كهل عاقل وعليهِ الوقار فقال لهُ ابو شجاع بويه اعلم انني رأيت في المنام كانني ابول فخرج من ذكري نارٌ عظيمة واستطالت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الثلاثة عدة شعب فاضاءت الدنيا بتلك النيران . فقال لهُ المنجم هذا منام عظيم لا افسرهُ الاَّ بخلعة وفرس ومركب فقال لهُ ابو شجاع والله ما املك من الثياب الاَّ هذه التي على جسدي وليست برفيعة كما تطلب وان اعطيتك اياها بقيت عريانًا وما املك فرسًا ولا مركبًا فقال لهُ المفسر فعشرة دنانير فقال ابو شجاع والله ما املك دينارين . فقال شهريار للمنجم ما يملك هذا الرجل شيئًا سوى هذا السمك

فان اردت ان تاخذ منه سمكتين وتفسر هذا المنام فخذ والاّ فاخرج عنا ولا تصدعنا فقام المنجم فاختار سمكتين ووضعهما الى جانبه ثم قال لابي شجاع بويه اعلم انه يكون لك ثلاثة اولاد يملكون الارض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الافاق كما رأيت من روّيا تلك النار ويولد للثلاثة اولاد جماعة من الملوك ويملكون الارض كما رأيت من الشعب للنيران فقال له ابو شجاع ويحك اما تستحي ما اخذت سمكنا وتسخر بنا انا رجل فقير مسكين واولادي هاولاء الذين تراهم فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكًا فقال اخبرني بوقت ميلادهم فاخبرهُ فجعل يحسب ويرفع الاصطرلاب وينظر ثم قبض على يد ابي الحسن علي بن شجاع بويه فقبلها ثم قال هذا والله الذي يملك البلاد ثم هذا من بعده وقبض على يد اخيه فازداد ابو شجاع منه غيظًا وغضبًا وقال لاولاده خذوا هذا السمك فاصفعوا به قفا هذا الحكيم فجعل الصبيان يصفعونه بالسمك وهو يستغيث وهم يضحكون منه فقال الحكيم اذكروا هذا الذي قد جرى عليّ منكم اذا قصدتكم وانتم ملوك فضحكوا منه ثم اخرج ابو شجاع عشرة دراهم فناوله اياها وقال له اغسل ثيابك بهذه الدراهم وحلف له انه لايملك غيرها.

ثم عاد ابو شجاع الى منزله لايقدر على شيء في الجملة وملك مرداويج واسفيار بلاد الديلم على ايام المقتدر. ثم تشاغل اصحاب المقتدر بالله بقتله وترتيب القاهر بالله ثم قتل القاهر موّنس وباقي القواد وخلت البلاد وتفاقم امر الديلم. وكان اولاد ابي شجاع بويه في جملة من خرج وكانوا من جملة قواد ماكان بن كالي الديلمي احد القواد الذين مع مرداويج وقد علا امرهم وحبهم اجناد الديلم فلما ملك مرداويج بعد قتل اسفيار على امراء الديلم قصد ماكان ناحية الجبل وملك الرّي وقوي بالمال والرجال ثم ملك آمدَ وطبرستان ونيسابور وخلت له البلاد. ولما تشاغل نصر بن احمد صاحب خراسان بحرب اخوته الخارجين عليه راسل ماكان واستماله. فلما استصلح اخويه وعاد الى خراسان كان بينه وبين ماكان مودّة ومراسلة ان يخلي بينه وبين نيسابور وتلطف له فانفصل عنها واستبقى الحال بينهما على السلامة. ثم تحاسد مرداويج وماكان فتحاربا فاستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك طبرستان ورتب فيها ابا القاسم بن يانجين وكان ابو القاسم اصفهنسلارهُ وصاحب جيشه ومدبرهُ وكان رجلاً جيد الرأي. ثم مضى مرداويج الى جرجان فطرد من كان بها وملكها ثم عاد الى اصفهان مظفرًا وقصد ماكان الديلمي ابا الفضل الثائر صاحب بلاد الديلم مستنجدًا به فاكرمه وسار معه بنفسه الى طبرستان فخرج اليهم ابو القاسم فهزمهم وانفصل الثائر صاحب الديلم وماكان على وجوههما فاستنجد ماكان بعد ذلك ابا علي احمد بن محمد صاحب خراسان ودخل الطاعة وسار اليه ابو علي بن محتاج وواقعوا ابا القاسم فظهر عليهم. وقصد ماكان الديلمي ابا الفضل الثائر صاحب بلاد الديلم وقد تقدم ذكر ذلك وكان ابو علي الحسن وابو الحسن علي عند ماكان بمنزلة عظيمة فلما رأيا ما تمّ

عليه قالا له نحن قد صرنا ثقلاً عليك وانت مضيق فنحن نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا واذا انصلح امرك فاكتب الينا لنعود اليك الى الخدمة فاذن لهما فانحازا الى مرداويج وافقهما جماعة من قواد ما كان فقبلها مرداويج احسن قبول وخلع على ابني بويه وقلد كل واحد من القواد ناحية جليلة وقلد علي ابن بويه الكرج . واما الليث بن مهدي فقلده نهاوند . واما سليمان بن سركله فقلده همذان وكذلك سائر القواد الذين جاؤا من عسكر ما كان . وكان علي بن بويه اوسع القواد صدراً واكثرهم تجاوزاً عن زلة وكان فيه من الشجاعة التامة ما ليس في غيره واتفق له عدة اتفاقات محمودة ومولد سعيد . فلما قلد الكرج سار فلما وصل الري وجد بها وشمكير اخا مرداويج ومعه الحسين بن محمد الملقب بالعميد والد ابي الفضل بن العميد الذي وزر لركن الدولة بن بويه وكان مع علي بن بويه بغلة شهباء في غاية الحسن والهملجة فاخرجها ليبيعها فانفذ له العميد ثمنها ثلثمائة الف درهم بوجب ما دفع فيها غيره فاخذ علي بن بويه من ثمنها عشرة دنانير واعاد الباقي عليه ومعه الطاف من الهدايا والتحف وغمره بالاحسان والسير . ثم وردت في الحال كتب مرداويج وقد ندم على اخراج البلاد على قواده يقول لاخيه وشمكير لا تخرج عن الري وغيرها من البلاد ولا تسلمها الى القواد وان كنت فعلت فرد رسلك من الطرق . فلما وقف العميد على ذلك وكان علي بن بويه قد بدأه بالاحسان انفذ اليه باطناً وقال له تسير في الحال وتطوي المنازل الى ان تصل الى عملك فسار من ساعته ثم عرضت الكتب على وشمكير بعد يوم اخر فمنع سائر القواد من اقتطاعاتهم وفاز علي بن بويه بالاقطاع وحصل فيه فاراد وشمكير انفاذ من يسترد توقيعات علي ابن بويه فقال العميد ما هذا صواب وربما صارت فتنة وخرج على ملكنا وكانت تلك الولايات سبب ملكه. ثم ان علي بن بويه بدأ بالاحسان الى الناس وملاطفة عامل البلد فكتب العامل الى مرداويج يشكره ويصف ضبطه البلد وسياسته وافتتح قلاعاً كانت في ايدي الخرمية وظفر فيها بذخائر جليلة فاستمال بها قلوب الرجال ووصلهم فشاع له اسم عظيم وقصده الناس وانعطفت عليه القلوب ثم وقع على الكرج بعده باطلاقات لجماعة من القواد فلما وصلوا احسن اليهم واعطاهم وافضل عليهم حتى اوجبت الجماعة على انفسهم طاعته فلما عرف مرداويج بذلك استوحش منه فكتب يستدعيه مع جماعة من النواب فدافعه علي بن بويه وتشاغل باخذ العهود على القواد وخوفهم سطوته وغدره وتكبره فخرج بهم علي بن بويه من الكرج فاستأمن اليه جماعة من الديلم والرجالة الشجعان المعروفون بالشجاعة والنجدة ثم سار الى اصفهان وبها ابو الفتح المظفر بن ياقوت في عشرة الاف فارس فكتب علي بن بويه اليه والى عامله كتباً جميلة يسأله والعامل ان يفتحا له ليدخل في طاعة سلطانها ويستأذن له الخليفة ليمضي باصحابه الى الحضرة فدافعاه عن

ذالك فاقام مقابل البلد

فاتفق في ذلك اليوم موت عامل الخراج وهو ابو علي بن رستم . فبرز علي بن بويه من اصفهان على ثلثة فراسخ وكان من جملة عسكر ياقوت ستمائة رجل من الديلم وقد سمعوا بسماح علي بن بويه فعادوا واتضموا الى ابن بويه فضعف قلب ابن ياقوت بذلك فواقعه علي بن بويه فانهزم محمد بن ياقوت ومضى نحو فارس وملك علي بن بويه اصفهان وقوي شانه وكبر في اعين الناس لانه هزم بثلثمائة نفر من اصحابه عشرة الآف رجل وبلغ خبره القاهر بالله فاستعظمه . فقلق مرداويج وخافه على ما في يده فاحتال مرداويج على علي بن بويه ليحصله فراسله وعاتبه ورفق به واستدعى مودته وضمن له انه لا يكلفه سوى الدخول تحت طاعته وانه يقوي يده بالعساكر ويمده بالاموال ليفتح البلاد وكل بلد يفتحه تكون الخطبة فيه لمرداويج والارتفاع لعلي بن بويه وانفذ في اثر هذه الرسالة أخاه وشمكير في جيش كثيف ليقبض على علي بن بويه فخرج عن اصفهان وتوجه الى ارجان وبها ابو بكر بن ياقوت فانهزم ابو بكر من بين يديه من غير حرب وملك علي بن بويه ارجان فاستخرج منها اموالاً فقوي بها وورد عليه كتب ابي طالب زيد بن علي النوبندجاني يشير عليه بالمسير الى شيراز ويهون عليه امر ياقوت واصحابه ويصف له تهوّر ياقوت وتشاغله بجباية الاموال وباختلاف حال القاهر بالله ونفور قوّاده منه واهل شيراز اكبر الاعوان على ياقوت فامتنع من ذلك فعاد ابو طالب فكاتبه وشجعه وعرّفه ان مرداويج قد كاتب ياقوتاً في الصلح وانه ان تم صلحهما خاف عليه منهما واطمعه وكرّر الرسالة اليه الى ان سار علي بن بويه حتى وصل النوبندجان وقد سبقته اليها مقدمة ياقوت في الفي فارس وفيهم وجوه اصحابه فباول وهلة انهزمت مقدّمة ياقوت وملكوا اهل البلد عليهم علي بن بويه هذا وابو طالب يكاتب علي بن بويه ويشير عليه بالاقدام واقام ابو طالب اصحابه ليقوموا بكلما يحتاج اليه علي بن بويه واصحابه فبقي علي بن بويه وعسكره في ضيافة ابي طالب اربعين يوماً ثم مدّ علي بن بويه يده في اعمال الاهواز واستخرج مال كازرون واخذ منها ذخائر كثيرة . ثم خاف علي بن بويه من مواطاة ياقوت ومرداويج عليه فسار يطلب البيضاء وياقوت يقفو اثره فانتهى المسير لعلي بن بويه الى قنطرة قد سبق اليها ياقوت فاضطره الى حربه وكانت اول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وفيها انتشبت الحرب بين علي بن بويه وياقوت. هذا والسعادة تخدم علي بن بويه وكل تدبير يدبره ياقوت ينعكس عليه والقاهر من بغداد يدبر على هلاك ياقوت واولاده وهو لا يعلم . ونزل علي بن بويه مع اصحابه وعرّفهم انه يقاتل معهم راجلاً ويصبر معهم ومناهم ووعدهم . واستأمن الى ياقوت رجلان من اصحاب علي بن بويه فحين وقعت عين ياقوت عليهما ضرب اعناقهما فايقن الديلم انه لا امان لهم عنده . قال فقاتلوه قتال مستقتل ثم

قدّم ياقوت امام عسكره الرجالة الكثيرة بالنفط والنيران والنشاب التي في رؤوسها قوارير النفط فانقلبت الريح على عسكر ياقوت واشتدّت وانكبّ عليهم اصحاب ابن بويه وقتلوا اكثر الرجالة وخالطوا الخيالة فانهزم عسكر ياقوت وكانت الدائرة عليهم وزحف الديلم على تعبيرهم حتى وصلوا الى سواد عسكر ياقوت وخزائنه فاعتقد ياقوت انهم يشتغلون بالنهب فيعطف عليهم فصعد على نشزٍ عالٍ ونادى في اصحابه المنهزمين الرجعة الرّجعة فرجع اليه نحو من اربعة الاف فارس فبرز علي بن بويه امام اصحابه وقال لهم اجتمعوا واياكم ونهب هذا السواد فعدوكم على الرصد فاتبعوا المنهزمين وافرغوهم وعودوا الى هذا السوّاد فهو لكم. فلما رآهم ياقوت لم يشتغلوا بالنهب ولّى هاربًا وتبعهٔ اصحابهٔ وسار علي بن بويه باصحابه في طلبهم يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل حتى ملأوا ايديهم ورجعوا الى سواد ياقوت فقسموهُ فوجدوا لياقوت صناديق فيها قيود واغلال وبرانس لبود قد علق عليها اذناب الثعالب فسالوا الاسارى الذين كانوا معهم ما هذه فقالوا هذه كان قد اعدّها وكان في نيته انهٔ يشهر الاسارى ويلبسهم هذه البرانس ويسوّد وجوههم ويقيدهم ويطوف بهم البلاد فاشار جماعةٌ من اصحاب علي بن بويه ان يفعل بالاسارى الذين معهٔ كذلك فقال لا والله انّ هذا بغيٌ ولؤم ظفرٍ. والله تعالى قد لقى ياقوتًا عقوبة البغي وانا احسن الى الاسارى واشكر الله تعالى على هذه النعمة فبالشكر ارجو المزيد. وقد قال تعالى لان شكرتم لازيدنكم. ثم جمع الاساري بين يديه وقال من اراد المقام عندي فلهٔ الاقطاع والمعيشة فقالوا لا والله ما نريد بكَ بدلًا ولا نفارقك ابدًا فاطلقهم وخلع عليهم واعطاهم الدواب والسلاح فتسامع اصحاب ياقوت بذلك فعادوا الى علي بن بويه ودخلوا في طاعته فاحسن اليهم ثم سار من موضع الوقعة فنزل بظاهر شيراز ثم نادى بالامان وبثّ العدل واقام لهم شحنةً عند بيعهم وشرائهم فامنت البلاد والعباد ثم كثر عطاؤهُ وقلّ ماله فطالبتهٔ الاجناد بالارزاق حتى كاد يختلّ امرهُ فدخل بيتًا واستلقى على قفاهُ مفكرًا فرأى حية كبيرة في السقف فدعا بالغلمان فصعدوا على سلّم هناك وخرقوا السقف في طلبها فنفذ الخرق الى غرفة بين سقفين فامر بفتحها فاذا فيها صناديق من المال قدرها خمسمائة الف دينار ففرح بها وفرّقها على العسكر. ثم ابتاع ثيابًا واتى بالخياط ليفصلها وكان الخياط اطرشًا فقال لهٔ علي بن بويه فصّل هذه الثياب فقال الخياط ما عندي اكثر من اثني عشر صندوقًا وكان هذا المال وديعة لياقوت عند هذا الخياط فامرهُ باحضار الصناديق فاحضرها فاخذ منها مالًا كثيرًا واتسع به وقوي امرهُ بذلك وصار على مثل هذا الاتفاقات الصالحة كلما قصد عدوًا كسرهُ وكلما قلّ عليه الرزق فتح الله لهٔ بابًا منهٔ بحيثهٔ بلا تعب فحينئذٍ كتب الى القاهر بالله والتمس الدخول تحت طاعته وبذل مالًا كثيرًا فنفذ اليه القاهر لواءً وخلعًا وشرط ان

لا تسلم اليه الا بعد استيفاء المال الذي بذل فلما صارت اليه اخذها قهرًا ولبسها ودخل الناس عليه للهناء . هذا كله والقاهر مشغول بنفسه ومصادرة اصحابه والحيلة على قتلهم وهم يحتالون على قتله . فوردت مكاتيب في هذه السنة تتضمن ان القرامطة جاؤا في المراكب الى بعض بلاد الخليفة فحرقوها ونهبوا ما فيها فنهض اليهم صاحب لياقوت ومعه الزرّاقين فاوقع بهم واسر منهم ثمانين رجلاً وحملهم الى بغداد مشهورين وعلى راس زعيمهم ابن الغمر قرون جاموس واذناب الثعالب . وفيها قتل القاهر اسحق بن اسمعيل وابا السرايا نصر بن حمدان لما كان في نفسه عليهما قبل الخلافة ومنافسة كل واحد منهما على جارية اراد شراءها حتى امتنع من شراءها . وذكر اصحاب السير

(بياض في النسخة)

ذكر خلافة

الراضي بالله

وهو ابو العباس احمد بن جعفر المقتدر بالله مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين بالدار بالبدرية امه ام ولد رومية اسمها ظلوم ادركت خلافته بويع بالخلافة يوم خلع عمه القاهر وعمره اذ ذاك اربع وعشرون سنة وسبعة اشهر وكان قصيرًا نحيف الجسم اسمر اسود الشعر سبطه في وجهه طول وفي مقدم لحيته تملم ونقش خاتمه . الراضي بالله . وكان جوادًا فاضلاً اديبًا له ديوان شعر فمن شعره

كل صفو الى كدر ... كل امر الى حذر
ومصير الشباب للـ ... ـموت حقا او الكبر
درّدر المشيب من ... واعظ ينذر البشر
ايها الآمل الذي ... تاه في لجة الفكر
اين من كان قبلنا ... درس الشخص والأثر

ذكر وفاته

توفي ليلة السبت سادس عشر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وثلثمائة ودفن بالرصافة في تربة له مفردة وكانت خلافته ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعمره واحد وثلثون سنة

ذكر اولادهِ

وهم ابو محمد وابو جعفر احمد وعبد الله وقد ذكرهُ الصولي وقال ارادوا أن يبايعوهُ بالخلافة ويخلعوا عمهُ ابرهيم فلم يتم ذلك وابو الفضل وعبد الله

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

استوزر ابا علي بن مقلة وعزلهُ واستوزر عبد الرحمن بن عيسى وعزلهُ واستوزر ابن الفرات الى ان توفي واستوزر احمد بن يعقوب البريدي وعزلهُ واستوزر سليمان بن مخلد وقضاتهُ ابو الحسين عمر بن عمر بن محمد بن درهم النصري المالكي ثم ابنهُ يوسف وحجابهُ محمد بن ياقوت ثم ذكا

ذكر خلافة

المتقي لله

وهو ابو اسحق ابرهيم بن جعفر المقتدر مولدهُ في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ولم يلِ الخلافة من بني العباس من اسمهُ ابرهيم سواهُ امهُ ام ولد اسمها خلوب ادركت خلافتهُ كان ابيض مشرَّب حمرة قصير الانف في شعرهِ شقرة حسن اللحية كثها سهل العينين نقش خاتمهِ . ابرهيم بن المقتدر بالله يثق . بويع بالخلافة يوم توفي اخوهُ الراضي وكان فيهِ صلاح وكثرة صيام وكان كثير العدل بين الملوك ولهُ صدقات كثيرة وكان فيهِ دين وعبادة وحفظ عهد ولم ينقض بعهدٍ وغير مكترثٍ بجمع المال ولا حفظهِ سهلاً في اخلاقهِ . قيل انهُ لم يغدر قط ولا وقعت عينهُ على منكر قط ولا عرف صورتهُ ومن وفائهِ وحفظ عهدهِ انهُ كانت لهُ جارية قبل خلافتهِ فلم يتغير عليها ولا ابتاع غيرها واجتمع في زمانهِ اتفاقات كثيرة . منها ان كنيتهُ ابو اسحق ووزيرهُ ابو اسحق القراريطي وقاضيهِ ابو اسحق الخرقي ومحتسبهُ ابو اسحق بن بطحا وصاحب شرطهِ ابو اسحق احمد بن خراسان ودارهُ القديمة دار اسحق بن ابرهيم وكان قد امتنع من قبول الخلافة الاَّ برضى القاهر وقال لهُ يا عم انت تعلم انني مخير فان خلعت نفسك وسلمتها جلست وكان الاسم لي فيها والمشورة اليك فسرَّهُ قولهُ وضمهُ الى صدرهِ وقال لهُ يا ابن اخي ظلمني اخوك الراضي وقد طبت نفساً بقولك ثم خلع نفسهُ وانفذ الى المتقي مائة الف دينار من دفائن كانت عندهُ

ذكر خلعهِ وسببهِ

كان لخيرهِ ولين جانبهِ قد فوّض امر الجند الى بجكم التركي فلما توفي بجكم كتب المتقي يستدعي ابن رائق من دمشق فوصل الى بغداد فخلع عليهِ وطوّقهُ وسوّدهُ وذلك في رابع ذي الحجة من سنة تسع وعشرين وثلثمائة واتفق قحط وغلاء فوصل البريدي الى بغداد وملك اصحاب دار السلطان وهرب المتقي الى الموصل فقتل ابن رائق في رجب سنة ثلثين وثلثمائة ثم قصد المتقي الرقة وانفذ رسلاً في اخذ المواثيق من توزون التركي وهو امير الامراء ببغداد ثم انحدر فخرج توزون لاستقبالهِ وترجل وقبل الارض بين يديهِ ثم غدر بهِ عقيب ذلك وقبض عليهِ وسملهُ بالسندية واحضر المستكفي وبايعهُ في العشرين من صفر من سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة. وكان فيهِ ادب ولهُ شعر فمن ذلك قولهُ بعد سملهِ

العين للمرء سراجٌ لهُ ... تونسهُ من وحشة الدنيا

فمن لهُ عمرٌ بلا ناظرٍ ... فقد بلي من اعظم البلوى

وفي ايامهِ عمر جامع براثا وصليت فيهِ الجمعة في جمادى الاولى من سنة تسع وعشرين وثلثمائة

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي يوم الاثنين رابع عشر شعبان من سنة سبع وخمسين وثلثمائة وكانت مدة خلافتهِ ثلث سنين وعمرهُ ستين سنة وايامًا ودفن في دار اسحق بدار بطح بالجانب الغربي

ذكر ولدهِ

وهو ابو منصور اسحق وقد رشحهُ ابوهُ بالخلافة وتوفي يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة اربع وستين وثلثمائة عن احدى وخمسين سنة

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجّابهِ

اقرّ سليمان بن حسن بن مخلد على وزارتهِ على ما كان في خلافة اخيهِ الراضي ومرض فاستوزر احمد بن محمد بن ميمون ثم عزلهُ واستوزر ابا عبد الله البريدي ثم محمد بن احمد الاسكافي ثم عزلهُ واستوزر محمد بن القاسم الكرخي وعزلهُ واعاد البريدي ثم عزلهُ واستوزر ابا الحسين بن مقلة وقاضيه ابو الحسن الجرمي وحجابهُ سلامة الطولوني ثم بدر الجوشني ثم احمد بن خاقان

ذكر خلافة

المستكفي بالله

وهو ابو القاسم عبد الله بن المكتفي وبينهُ وبين ابيهِ المكتفي اربع خلفاء وهو الخامس وهم اعمامهُ جعفر المقتدر بالله وعلي المكتفي بالله ومحمد القاهر وابنا عمهِ المقتدر وهما محمد الراضي وابرهيم المتقي . مولدهُ في رابع صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالقصر الحسني امهُ ام ولد اسمها غصن لم تدرك خلافتهُ وكان ربعة من الرجال معتدل الجسم حسن الوجه ابيض مشرَّب حمرة اسود الشعر خفيف العارضين اقنى الانف نقش خاتمهِ المستكفي بالله امير المؤمنين . بويع لهُ بالخلافة يوم خلع ابن عمهِ المتقي وهو في صفر سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة وعمرهُ اذ ذاك اربعون سنة ولم يلِ الخلافة بعد المنصور الى زمانهِ اسنُّ منهُ وكان زكيًّا لطيف الحسن لين الكلام تام المروَّة . ومن كلامهِ . من اعتنى بترفيهِ جسمهِ فقد تعرَّض لخمول اسمهِ . وتقوى الله خير عبادة والعدل في الرعية يعمر البلاد . وقولهُ من شغل نفسهُ بتثرية المال فقد تعجل لنفسهِ الوبال قبل المآل . ومن شعرهِ قولهُ

فكم عثرةٍ لي باللسان عثرتها ... ففرَّقَ من بعد اجتماعٍ بها شملي
يصاب الفتى من عثرةٍ بلسانهِ ... وليس يصابُ المرء من عثرة الرجل

ذكر خلعهِ وسببهِ

وذلك في يوم الخميس سادس جمادى الاخرى من سنة تسع وثلثين وثلثمائة ثم انهُ خلع وسملت عيناهُ وحبس وسبب ذلك انهُ لما مات توزون التركي امير الامراء ببغداد اجتمع العسكر والجيوش على محمد بن شيرازاد واستقلَّ بتدبير الامور الى ان ورد بنو بويه ثلثة اخوة ابو الحسن علي وابو الحسين احمد وابو علي الحسن وكان المستكفي عند وصولهم قد لقبهم فلقب عليًّا عماد الدولة والحسن ركن الدولة واحمد معز الدولة . ثم ان قهرمانة المستكفي صنعت دعوة ودعت اليها الديلم فاتهمها معز الدولة انها تريد اجتذابهم في نقض عهدهم فدخل جماعة من الديلم الى المستكفي وهو على سدته فقُبض عليهِ ثم على القهرمانة وقطع لسانها ونهبوا المال وحملَ المستكفي الى دار معزّ الدولة فخلع نفسهُ وبايع المطيع لله ثم سملَ ولم يزل محبوسًا الى ان توفي يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الاخر من سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ودفن بالرصافة وكانت مدة خلافتهِ الى ان خلع سنة

واربعة اشهر وعمرهُ ست واربعون سنة وشهران

ذكر اولاده

كان له ولدان وهما ابو الحسن محمد وقد سمع الحديث ورَواهُ ومات بما وراء النهر وابو الحسن علي

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وزّر له محمد بن علي الشيرازي وعزله ورتب عوضهُ ابن ابي سليمان ثم ابا احمد الفضل ابن عبد الرحمن الشيرازي وقاضيهِ محمد بن ابي الشوارب وحاجبهُ احمد بن خاقان

ذكر خلافة

المطيع لله

وهو ابو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر بالله وبينهُ وبين ابيهِ اربعة خلفاء وهو الخامس وهم عمهُ المستكفي بالله وابوهُ المكتفي وعماهُ المتقي لله والراضي بالله واثنان اخوة وهما ابرهيم المتقي ومحمد الراضي ولد في رابع وعشرين المحرّم من سنة احدى وثلثمائة بالقصر الحسني امهُ ام ولد اسمها شملة ادركت خلافتهُ بويع في ثاني عشر جمادى الاخرى سنة اربع وثلاثين وثلثمائة

ذكر خلعهِ

خلع نفسهُ غير مكروه لمرضٍ عرض له منعهُ الحركة في يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة من سنة ثلث وستين وثلثمائة وكانت خلافتهُ تسع وعشرين سنة واربعة اشهر واياماً وبايع ابنهُ الاكبر وهو ابو بكر عبد الكريم واشهد على نفسه بما هذا صورتهُ .هذا ما اشهد على نفسهِ امير المؤمنين الفضل المطيع لله حين نظر لدينهِ ورعيتهِ وشغل بالعلة الدائمة عما يراعيهِ من الامور الدينية وانقطع عن بعض ما كان يجب عليهِ فرأى اعتزال ما كان اليهِ من الامر وتسليمه الى ناهضٍ بهِ قائم بحقهِ فهو يرى له الرأي عهده ثم اشهد بذلك طوعاً في يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة فكتب فيهِ القاضي محمد بن صالح الهاشمي . شهد عندي بذلك احمد بن حامد وطلحة بن محمد بن جعفر وكتب محمد بن صالح

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي المطيع لله في المحرَّم سنة اربع وستين وثلثمائة ودفن بالرصافة في تربةٍ عملها لنفسهِ عن ثلاث وستين سنة

ذكر اولادهِ

وهم ابو جعفر وابو عبد الله عبد الوهاب وعبد العزيز ومات بخراسان في ايام ابيهِ وابو بكر عبد الكريم الطائع لله

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وزَرَ لهُ الفضل بن احمد الشيرازي نيابةً وابو سعيد وهب بن ابرهيم واستقضى محمد بن عبد الله بن معروف وعزل نفسهُ وابا السائب عتبة بن عبيد وابا الحسن محمد بن صالح الهاشمي واستحجب ابا الحسن بن ابي عمرو

ذكر خلافة

الطائع لله

وهو ابو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع ولم يلِ الخلافة من اسمهُ ابو بكر سواهُ ولا من كنيتهُ ابو بكر وابوهُ حي سواهُ وسوى الصديق ابن ابي قحافة وكان مولدهُ في سنة سبع عشرة وثلثمائة امهُ ام ولدٍ اسمها عتب ادركت خلافتهُ وكان عمرهُ لما تولى الخلافة ثمانيا واربعين سنة ولم يلِ الخلافة قبلهُ اسنُّ منهُ و بويع في ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان مربوعًا اشقر حسن الوجه نقش خاتمهِ . الطائع لله . وكان شديد القوة موصوفًا بالكرَم . قيل انهُ كان بدار الخلافة أيل قد كبر وعتا وصال بقرونهِ ويقتل ما يمرُّ بهِ من الدواب فاجتاز الطائع يومًا ببعض البساتين فرآهُ وقد شقَّ راوية وهرب والبغل الذي كانت عليهِ الراوية وتبعهُ فقال للخدم امسكوهُ فلم يقدم احدٌ منهم عليهِ الَّا انهم اشجعوهُ في مضيق فبادر الطائع وامسك قرنيه بيد بهِ وجعل الأيل يضطرب فلم يخلصها منهُ واستدعى نجارًا كان يعمل في الدواليب وامرهُ فركب المنشار على القرنين فقطعها وتركهُ فهرب الايل ووقعت فرجية الطائع عن كتفهِ فاراد خادمٌ اخذها فنظر اليهِ نظر

منكرٍ فتركها ولم يقدر احدٌ على رفعها فجاء خادمٌ فقال للنجار خذها فاخذها وباعها بمائة وتسعين دينار. وفوّض الطائع امور المملكة الى عضد الدولة وجلس له في صحن دار السلام واخذ مؤنس الفضل حاجب الطائع بعضد عضد الدولة حتى قبل الارض مرارًا الى ان انتهى اليهِ فقبل يديهِ وقدمهُ وامرهُ بالجلوس فامتنع فاقسم عليهِ فجلس على ركبتيهِ وفوّض الامور اليهِ . فقال عضد الدولة اسأل ان يسمع الناس ذلك. فقال الطائع ليحضر ابن موسى يعني ابا احمد الموسوي والزينبي يعني ابا تمام وابن معروف يعني القاضي والمظهر يعني وزير عضد الدولة وعبد العزيز كاتبه فاحضروا وسمعوا لفظ الطائع بتولية عضد الدولة. فلما خرج انفذ الى الطائع هديةً على خمسمائة حمال من جملتها خمسون الف دينار في عشرة اكياس ديباج اسود والف الف درهم في مائتي كيس وخمسمائة ثوب انواعًا وثلاثون صينية مذهبات فيها العنبر والمسك والكافور والعود الهندي والند الى غير ذلك من الثياب والدواب . وكان الطائع صاحب تشيُّع . جمع بين بنت عضد الدولة وبنت عز الدولة بختيار واصدق كل واحدةٍ منها مائة الف ساد وعضد الدولة اول من خوطب في الاسلام بالملك شاهنشاه واول من خاطب له على المنابر مع الخلفاء واول من ضرب الطبل على بابهِ اوقات الصلات الثلاث وفي ايامهِ عمرت بغداد لانها كانت خربت بانفجار البثوق فامرهُ الطائع فتولى بنفسهِ سدّ بثق النهروان فسدّهُ في سنة سبع وستين وثلثمائة . واثّرَ عضد الدولة في ايام الطائع اثار جميلة وعمارات كثيرة وغرس الاشجار واخر الخراج ورُفعت الجباية عن قوافل الحجاج وكثر ادرار الاقوات والرسوم والصلات للفقهاء والفقراء واهل الادب ورغب الناس في الاشتغال بالعلوم لكثرة الهبات والعطاء ولهذا لم يُجمع في زمنٍ من الازمان كما اجتمع في الدولة البويهية من سائر ارباب العلوم . وقد جمع الشيخ تاج الدين علي بن الحسن في ذلك كتابًا وسماهُ الاشارة الموفقية في اخبار علماء الدولة البويهية وكانت في ايامهِ الارتفاعات جمة والاموال وافرة ومن اثارهِ البيمارستان العضدي بالجانب الغربي من بغداد في خراب دار ابن حمدان وكان بجكم (اسم رجل) قبله حاول ذلك فلم يقدر عليهِ وعمل قنطرتي الصراة وسوّر مدينة الرسول صلى الله عليهِ وسلم

ذكر خلع الطائع وسببهِ

خلع في يوم الاحد العشرين من شوال سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة اشهر وخمسة ايام والسبب في ذلك ان ابا الحسن بن العلم كان من خواص بهاء الدولة ابي نصر بن عضد الدولة ومدبر امرهُ فكثّر عندهُ مال الطائع وما في دارهِ من الالات والجوهر فجسّرهُ على القبض عليهِ فحضر دار الخلافة للخدمة على العادة فجلس له في اليوم المذكور فحضر وقبل الارض وقُدّم له كرسي فجلس عليهِ فاشار الى بعض خواصهِ بجذب الطائع وحملهِ الى طيارة

بهاء الدولة وأصعد به الى دار المملكة فاعتقل يوم السبت تاسع عشر الشهر المذكور فلما كان يوم الاحد الثامن عشرين منه خلع نفسه من الخلافة واشهد عليه بذلك الاشراف والقضاة وانفذ الكتاب مع الحسن بن محمد بن نصر الى القادر بالله وكان بالبطيحة عند شهاب الدولة علي بن نصر اميرها نازلاً عليه وكان قد هرب خوفاً من الطائع فخبره بخلع الطائع والتضييق عليه وحثه على الاصعاد الى مدينة السلام ومكث الطائع بعد خلعه مستظهراً عليه بدار الخلافة مشمولاً من القادر بالله بالاحسان الى ان توفي .

ذكر وفاته ومدفنه

كانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ثلث وتسعين وثلثمائة عن ست وسبعين سنة ودفن في تربة بالرصافة

ذكر اولاده

وهو ابو الفتح عبد الوهاب توفي في حياة ابيه

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزرائه علي بن جعفر بن نباتة وعيسى بن علي بن عيسى وعيسى بن مروان وعلي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ولم يعزل احداً من قضاة المطيع وحجابه مؤنس الفضل واحمد بن نصر

ذكر خلافة

القادر بالله

وهو ابو العباس احمد بن الامير اسحق بن جعفر المقتدر مولده في سنة ست وثلاثين وثلثمائة امه ام ولد اسمها يمن مولاة عبد الواحد وكانت من اهل الدين والصلاح ادركت خلافته وكان ابيض حسن الوجه كث اللحية عريضها يخضب لحيته وكان دأبه التهجد بالليل والنهار ومن السر والديانة والبر والصداقات على صفة اشتهرت عنه . نقش خاتمه القادر بالله . وكان السبب في مصيره الى البطيحة ان اخاه لما توفي ابوهما الامير ابو بكر اسحق جرت بينهما وبين اخت لهما منازعة في ضيعة من تركته واتفق انه عرض للطائع مرض اشرف منه على التلف ثم ابل فسعت به الى الطائع وقالت انه شرع في تقلد الخلافة وراسل ارباب الدولة فنظر الطائع ان ذلك حق فتغير رأيه فيه وانفذ يستدعيه . فكاتبه

ابن حاجب النعمان فاحس بالقبض عليهِ وكان بداره بالحريم فقال لابن حاجب النعمان اجلس حتى ادخل البس ثياباً تصلح للقاء الخليفة فتعلق بهِ قمعة الخدم وخلصوهُ من يدهِ وبادر الى سرداب في دارهِ فاختفى نفسهُ وانحدر من مدينة السلام الى البطيحة وذلك في ثاني عشر شهر ربيع الاخر سنة تسع وسبعين وثلثمائة واميرها يومئذٍ مهذّب الدولة ابو الحسن علي بن نصر فنزل عليهِ وعرّفهُ بنفسهِ والسبب في خروجهِ فتلقاهُ بالاكرام وخدمهُ مدة مقامهِ عندهُ . وكان القادر قد رأى مناماً قبل وصول خبر الخلافة اليهِ فيهِ بشارة وهو انهُ رأى في منامهِ كان نهر البطيحة قد اتسع حتى صار في عرض دجلة مراتٍ وكانهُ متعجب من ذلك قال فسرتُ على ذلك متأملاً فرأيت قنطرة فقلت ترى من جادت نفسهُ ببناءٍ هذه على هذا البحر العظيم فبينما انا واقف رأيت شخصاً قد قابلني من ذلك الجانب وناداني يا احمد تريد ان تعبر فقلت نعم فمد يدهُ اليَّ واخذني وعبّرني فهالني فعلهُ وتغالط مني فقلت لهُ من انت فقال علي بن ابي طالب وهذا الامر صائر اليك ويطول عمرك فيهِ فاحسن الى ولدي فلم يتاخر ان سمع صوت الملاحين وجماعة يبشرونهُ بالخلافة ويطلبون اصعادهُ . ولما وصل الى بغداد خرج الى لقائهِ بهاء الدولة ابو نصر بن بويه ووجوه الاولياء واماثل الناس فكان وصولهُ الى دار الخلافة ليلة الاحد ثاني عشر شهر رمضان من سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكانت البيعة قد اخذت لهُ على الناس قبل ذلك وخطب لهُ بدار السلام وجلس يوم وصولهِ جلوساً عاماً ودخل إليهِ الناس وامتدحهُ الشعراء فممن مدحهُ الشريف الرضى الموسوي بقصيدةٍ اولها

شرف الخلافة يابني العباس اليوم جدّدهُ ابو العباسِ

وحمل اليهِ بعض الفرش والالات التي كانت اخذت من دار الطائع . وكان فيهِ فضلٌ ولهُ شعرٌ فمن ذلك قولهُ

عجبت هندُ من طوالع شيبي قلتُ مهلاً فذا نظامُ السُّرورِ
بدّلتني يد الملابس من مسـك عذاري طيباً من الكافورِ
كان بيني وبين عمري كتابٌ غالطتني بذاك ايدي الدهورِ

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة من سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ودفن بدار الخلافة الى ان نقل تابوتهُ الى تربة الرصافة التي عليها شعب ام المقتدر وهو اول خليفة دفن بها وكان عمرهُ ست وثمانين سنة وعشرة اشهر واحد عشر يوماً ومدّة خلافته احدى واربعين سنة وثلثة اشهر ولم يبلغ هذا القدر في الخلافة احد قبلهُ

ذكر اولاده

وهم ابو محمد علي والقاسم وابو الفتح المظفر وفاطمة وابو جعفر عبد الله

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وزر له ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ثم عزلهُ واستوزر ابا العلاء سعيد بن الحسن بن بريك نيابةً ثم عزلهُ واعاد ابن حاجب النعمان الى ان توفي . وقضاتهُ ابن الأكفاني وابن الخزري الابيوردي وحجابهُ ابو القاسم بن مفلح ومحمد بن الحسن ومنصور بن ظافر وابو القاسم بن بكران وابنهُ ابو منصور

ذكر خلافة

القائم بامر الله

وهو ابو جعفر عبد الله بن الامام القادر بن الامير اسحق بن المقتدر مولدهُ يوم الجمعة ثامن عشر ذي القعدة سنة احدى وتسعين وثلثمائة امهُ ام ولد يقال لها قطر الندى ادركت خلافتهُ وكان ابوهُ القادر بالله جعلهُ وليّ عهدهِ وخطب له سنة احدى وعشرين واربعمائة بدار الشجرة من دار الخلافة ومدحهُ الشريف الرضى ورثى اباهُ بقولهِ

فلما مضى جبلٌ وانقضى ... فمنكَ لنا جبلٌ قد رسى
وانا فجعنا ببدر التمام ... فقد نعيت منهُ شمس الضحى
لنا حزنٌ من محلِّ السرورِ ... فكم ضحكٍ في خلال البكا
فياصارمٌ اغمدتهُ يدٌ ... لنا بعدك الصارمُ المنتضى
ولما حضرناك عقد البياعِ ... عرفنا بهديكَ طرقَ الهدى
فقابلتنا بوقار المشيبِ ... كمالاً وسنكَ سنُّ الفتى

وكان القائم بامر الله بديع الجمال بارع الكمال حسن الشمائل رقيق المحاسن طويلاً معتدل الجسم. نقش خاتمهِ العزّة لله وحدهُ . وكان كثير العبادة متهجدًا لاينام الّا قليلاً . ونُقل عنهُ انهُ ما نام على فراش ولا تدثر بدثارٍ مذ ولي الخلافة فعوتب في ذلك فقال سمعت الدُّعاة يقولون الصوّام القوّام فاستحييت من الله ان اوصف بصفةٍ ليست فيَّ . وكان لمحبة ارباب الدين يغير زيهُ ويحضر مجلس ابي الحسن القزويني بالحربية ويكثر غشيانهُ . ولهُ فضائل كثيرة ومناقب جمة قد ذُكرَ

بعضها في كتاب الايناس في مناقب الخلفاء من بني العباس . ومما يدلّ على همته ما نقل عنه من شعره

سقى ليلنا باعالي الحمى   من الغيث وكافة تنسجم
سهرنا على سنّة العاشقين   وقلنا لما كره الله وسم

وكانت له عناية بالأدب ولم يكن يرتضي اكثر ما ينشئ بالديوان حتى يصلح فيه اشياء وفي ايامه قدم ابو طالب محمد بن ميكال السلجوقي المعروف بطغرلبك بغداد استدعاءُ القائم من خراسان وذلك عند ضعف بهاء الدولة ابي نصر بن عضد الدولة عن مصالح الدولة القائمية وهو آخر من كان بقي من ملوك الديلم واول من دخل بغداد من ملوك السلجوقية طغرلبك ولما قدم تلقاهُ الوزير رئيس الرؤساء ابو القاسم بن المسلم من النهروان في شهر رمضان من سنة سبع واربعين واربعمائة ومعهُ عساكر كثيرة واقام بدار المملكة باعلى البلد وقبض على بهاء الدولة وسيرهُ الى الري وجعله في قلعة محبوسًا الى ان توفي . وكان القائم بامر الله قد ولى البا ارسلان القادري المعروف بالبساسيري امير الجيوش وقدمهُ على ابناء جنسه فلما قبض طغرلبك على بهاء الدولة خاف وكان مقيمًا بالبصرة فترك ما كان فيه خائفًا وهرب طالبًا سقي الفراة مصعدًا الى الموصل لاجيًا الى قريش ابن بدران اميرها فعرّفه بعدهُ عن العراق وقدوم طغرلبك واتفقا على المخالفة ومراسلة معدّ المستولي على مصر على اقامة الخطبة له فيها بما يملكانه من البلاد واستدعيا منه عسكرًا لياخذا له بغداد فمدهما بمال استعانا به على الجمع والتجنيد فاجتمع لهما اوباش الناس وزحف البساسيري من الموصل وقد انضاف اليه كل قاطع طريق وراغب في النهب والغارة واطمعه في قصد بغداد كون طغرلبك قد عصى عليه اخوهُ ابرهيم ينال وهو مشغول بمحاربته . فعند ذلك قصدها من ناحية الانبار وملك الجانب الغربي ونزل علي دجلة مقابل باب الطاق وعقد جسرًا وعبر الى الجانب الشرقي ونزل بالزاهر ثم زحف بمن معهُ ودخل البلد فخاصم عامة البلد وضعفوا عنه فاضرم النيران في الاسواق ونهب وانتهى الى دار الخلافة فنهب منها ما قدر عليه وخرج الامام القائم بامر الله في نفر من خدمه فحماهُ قريش بن بدران وعبر في خدمته الى الجانب الغربي وسيرهُ محروسًا الى الحديثة وانزله على عم له يقال له مهارش بن مجلي فقام بخدمته مدة مقامه عندهُ وذلك سنة كاملة . ثم ان طغرلبك فرغ من قتال اخيه . وبلغهُ ما جرى في بغداد فتوجه اليها بعساكره ونفذ الى القائم بامر الله من اعادهُ الى بغداد . وكان لما عرف البساسيري قرب طغرلبك من بغداد خرج عنها هاربًا نحو واسط فاتبعهُ طغرلبك عسكرًا ظفروا به واحضروا رأسهُ ولما قدم القائم الى بغداد وفي خدمته مهارش وجماعة من بني عمه وكان طغرلبك قد نزل على النهروان فضرب للقائم سرادقًا

ثم توجه هو وطغرلبك الى بغداد فدخلها يوم الاثنين خامس وعشرين ذي القعدة سنة احدى وخمسين واربعمائة ولما وصل القائم بامر الله الى باب النوبي نزل طغرلبك عن دابته واخذ بلجام بغلة القائم ومشى بين يديه حتى نزل بباب الحجرة . وخدم وعاد واعاد الله القائم بامره الى مستقر عزه وذلك بعد سنة كاملة . ومن شعره وهو بالحديثة قوله

مالي من الايام الاّ موعدٌ فمتى ارى ظفرًا بذاك الموعدِ
يومي يمرُّ وكلما قضيتهُ علّلتُ نفسي بالحديث الى غدِ
احيا بنفسٍ تستريح الى المنى وعلى مطامعها تروح وتغتدي

وكان القائم قد عقد مع الله تعالى العفو عمن اساء اليه والصفح عن جميع من تعدى عليه . والقصة له مع احدى الزركارية الذين كانوا يعملون في دار الخلافة حين سألهُ ما حملك على ما اعتمدت في حقنا حين خروجنا من بغداد وقد كان اظهر الشمات به فقال يا امير المؤمنين نحن اعوان الدهر على من مال ملنا عليهِ فامرهُ بالانصراف بعد ان اعطاهُ مالاً وقال له عش بهذا ولا تعاود العمل في دارنا . ثم انشد من نظمهِ قوله

ألم ترَ انَّ ثقات الفتى اذا الدهرُ ساعدهُ ساعدُوا
وانْ خانهُ دهرهُ اسلموهُ فلم يبقَ منهم له واحدُ
ولو علم الناس ان المريض يموت لمـــا عادهُ عائدُ

ومنذ عاد من الحديثة الى دارهِ لم يمكن احدًا من جواريهِ وخدمهِ ان يقدم له قط فطورهُ ولا طهورهُ بل كان يتولى ذلك بنفسهِ وكان يقول اني جعلت شكر النعمة الاحسان الى كل مسيء

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي يوم الخميس ثالث عشر شعبان من سنة سبع وستين واربعمائة ودفن في حجرةٍ كانت برسم جلوسهِ بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة وقبرهُ يزار ويتبرّك بهِ وكانت مدة خلافتهِ اربعًا واربعين سنة وثمانية اشهر ولم يبلغ هذه المدّة خليفةٌ قبلهُ . وكان عمرهُ خمسًا وسبعين سنة وتسعة اشهر ومدة خلافتهِ وخلافة ابيهِ القادر بقدر مدة جميع خلفاء بني اميّة لانها خمس وثمانون سنة وكانوا اربعة عشر من معوية الى محمد بن مروان الذي انتهى ملكهم على يدهِ فانّ ايام الدول لاتطول الاّ بالعدل ولا تحفظ الاّ بازالة الظلم . فالظلم لايدوم واذا دام دمّرَ. قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاويةٌ بما ظلموا إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعلمون . وللقائم كلامٌ ينقل عنهُ فمنهُ قولهُ . بتحمّلِ الاخطار تعظم الاخطار . وقولهُ بالصبر على مضض المقدار يكون علوُّ المقدار

ذكر اولاده

وهو ابو العباس محمد الذخيرة وكان قد رشحهُ للخلافة بعدهُ وخطب لهُ بولاية العهد فمات في خلافة والدهِ وترك حملاً وهو ابو القاسم عبد الله فلما جرى في يوم البساسيري ما جرى من نهب دار الخلافة ومن توجه القائم عنها هربت ام ولدهِ الذخيرة ومعها ولدها منهُ ابو القاسم عبد الله فحصلت عند رجل من ارباب اهل المراتب فحفظها وولدت . ولما عاد القائم الى مستقرّ عزّهِ حملها اليهِ فحظي عندهُ وانعم عليهِ

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وزر لهُ ابو طالب محمد بن ايوب وعزلهُ واستوزر رئيس الرؤساء ابا القاسم علي بن المسلم الى ان دخل البساسيري بغداد وظفر بهِ وقتلهُ . فلما عاد الخليفة من الحديثة استوزر ابا الفتح محمد بن دارست ثم عزلهُ واستوزر ابا نصر محمد بن محمد بن جهير الى حين وفاتهِ . وقضاتهُ ابو عبد الله بن ماكولا وابو عبد الله بن الدامغاني وحجابهُ ابو منصور بن بكران وحسين بن علي المردستي والله اعلم واحكم

ذكر خلافة

المقتدي بالله

وهو ابو القاسم عبد الله بن الامير محمد الذخيرة بن القائم بامر الله مولدهُ يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الاولى من سنة سبعين واربعمائة امهُ ام ولد ارمنية اسمها ارجوان وتدعى قرّة العين ادركت خلافتهُ وخلافة ولدهُ المستظهر بالله وخلافة ولدهُ المسترشد بالله وكانت صالحة وقد ذكر شيء من اخبارها في كتاب من ادركت خلافة ولدها . بويع في صبيحة الليلة التي توفي فيها جدهُ القائم وعمرهُ تسع عشرة سنة وجلس بدار الشجرة من دار الخلافة بقميص ابيض وعمامة بيضاء وطرحة بيضاء فبايعهُ الوزير ابن جهير ونقيب النقباء طراد الزينبي والمعمر نقيب الطالبيين وقاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني ومؤيد الملك ابو بكر بن نظام الملك ووجوه الاشراف والفقهاء كالشيخ ابي اسحق الشيرازي وابي نصر بن الصباغ وابي محمد التميمي وابي جعفر ابن ابي موسى فبايعوهُ ثم نهض وصلى بالناس صلوة الظهر وكان ابيض تام الطول دقيق المحاسن

حسن الشمائل . نقش خاتمه . من توكل عليه كفاه . وكان مهيبًا شجاعًا ذا همة عالية وكانت اثار الخير في ايامه متظاهرة ومواطن العبادات عامرة وفي ايامه بنى جامع المدينة وما شاء الله من القناطر والمصانع في طريق مكة شرّفها الله تعالى وحفر الانهار التي كانت خربة كنهر سيلي والخالص ونهر بين والاسحاقي وهو الذي بنى منارة أم القرون من حوافر الصيد وقرونه وكانت ايامه ساكنة الاطراف والرعية بين رخص عام وامن تام ولم يمض من خلافته يوم الّا وجدت زيادة في الدين ومسرّة في قلوب المسلمين . وكان السلطان في زمانه ملكشاه والمدبر الامور نظام الملك وكان طريق مكة قد سدّ من سنة ثلثين واربعمائة لم يحجّ الّا من يغدر بنفسه حتى جاءت الدولة المقتدرية فحجّ وقد شملتهم الكفاية والحماية . ولما جلس للملك شاهنشاه ظهر منه عند مشاهدته عبودية ظاهرة وخشوع عظيم بحيث صلى حيال سدّتها واسطوانته واقرّها على جسده ولعب ومسح يده بما هنالك

ومن كلام المقتدي بامر الله يقال . وعد الكرماء الزمُ من ديون الغرماء . الالسن الفصيحة انفع في الامور من الوجوه الصبيحة . والضمائر الصحيحة ابلغ من الالسن الفصيحة . والاقدام افضل من الاحجام الّا في استئصال النعم . وابتذال الحرم . وتقوى الله خير ما ادخرّ للمعاد والحياء خير ما حلّي به العباد . حق الرعية لازم للرّاعة . وقبيحٌ بالولاة الاقبال على السعاة . من امرت حالة اتسع مجالة وراج محالة . العدل يغني عن جميع العساكر ويمنع ما لا تمنعة الحصون . وكان قد جمع ما بين العمل بالشريعة ونزّه ايامة عن الامور الفظيعة . وكذا الواجب على كل من استرعاهُ الله رعيةً ان يجمل لهم الطوية ويراعي فيهم قوانين الشريعة وما احسن حال من راعى ذلك وعرفة

ذكر وفاته

توفي ليلة السبت خامس عشر المحرم من سنة سبع وثمانين واربعمائة فجأةً فكتم موتة ثلاثة ايام وبويع ولدهُ وولي عهدهُ ابو العباس احمد ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن بها وكانت خلافتة تسع عشرة سنة وثمانية اشهر وتسعة ايام

ذكر اولاده

وهم ابو اسحق محمد وابو علي الحسن وابو احمد طلحة وابو جعفر موسى وابو جعفر هرون واحمد

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزرلة وزير ابيه ابو نصر بن جهير ثم ولدهُ ابو منصور محمد وعزلة واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين الروذراوردي ثم عزلة واعاد ابا منصور بن جهير الى اخر ايامه . وقضاتة ابو

عبد الله الدامغاني وتوفي فاستقضى ابا بكر محمد بن مظفر الشامي الى ان توفي . وحجابة ابو عبد الله المردستي وابو منصور المعوّج

ذكر خلافة

المستظهر بالله

وهو ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله وُلد ليلة السبت ثامن عشر شوال سنة سبعين واربعمائة امة ام ولد اسمها كلبهار وبويع بعد وفاة ابيهِ وعمرهُ ست عشرة سنة وتولى له اخذ البيعة الوزير ابو منصور بن جهير وكان جميلاً ابيض مشرّبا حمرة تام الطول لطيف المحاسن . نقش خاتمهِ . ثقتي بالله وحدهُ . وكان سخي النفس موثراً للاحسان حافظاً للقرآن محبًا للعلم فصيح اللسان . اذا دعي الى فعل الخير اجاب واذا طلب منهُ الانعام جاد لا يعتمد مساءة احدٍ

ذكر شيء من كلامهِ

قوله . ذخائر المرء لدنياهُ ذكرٌ جميل . ولآخرتهِ ثوابٌ جزيل . شحُّ المرء بفلسهِ من دناءة نفسهِ . البذل من شيم الاكارم . والضنُّ من صفات الائم . الصبر على الشدائد ينجح الفوائد . ادب السائل انفع الوسائل . بضاعة العامل لا تخسر وربحها يظهر في المحشر . ولهُ نظمٌ فمن ذلك قولهُ

اذاب حرُّ الهوى في القلب ما جمدا يومًا مددتُ على رسم الوداع يدا
فكيف اسلك نهج الصبر حيث ارى طرائق الهجر في مهوى الهوى قددا

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي ليلة الخميس رابع وعشرين شهر ربيع الاخر من سنة اثنتي عشرة وخمسمائة عن احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يومًا ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن بها

ذكر اولادهِ

وهم اسمعيل وكان موصوفًا بالقوة . وابو اسحق وابو طالب العباس وقد روى شيئًا من الحديث وسمع منهُ وابو الحسن علي وكان زاهدًا صالحًا . وابو القاسم علي وكان ذا دينٍ وادب وابو نصر وهو اخر من بقي من اولادهِ وابو الحسن وكان قد خطب لهُ بولاية العهد بعد اخيهِ المسترشد فلما ولي اخوهُ هرب من دار الخلافة وجرت لهُ احوال ثم قبض عليهِ وعاد الى دار

الخلافة فكان بها الى ان مات

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزّر له ابو منصور بن جهير وعزله واستوزر ابا القاسم علي بن جهير ثم عزله فوزّر له ابو المعالي هبة الله بن المطلب ثم عزله واعاد ابا القاسم بن جهير الى ان توفي فوزّر له الربيب ابو منصور الحسن بن الوزير ابي شجاع وزير السلطان واستاذن المستظهر بالله فاذن له فخرج مع السلطان الى اصفهان ثم سأل ان يستوزر الخليفة ولدهُ ابا شجاع محمدًا فاستوزرهُ وكان عمرهُ تسع عشرة سنة وخلع عليهِ واستنوب له النقيب علي بن طراد الزينبي فكان هو المدبر واسم الوزارة لابن الزينبي الى ان توفي المستظهر وقضاته محمد بن مظفر الشامي الى ان توفي وبعدهُ ابو الحسن علي الدامغاني الى اخر ايامهِ . وحجابه ابن المردستي وابن المعوّج

ذكر خلافة

المسترشد

وهو ابو منصور الفضل بن المستظهر بالله مولدهُ يوم الاربعاء رابع عشر شهر ربيع الاول من سنة خمس وثمانين واربعمائة امهُ ام ولد اسمها لبابة بويع بالخلافة بعد وفاة ابيهِ واول من بايعهُ اخوتهُ ما عدا اخاه ابا الحسن عبد الله وخرج مختفيًا مفارقًا دار الخلافة ثم عمومتهُ ثم القضاة والفقهاء وارباب الدولة وكان المتولي لاخذ البيعة على الناس قاضي القضاة ابو الحسن الدامغاني وكان اسمر اللون رقيق البشرة تام الطول في مقدم لحيتهِ طول ". نقش خاتمهِ .من توكل على الله كفاهُ . وكان قد سمع الحديث من احمد بن عبد الوهاب السبعلي ومن علي بن احمد بن بيان . وحدّث في خلافتهِ فسمعهُ محمد بن الاهوازي والوزير علي بن طراد الزينبي وروي عنهُ وخطب لولدهِ ابي جعفر منصور بولاية العهد وصلى بالناس وكان المكبرون خطباء الجوامع بجانبي بغداد ولهُ كلام بليغ في التوقيعات . فمن ذلك قولهُ حمامة الملك متغنية علينا واعين الامة طامحة الينا

ذكر قتلهِ وسببهِ

كان قد خرج لقتال السلطان مسعود السلجوقي وذلك في رجب من سنة تسع وعشرين وخمسمائة فلما قرب من همذان راسل مسعود جماعة من العسكر واستفسدهم فانقلبوا اليهِ وزاد جمعهُ

ثم وقل جمع الخليفة والتقى العسكران يوم الاربعاء عاشر شهر رمضان من السنة فتفرق الباقون منهزمين واستولى اصحاب السلطان مسعود على الاموال التي كانت للخليفة وثبت الخليفة ومعهُ الوزير ابو طراد وقاضي القضاة الزينبي وابو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ونقيب الطالبيين علي بن معمر وكاتب الانشاء ابن الانباري وغيرهم من الولاة وحصل الكل في اسر السلطان مسعود فانزل المسترشد في خيمةٍ تليق بهِ ونفذ الباقين الى القلاع ثم توجه الى مراغة وصحب معهُ المسترشد ثم راسل مسعود عمهُ سنجر ينكر عليهِ ما اعتمدهُ في حق الخليفة ويامرهُ باستدراك الفارط بالحضور بين يديهِ والتنصل اليهِ فحضر عندهُ وقبل الارض وسألهُ الصفح وضرب لهُ سرداقًا جميلاً فركب من سرادقهِ اليهِ ومشى السلطان مسعود بين يديهِ وعلى كتفهِ الغاشية فلما نزل قبل الارض وانصرف. ثم وردت رُسل من سنجرشاه فركب مسعود للقائهم فهجم جماعة من الباطنية على سرادق المسترشد بالله وقتلوهُ ضربًا بالسكاكين وقتل معهُ جماعةٌ من خواصهِ ممن كان بحضرتهِ فوقع الصياح فاحاط العسكر بهم وقتلوا واحرقوا ونقل المسترشد من سرادقه الى باب مراغة وغُسّل وصلي عليهِ ودفن بها. ثم ان السلطان مسعود قعد لهُ في العزاء ومدة خلافتهِ سبع عشرة سنة وثمانية اشهر وايام وعمرهُ خمس واربعون سنة

ذكر اولادهِ

وهم اسمعيل وكان صالحًا دينًا واحمد وابو عبد الله موسى وعيسى وتاخرت وفاتهُ

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وزر لهُ ابو شجاع محمد بن الزينب ثم عزلهُ واستوزر علي بن صدقة وعزلهُ واستوزر ابا نصر احمد بن نظام الملك ثم عزلهُ واعاد ابن صدقة وعزلهُ واستوزر علي بن طراد الزينبي الى اخر ايامهِ. وقضاتهُ علي بن محمد الدامغاني وتوفي فاستقضى علي بن الحسين الزينبي الى اخر ايامهِ . وحجابهُ عبد الله بن محمد الدامغاني وابو غالب محمد بن المعوّج وابو الفتوح حمزة بن طلحة وابو الفضل هبة الله بن الحسين بن الصاحب

ذكر خلافة

الراشد

. وهو ابو جعفر منصور بن المسترشد مولدهُ سنة اثنتين وخمسمائة امهُ ام ولد اسمها جلنار بويع بالخلافة يوم وصل نعي والدهِ وذلك يوم الاثنين سابع ذي القعدة من سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان ابيض مشرَّب حمرةً جسيمًا . نقش خاتمهِ . من آمن بالانتقال عمل للمآل . وكان جميل الطوية للرعية حسن السيرة كارهًا للفتن محبًا للأمن . الآنَّ للمقادير حكمها . ومن كلامهِ لو تركنا لما اوجفنا الخيل ولا استبطنَّا الليل انا نكره الفتن اشفاقًا على الرعية ونؤْثر العدل والامن في البصرية ويأبى المقدور الاَّ تصعّب الامور واختلاط الجمهور فنسأل الله العون على لمّ شعث الناس باطفاء ثائرة الفتن . ولهُ قصيدة اولها

ساقتضي من ذمتي ديوني ان اخَّرتني ريب المنونِ
ولست بالراشد ان لم اتقي لهاشمٍ عن حسبي وديني
وأستثيرَنَّ لمسترشدكم من عصبةٍ قد مرقوا في الدين

ذكر خلعهِ ووفاتهِ

لما دخل السلطان مسعود بغداد بعد خروج الراشد الى الموصل وذلك في يوم الاحد خامس عشر ذي القعدة من سنة ثلثين وخمسمائة ونزل دار السلطنة عقد عنده مجلس حضرهُ جماعة من الرؤساء والشهود فشهد جماعة انهُ ارتكب امورًا توجب خلعهُ طلبًا لرضى السلطان مسعود وطلب منهم ان يكتبوا خطوطهم بذلك فكتبوا . فحكم بخلعهِ القاضيان ابرهيم بن محمد الهيتي ومحمد بن احمد الكرجي وهما نائبا قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي وشهد على حكمها بذلك جماعة من الشهود وعرض ذلك على الفقهاء فافتى جماعة منهم بوجوب خلعهِ بناء على ما ثبت عند القاضيين ووقع الشروع في مبايعة عمهِ ابي عبد الله احمد بن المستظهر بالله . ولما بلغ الراشد بالله خلعهُ اظهر التمسك ببيعة الناس لهُ والمطالبة بموجبها واستمر مقامهُ بالموصل الى رجب من سنة احدى وثلثين وخمسمائة وخرج منها الى كابل وقصد مراغة وزار اباهُ المسترشد ثم سار الى اصفهان فاقام بها مدّة مديدة فمرض ومات ودفن بشهرستاه في سابع شهر رمضان سنة اثنتين وثلثين وخمسمائة وعمرهُ ثلاثون سنة وخلافتهُ من يوم بويع الى ان خلع سنة فلما ان وصل نعيه الى

بغداد قُعد له في العزاء يومًا واحدًا وهو اول خليفة تلقى الخلافة من ابيهِ وابوهُ من جده وجده من ابيهِ وهو الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدي ولم يتفق هذا لاحدٍ من قبلهِ

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وُزّر له محمد بن احمد بن صدقة وأقرّ قاضي ابيهِ علي بن الحسين الزينبي على قضاء القضاة واستحجب ابا الفضل هبة الله بن الصاحب

ذكر خلافة

المقتفي لامر الله

ابو عبد الله محمد بن احمد المستظهر بالله مولدهُ في شهر ربيع الاخر من سنة تسع وثمانين واربعمائة امهُ ام ولد يقال لها نزهة حبشية كان لها ثلاثة بنين المقتفي وابو الحسن عبد الله وابو طالب العباس وكانت موصوفة بالكرم والافضال ادركت خلافتهُ . وقد ذكرت في مناقب من ادركت خلافة ولدها ولما حكم بخلع الراشد كما سبق بويع عمهُ ابو عبد الله محمد المقتفي لامر الله وذلك في يوم الاربعاء ثاني ذي القعدة من سنة احدى وثلثين وخمسمائة فحضر بيعتهُ اقاربهُ والولاة والقضاة والفقهاء وسائر الناس وتولى اخذ البيعة له الوزير علي بن طراد الزينبي وكان عمرهُ لما بويع احدى واربعين سنة وثمانية اشهر وكان تام الطول عبل الجسم . نقش خاتمهِ . كن من الله على حذرٍ تسلم . وكانت ايامهُ نضرة بالعدل تزهو بفعل الخيرات وانتشار العلوم وكان على قدمٍ من العبادة قبل افضاء الامر اليهِ وبعدهُ ولم يرَ بعد المعتصم خليفة في شجاعتهِ وصرامتهِ مع لين جانب ورأفةٍ في لطافةٍ . خرج عليهِ من سلاطين الوقت في ايامهِ جماعةٌ ففلّ الله جموعهم ولم يبلغ احدٌ منهم غرضًا . ولما قصد السلطان محمد شاه بغداد بعساكرهِ عاد خائبًا وكان النصر للمقتفي وجنودهِ . وكان على غايةٍ من الحلم ما استقالهُ احدٌ عثرتهُ الاّ أقالهُ

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي ليلة الاحد ثاني شهر ربيع الاول من سنة خمس وخمسين وخمسمائة عن ست وستين سنة الاّ اياماً وكانت خلافتهُ اربعًا وعشرين سنة وثلثة اشهر واربعة عشر يومًا ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة . وكان قد جعل ابا المظفر يوسف وليّ عهدهِ

ذكر اولاده

وهم ابو احمد عبد الله وكان معروفاً بالعقل والصلاح مع فضلٍ وادب توفي وقد جاوز سبعين سنة ولم يعقب وابو جعفر عبد الله ومات بعد ابيهِ وابو المظفر يوسف وسياتي ذكرهُ

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وُزّر لهُ علي بن طراد الزينبي وعزلهُ واستوزر ابا نصر المطهر بن علي بن جهير وعزلهُ . ووُزّر لهُ ابو القاسم بن هبيرة وقضاتهُ علي بن الحسين الزينبي وتوفي فقلد بعدهُ ابا الحسن علي بن احمد الدامغاني وولى ابا الوفاء يحيى بن المرخم اقضي القضاة وحجابهُ عبدالله بن الصاحب وعزلهُ وولى ابا غالب محمد بن المعوّج وتوفي فاستحجب علي بن هبة الله بن الصاحب الى اخر ايامهِ

ذكر خلافة

المستنجد بالله

وهو ابو المظفّر يوسف المقتفي لامر الله مولدهُ في شهر ربيع الاول من سنة ثمان عشرة وخمسمائة امهُ ام ولد تسمى طاووس روميّة ادركت خلافتهُ ولم يلِ الخلافة من اسمهُ يوسف سواه ولا شركهُ في كنيتهِ . بويع بالخلافة يوم توفي والدهُ وهو ابن ثلاث وثلثين سنة وتولى اخذ البيعة لهُ الوزير يحيى بن هبيرة وكان مليح الوجه يباضهُ مشرَّب حمرةً ازج الحاجبين في شعرهِ شقرةٌ . نقش خاتمهِ . من احبّ نفسهُ عمل لها . وكانت ايامهُ ايام خصبٍ ورخاء وامنٍ عامٍّ ودولتهُ زاهرة وسياستهُ قاهرة وهيبتهُ رائعة . وكان اخر من عمل في ايامهِ بقواعد الخلفاء الماضين وجلوس وزيره بالديوان لرفع المظالم ولم ينتهِ اليهِ امرٌ الّا ازالهُ ولم يذعر رجلاً من رعاياهُ ذاعرٌ ولا طرقهُ طارقٌ وصفت لهُ ايام خلافتهِ واظهرت لهُ الارض ما فيها من الذخائر واجتمعت لهُ اموالٌ كثيرة وقد نقل عنهُ ما يدلُّ على تواضعهِ فمن ذلك انهُ ابرز الى وزيرهِ يحيى بن هبيرة ابياتاً من نظمهِ يمدحهُ بها وهي قولهُ

صفت خصلتان خصّناك وعمّنا ... وذكرها حتى القيامة ينشرُ
وجودكَ والدنيا اليك فقيرةٌ ... وجودكَ والمعروف في الناس منكرُ
ولم ارَ من ينوي لك السوء يا ابا الـ ... مظفّر الّا كنت انت المظفّرُ

فلو رام يا يحيي مكانك جعفرٌ ويحيي لكفّا عنهُ يحيي وجعفرُ

وقد نُقلَ عنهُ ما انشدهُ وهو قولهُ

اذا مرضنا نوينا كل صالحةٍ وان شفينا فمنا الزيغُ والزللُ

نرضي الالهَ اذا خفنا ونسخطهُ اذا امنّا فما يزكو لنا عملُ

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي يوم تاسع شهر ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ودفن بدار الخلافة عن ثمان واربعين سنة ثم نقل الى تربة الرصافة وخلافتهُ احدى عشرة سنة وشهر وايام

ذكر اولادهِ

وهم ابو محمد الحسن وقد افضت اليهِ الخلافة وسياتي ذكرهُ وابو القاسم والعباسة

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجّابهِ

وُزّر لهُ يحيي بن هبيرة الى ان توفي ثم استناب قاضي القضاة ابا البركات جعفر بن الثقفي الى ان استحضر ابا جعفر بن البلدي من واسط واستوزرهُ الى اخر ايامهِ وقضاتهُ ابو الحسن بن الدامغاني وعزلهُ واستقضى ابا جعفر عبد الواحد بن الثقفي الى ان توفي واستناب ابا طالب روح ابن احمد بن الحديثي ثم ولى ابا عبد الله بن الشهرزوري قاضيًا مطلقًا وولى ابا البركات بن الثقفي قاضي القضاة . وولى ابا نصر القاسم بن علي الزينبي اقضى القضاة وحجابهُ ابو القاسم بن الصاحب الى ان توفي واستحجب ابا الفضل بن هبة الله الى اخر ايامهِ

ذكر خلافة

المستضيء بالله

وهو ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله ولم يلِ الخلافة من اسمهُ الحسن وكنيتهُ ابو محمد سوى الحسن ابن علي عليهما السلام والمستضيء . وكان مولدهُ في سادس شعبان من سنة ست وثلاثين وخمسمائة امهُ ام ولد اسمها غضة ارمنية لم تدرك خلافتهُ بويع بالخلافة يوم توفي والدهُ وعمرهُ اذ ذاك ثلثون سنة تولى اخذ البيعة لهُ استاذ الدار ابو الفرج بن رئيس الرؤساء وفي يوم المبايعة امرَ بقتل الوزير بن البلدي . وكان ابيض اللون اقنى الانف ازج الحاجبين جميل الوجه . نقش خاتمهِ . من فكّر في

المآل عمل للانتقال . وكان سخيًّا جوّادًا حسن السيرة سليم السريرة اظهر يوم مبايعتهِ من ردّ المظالم والافراج عن المحبوسين واسقاط الضرائب والمكوس ورسوم البيع وسياقات الاعمال ما شاع واشتهر ولم تصل اليه قصة يسأل فيها حاجة الاّ وردّها بقضاء حاجة صاحبها وفي ايامهِ عمل جسرٌ ومدّ على دجلة مضاف الى الجسر العتيق ونصب من الدواليب بباب الغربة الى الرقة وذلك سنة سبعين وخمسمائة وبنى فخر الدولة الحسن بن المطلب جامعًا بقصر ابن المأمون على دجلة واستؤذن باقامة الجمعة فيهِ فأُذن لهُ

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي عشية السبت سادس شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربةٍ بالجانب الغربي على شاطئ دجلة بقصر المأمون

ذكر اولادهِ

وهم ولي عهدهِ ابو العباس احمد وقد افضت الخلافة اليهِ وسياتي ذكرهُ . وابو منصور وهاشم وتوفي في شعبان سنة ثمان وسبعين محبوسًا . والعباسة وماتت صغيرةً

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

وُزّر لهُ ابو الفتح محمد بن رئيس الرؤساء الى ان عزلهُ واستناب يحيى بن عبد الله بن جعفر الى ان توفي فاستناب بعدهُ كاتب الانشاء الى ان أُعيد ابو الفرج بن رئيس الرؤساء فكان على ذلك الى ان عزم على الحجّ وخرج متوجهًا فوصل باب قطغتا مما يلي الحبشة فعرض لهُ ثلاث نفر من الباطنية في زيّ الفقراء سألوهُ ان يتناول منهم رقعةً فأذن في ذلك فضربهُ واحدٌ منهم بسكين وتلاهُ الآخر فسقط الى الارض وتفرّق من كان حولهُ . وقُتل الباطنية وأُحرقت جثثهم وحمل الوزير الى دارٍ قريبة من الموضع فمات في بقية يومهِ وتولى الامور بعدهُ نيابةً صاحب المخزن ابو بكر بن العطار الى اخر ايامهِ . وقضاتهُ ابو طالب روح بن الحديثي الى ان توفي وقلد ابو الحسن بن علي الدامغاني فكان على ذلك الى اخر ايامهِ. وحجابهُ هبة الله بن الصاحب الى ان نقلهُ الى استاذ داريه واستحجب ابا نصر علي بن الناقد وعزلهُ وولى ابا سعد بن المعوّج الى ان قتل مع الوزير ابي الفرج بن رئيس الرؤساء فاستحجب بعدهُ ابا طالب بن طلحة ثم عزلهُ واستحجب يحيى بن زنادة الى اخر ايامهِ

ذكر خلافة

الناصر لدين الله

وهو ابو العباس احمد بن المستضئ بالله مولده يوم الثلثاء عاشر رجب من سنة ثلث وخمسين وخمسمائة امه ام ولد تركية اسمها زمرّد خاتون ادركت خلافته وكانت من ارغب النساء في فعل الخير واكثرهن له فعلاً ولها برٌّ وافضال فضلت به امثالها في الصدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والاربطة والمدارس وغير ذلك ما لاخفاء فيه عن نظر متأمل. بويع بالخلافة في صبيحة يوم الاحد غرّة ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وخمسمائة . فاوّل من بايعه اخوه ابو منصور هاشم ثم الأمراء من بني الاعمام وخواصه ومماليكه ثم القضاة والولاة والفقهاء وكان المتولي لاخذ البيعة على الناس استاذ داره ابو الفضل هبة الله ابن الصاحب وصندل المقنفوتي وعمره اذ ذاك ثلاث وعشرون سنة. وكان ابيض مترك الوجه مليح العينين صغيرهما . نقش خاتمه . رجائي من الله عفوه. وكان الناس قبل مبايعته في ضيق من الجدب وغلاء الاسعار وقلة الامطار وكثرة الامراض والوباء فدرّت الامطار ورخصت الاسعار وتبدّل الغلاء بالرخاء واضحى الناس يهنئ بعضهم بعضاً بما عمهم من البركات وفتح عليهم من الخيرات فكان كما قال نقيب البصرة ابو جعفر يحيى بن محمد العلوي

وَلِيتَ وعام الناس أجهدُ ماحلٍ   فجدتَ وجاد الغيث فانقشع المحلُ
وكم لكَ من نعماء ليس بدركها   لها حاسبٌ الّا اذا حسبَ الرَّملُ

ثم حمى حريم الدولة باهتمامه وكثرة جنوده وله آثار جميلة من عمارة المساجد والرُّبط والمشاهد وقد روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم با لاجازة عن شيوخ اجازوا له وصنّف في ذلك كتاباً سماهُ روح العارفين ثم اجاز لجماعة من اهل العلم واصحاب الحديث وقرئ هذا الكتاب بجوامع مدينة السلام وغيرها من البلاد وانتشر ورُوي في الافاق وسمع ثم جدّد عزيمةً في ازالة السلاطين السلجوقية وقطع اثارهم من العراق ثم ملك بلاد خراسان بجيش ارسله الى هناك وكذلك دقوقا وقلعة تكريت وقلعة الحديث ثم ملك همذان واسقط ما كان بها من الملوك وقتل السلطان طغرلبك السلجوقي بتدبير وزيره محمد بن القصاب ولما وصل راسه الى بغداد تمثل بقول المكين القمي

سهمٌ اصابَ وراميه بذي سلمٍ من بالعراق لقد ابعدتَ مرماكا

ثم انشأ دور الضيافات في سائر محالّ بغداد لفطور الفقراء في شهر رمضان . ثم عمر دارًا لوفد الحاج والغرباء وغيرهم لكل صادر ووارد وانفق عليها جزيل الاموال . ووقف خزائن كتب محتوية على جميع العلوم النافعة وجعلها وقفًا على المسلمين ولم يبلغ احدٌ ممن قبلهُ ما استجد من الابنية التي يبقى ذكرها ويضوع نشرها وفي ايامهِ انتزع بيت المقدس من ايدي الافرنج على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمائة . ونُقش لوحٌ ونُفّذ فعلّق على بابهِ وكُتب عليهِ . ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون الحمد لله الذي انجزَ وعدهُ ونصر عبدهُ واقام خليفته القائم بحق الله وسيد عترة رسول الله وثمرة شجرته الطيبة المعرقة اليهِ ابا العباس احمد بن الناصر لدين الله امير المؤمنين اسبغ الله ظلّهُ على الاسلام والمسلمين وشيّد عضدهُ بولدهِ وولي عهدهِ ابي نصر محمد عدّة الدنيا والدين واعاد عليهِ تراثه واصار اليهِ ميراثه من البيت المقدس على رغم انف المشركين وهو المحمود الى ان أُجري هذا الفتح على يدي محيي دولتهِ وسيف نصرتهِ والقائم بطاعتهِ المخلص في عبوديتهِ والمجاهد تحت رايتهِ يوسف بن ايوب معين امير المؤمنين

ومما انشأهُ رباط الخلاطية بشرع الكرخ مجاور مشهد عون ومعين وتربة الى جنب هذا الرباط ودُفن فيها جهتهُ التي وقف الرباط عليها وهي سلجوقي خاتون بنت السلطان قلج ارسلان مسعود ملك الروم وكذلك رباط الحريم ورباط المرزبانية وهذا الرباط بناهُ وعزم ان ينقطع ويترك الخلافة زهدًا في الدنيا وانشأ في ذلك كتابًا بليغًا ليقرأ على الناس وقد وقف المشايخ بالعراق على نسخهِ . ثم بدا لهُ غير ذلك وقد وقف على هذه الاماكن وقوفًا متوفرة الحاصل يبقى ذكرها ويحصل لهُ اجرها ولهُ مناقب كثيرة وفضائل جمة قد ذكرها الشيخ العالم تاج الدين علي بن انجب المؤرخ البغدادي المعروف بابن الساعي الشيحا رحمة الله عليهِ في كتابٍ يشتمل على خمس مجلدات سماهُ كتاب الروض الناضر في اخبار الامام الناصر

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي ليلة الاحد سلخ شهر رمضان من سنة اثنتين وعشرين وستمائة ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن في جانب جدهِ المستنجد بالله وكان قد اعد لنفسهِ ضريحًا مدفنًا الى جانب ضريح محمد الجواد فلم يدفنهُ القاهر هناك وكانت خلافته ستًا واربعين سنة واحد عشر شهرًا تامة وعمرهُ تسع وستون سنة وشهران وعشرون يومًا ولم يلِ الخلافة من بني العباس مَن بلغ مدة خلافتهِ

ذكر اولاده

وهم ابو منصور محمد وقد كان خطب له ابوهُ بولاية العهد ثم عزله ورشح اخاهُ ابا الحسن عليًّا للخلافة بعدهُ فاخترمتهُ المنية دون بلوغ الامنية توفي عن مرض يومين فاعاد الخطبة له وولد له في خلافته بنت من سلجوق الخلاطية وتوفيت فلم تسمّ

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجّابهِ

استناب اولاً داود بن سليمان بن ساوريس ثم عزله واستناب محمد بن هبة الله بن المجادي الى ان توفي واستناب ابا الفتح صدقة ثم عزله واستناب محمد بن عبد الباقي بن الدارج ثم عزله واستوزر ابا المظفر عبد الله بن يونس الى ان خرج مع العسكر لقتال طغرل وحصل في اسرهِ فاستناب قاضي القضاة علي بن البخاري ثم عزله واستوزر ابا المعالي سعد بن جديرة الى ان عزله واستناب ابا المظفر عبيد الله بن يونس الى ان عزله واستناب محمد بن علي بن القصاب ثم قلدهُ الوزارة . وخرج بالعسكر فاخذ بلاد خوزستان ثم اخذ همذان واصفهان والريّ وتوفي هناك وكان قد استناب والدهُ ابا الفضل احمد وعزله واستناب صاحب المخزن الحسن بن نصر بن الناقد المعروف بابن قنبر الى ان عزله عن النيابة واستناب ابا الحسن ناصر بن محمد بن العلوي ثم قلدهُ الوزارة ثم عزله واستناب صاحب الديوان ابا البدر محمد بن اسينا الواسطي وعزله واستناب ابا الحسن محمد بن محمد العلقي وكان على ذلك الى اخر ايامهِ

واما قضاته

فابو الحسن الدامغاني ثم توفي فقلد ابا طالب علي بن البخاري ثم عزله وقلد ابا الحسن محمد بن جعفر العباسي ثم عزله واعاد ابا طالب البخاري الى ان توفي واستناب ابا القاسم عبد الله بن الدامغاني وقلد ابا الفضائل القاسم بن الشهروردي ثم استعفى وسال ان يُعزل فعزل وقلد ابا الحسن علي بن سليمان الحلي ثم عزله وقلد ابا القاسم عبد الله بن الدامغاني المذكور الى ان عزله واستناب ابا المناقب محمود بن الرنجالي ثم عزله وقلد ابا عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان فكان على ذلك الى اخر ايامهِ

واما حجابهُ

فابو طالب يحيى بن زيادة ثم عزله واستحجب ابا الفتح احمد بن هبيرة وعزله واعاد ابن زيادة ثم نقله الى استاد داريَّة واستحجب ابا شجاع محمد بن سعيد الظهيري ثم عزله واستحجب ابا القاسم الحسين نصر بن قنبر الى ان نقله الى صدرية المخزن واستحجب عمهُ ابا جعفر المبارك حسن بن علي بن احمد

ثم عزلهٔ واستحجب ابا جعفر محمد بن محمد بن الناعم ثم عزلهٔ واستحجب ابا القاسم قثم بن طلحة الزينبي ثم عزلهٔ واستحجب ابا علي طلحة بن عبد الله بن حمزة بن طلحة ثم عزلهٔ في جمادي الاولى سنة ست عشرة وستمائة ولم يستحجب احدًا بعدهُ الى ان توفي رحمة الله تعالى عليهِ .

ذكر خلافة

الظاهر بامر الله

وهو ابو نصر محمد بن الناصر لدين الله ولم يلِ الخلافة من كنيتهُ ابو نصر سواهُ مولده في المحرَّم سنة احدى وسبعين وخمسمائة امهُ ام ولد تركية اسمها بهجة لم تدرك خلافتهُ وكان ابيض مستدير الوجه عبل الجسم كثير لحم العضدين . نقش خاتمهِ . راقب العواقب . وكان موصوفًا بشدة القوَّة وفرَّق اموالاً وبرَّ الفقراء واسقط المكوس وافاض العدل وقد روى الحديث عن والدهِ الناصر وقرأ عليهِ وعتق خمسين جارية صِرنَ اليهِ عن والدهِ ممن كنَّ يصلحنَ للتسرّي تورعًا واعطى لكل واحدةٍ منهنَّ خمسمائة ساد سوى ما كان لها . وانشأ جسرًا نصبهُ علي دجلة فصار لها جسران وله مناقب كثيرة يقصر عن ذكرها في هذا المجموع المختصر

ذكر وفاتهِ ومدفنهِ

توفي يوم الجمعة ثالث عشر رجب من سنة ثلث وعشرين وستمائة فكانت خلافتهُ تسعة اشهر واربعة عشر يومًا ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن الى جانب والدهِ

ذكر اولادهِ

وهم عشرة ابو جعفر المنصور وقد افضت الخلافة اليهِ وابو عبد الله العباس وابو الفضل سليمان وابو القاسم علي وابو المظفر الحسن وابو هاشم يوسف وابو المفتوح حبيب . وثلث كرائم وهنَّ خديجة وفاطمة وعائشة

ذكر وزرائهِ وقضاتهِ وحجابهِ

لم يستوزر احدًا بل اقرَّ ابا الحسن محمد بن محمد القمي على نيابتهِ الى اخر ايامهِ واقرَّ ابا عبد الله محمد بن فضلان على قضاء القضاة الى ان عزلهٔ وقلد ابا صالح نصر بن عبد القادر ولم يولِّ حاجبًا مدَّة خلافتهِ

ذكر خلافة

المستنصر بالله

وهو ابو جعفر المنصور بن الظاهر بامر الله وقد اتفق له ما لا يتفق لغيره منهم لم يتخللهم من لم يلِ الخلافة وهم ابوهُ الظاهر بن الناصر بن المستضئ بن المستنجد بن المقتفي بن المستظهر بن المقتدي . مولدهُ يوم الاربعاء ثالث عشر صفر من سنة ثمان وثمانين وخمسمائة امهُ ام ولد اسمها اخشو لم تدرك خلافته بويع بالخلافة يوم توفي والدهُ وهو الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلث وعشرين وستمائة واوّل من بايعهُ اولاد السادة الامراء ابناء اخوته واولاد عمّه وذويه بصدورٍ مشروحة عارفين بحقهِ مقرّين بفضلهِ وكان المتولي لاخذ البيعة على الناس استاد الدار ابو نصر المبارك بن الضحاك وبحضور نائب الوزارة القمي وكانا واقفين على درج المنبر الذي نُصب تحت قبة المبايعة وكان ابيض اللون مشربًا حمرةً مستنير البشرة واسع الصدر معتدل الخلق . نقش خاتمهِ . العفو بكَ اولى . وكان حسن السيرة جميل السريرة ذا علمٍ وعملٍ وعفوٍ وحلمٍ يغشى الصالحين ويواصل المنقطعين واحسن الى المساكين وفضّ الصدقات على ذوي الحاجات . نظيرهُ معدوم وحسن فعالهِ مشاهد معلوم . مسدد في اقوالهِ موفق في افعالهِ ولقد تفرّد بعزيمةٍ وقفت دونها الهم وانزاحت بها المظالم والظلم وانتظمت بها الامور وانصلح بها الجمهور وما زال الدّين في ايامهِ باهر المطالع عامر المراتع مواظب على الصلوات فرائضًا ونفلاً ويكثر من الصلات انعامًا وفضلاً يعظم اهل الدين وينفق على اربابهِ ويحبّ اهل الادب ويقرّب منهُ طلّابهُ ومبارّه دارّة عليهم وصدقاته واصلة اليهم . وتنبهت الهمم في ايامهِ وازداد المشتغلون بالعلوم رغبةً واشتغالاً ووسعهم بعطاياه العميمة كرمًا وافضالاً وحنّ على الايمة حنو الشفيق فجبر كسيرهم وفكّ اسيرهم واحسن الى محسنهم وتجاوز عن مسيئهم فاصبح الدّين ثابت الاركان رفيع البنيان ولقد شاع من مكارم اخلاقهِ ما زاد ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر فسبحان الذي جعلهُ سهلاً في طلاقة محيّاهُ وكرم سجاياهُ . فاما ما خصهُ الله تعالى بهِ في نفسهِ من الميل الى العلوم فانهُ لم يزل من اوّل امرهِ ومبدأ عمره متشاغلاً بالعلوم الدينية والادبية منعكفًا على نقل الكتب حريصًا على ذلك مواظبًا عليهِ . حسن الخط صحيح الضبط ومن محبتهِ للعلوم انشأ خزانة الكتب بشريف حضرتهِ ومقدس سترتهِ جمع فيها من انواع العلوم على اختلافها وتباينها واتئلافها بالاصول المضبوطة والخطوط المنسوبة ما جاوز حد الكثرة

ثم انشأ مدرسة على شاطئ دجلة وجعلها وقفاً على المذاهب الاربعة ليحصل بها كمال المنفعة . فجاءت محكمة البناء راسخة في الماء فسيحة الفناء وضعها غريب وحسن ترتيبها عجيب شامخة الى عنان السماء . تضحك شرافاتها بالسرور ويظهر في ابنيتها الفرح والحبور . ويلمع العز في جوانبها ويطلع السعد من اساسها واعاليها . فهي كعبة الانام وقبة الاسلام مجمع سائر الملتين ومذاهب المسلمين وعلم الاصول والفروع المتفرق فيها والمجموع وعلم القوافي واحاديث الرسول ومعرفة الحلال والحرام وقسمة الفرائض والتركات وعلم الحساب والمساحات وعلم الطب ومنافع الحيوان وحفظ قوام الصحة وتقويم الابدان . ولما تكملت ابنيتها كسيت بافخر الملابس وتجلت كاحسن العرائس ورتب لها البوابين والفراشين والخدم والطباخين واسكن لكل مذهب اثنين وستين من الفقهاء وجعل لهم مدارس واربع معيدين واجريت لهم بها المشاهرات الوافرة وما يحتاجون اليه من الخبز واللحم والحلوى والفواكه والبزر والصابون وجعل فيها طبيب حاذق ماهر واثبت عندهُ عشرة من الطلبة يشتغلون عليه في علم الطب وجعل لهم الاكحال السائلة وبنيت لهم صفّة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها فيقصدهُ المرضى فيداويهم . وبنى في حائط هذه الصفّة دائرةً عجيبة وصورتها صورة الفلك وجعل فيها طاقات صغار لها ابواب كلما سقطت بندقة انفتح بابٌ من ابواب الطاقات وهو مذهب نضار مفضضاً ومضت ساعة من الزمان والبندقتان من شبه يقعان من فم بازين من ذهب في طاستين من ذهب ويذهبان الى مواضعها وتطلع شموسٌ من ذهب في سماء زرقاء في ذلك الفلك ومع طلوع الشمس تدور مع دورانها وتغيب مع غيوبتها فاذا غابت الشمس وجاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها كلما مضت ساعة تكامل الضوء في دائرة القمر ثم تبدو بالدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس

يقول مؤلف تاريخ بني العباس الامام العالم تاج الدين علي بن الحسن المعروف بابن الساعي ان هذه منقبة لم يسمُ اليها الاولون . ثم جعل فيها خزانة الكتب ونقل اليها من الربعات الشريفة والكتب النفيسة والاصول المضبوطة المحتوية على جميع العلوم مائتين وتسعين حملاً سوى ما نقل اليها بعد ذلك وشرط ان يكون في دار الكتب التي هي الخزانة فيها عشرة يشتغلون بعلم الحديث النبوي ويكون لهم شغلان يشغلون الطلبة بعلم الحديث النبوي ورتب عندهم شيخ على الاستاد يقرأ عليه الحديث . ثم الى جانب هذه المدرسة دار برسم تلقين القرآن المجيد ينبني بها ثلثون صبياً ايتاماً يتلقنون القرآن من شيخ ملقن ويكون لهم معيداً يحفظهم التلاقين وشرط للجميع من الخبز والمشاهرة والوظائف ما تضمنهُ شرط الواقف رحمة الله . ثم شرط ايضاً ان يكون فيها من يشتغل بعلم العربية وكذا من يشتغل بعلم الحساب والفرائض ثم انشأ قدس الله روحهُ من المشاهد والمساجد

والربط والقناطر والمناظر وسع الطرقات الى غير ذلك من الصدقات في كل الايام واعطى الثياب والخلع والجرايات في شهر رمضان والرواتب في سوى ذلك وعموم هذه الاسباب العلماء والعباسيين والعلويين والضعفاء والمساكين وتزويج الايامى والحنو على اليتامى وذلك اكثر من أن يحصر فنسأل الله تعالى ان يحسن اليه وان يتغمده برحمته ورضوانه ويسكنه بحبوحة جنانه بمحمد وآله

ذكر وفاته ومدفنه

كانت وفاته قدّس الله روحه بكرة نهار يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرى سنة اربعين وستمائة وكتم موته الى ان بويع ولده الاكبر ابو احمد عبد الله ثم خطب له على منابر بغداد وهو ميت ثم أشيع موته بعد ذلك ودُفن في الدار المثمنة على دجلة ثم نقل تابوته الى تربة الرصافة فدفن تحت قبة كان اتخذها لنفسه مدفنًا . ومبلغ عمره اثنان وخمسون سنة وستة اشهر وسبعة عشر يومًا ومدّة خلافته ست عشرة سنة وعشرة اشهر وثمانية وعشرون يومًا

ذكر اولاده

وهم اربعة ابو احمد عبد الله وقد افضت الخلافة اليه وكان انقراض ملك بني العباس على يديه . وابو القاسم عبد العزيز وكريمتان وهما ست الشرف وست العرب

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

اقرّ ابا الحسن بن محمد بن محمد بن العلقمي على نيابته الى ان عزله في سابع عشر شوال من سنة تسع وعشرين وستمائة ثم نقل ابا الازهر احمد بن الناقد من استاد الدار الى نيابة الوزارة فكان على ذلك الى اخر ايامه . واما قضاته فاقرّ ابا صالح نصر بن عبد الرزّاق بن عبد القادر الحنبلي على قضاء القضاة ثم عزله واستقضى ابا المناقب محمود بن احمد الزنجاني ثم عزله وقلد ابا المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي الشافعي الى ان عزله واستقضى ابا الفضل عبد الرحمن اللمغاني الحنفي الى اخر ايامه . واما حجابه فانه استحجب ابا الحسن علي بن الجوزي وعزله واستحجب ابا الفرج علي بن الدوامي فكان على ذلك الى اخر ايامه

ذكر خلافة

المستعصم بالله

وهو ابو احمد عبد الله بن المستنصر بالله مولده في يوم حادي وعشرين شوال سنة تسع وستمائة امه ام ولد اسمها هاجر ادركت خلافته وحجت في ايام خلافته وكان قد عين له ولأخيه مؤدب فجمع على عقله وسكونه وهو ابو المظفر علي بن محمد النيار فعلمها الخط وحفظها القرآن الكريم وفي يوم ختمته وهو يوم الاربعاء خامس عشر شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلثين عملت دعوة عظيمة افيضت فيها نعمة جزيلة وخلع جميلة عمت الخدم والنواب والاتباع والاصحاب واحضر الشيخ المؤدب وقدمت له خلعة قميص اطلس وقباء مفرى فامتنع من لبسه تورعًا فاهيب الحال فتقدم بحمل ذلك التشريف الى داره وخلع عليه ما يحل لبسه في الشرع وأعطي ثلاثة الف ساد وحمل له فاخر الثياب ما حمله اثنان واربعون حمالاً واشتملت هذه الدعوة على الوف كثيرة من العين

ذكر بيعته وصفته وطرف من سيرته

بويع بالخلافة ضحوة نهار الجمعة عاشر شهر جمادى الاخرى من سنة اربعين وستمائة واستدعي من مسكنه بالتاج سرًا من باب يفضي الى ظهر داره وكان المستدعي له والقائم بامر هذه الانالة شرف الدين اقبال الشرابي المستنصري رحمه الله واجلسه على سدة الخلافة وخاطبه باميرالمؤمنين ثم اشعر استاد الدار محمد بن العلقي والوزير احمد بن الناقد بذلك وطلب منهما ستر الحال الى الليل ثم احضرا ليلاً وبايعا ولقب المستعصم بالله . واستدعي احد اعمامه وهو ابو الفتوح حبيب واوهم ان جماعة اخوته حضروا وبايعوه فلما حضر لم يرهم فبايع وعاد الى داره بالفردوس ثم طلب الباقون للمبايعة فامتنعوا ثم طلب القضاة والامراء والولاة لاجل المبايعة وأشيع ذلك يوم السبت حادي عشر الشهر المذكور فحضروا جميعًا وجلس في قبة المبايعة على العادة وجلس الوزير في المحفة التي حضر فيها محمولاً بمحجرة على ارفع درج المنبر ووقف استاد الدار دونه بمرقاة يلقن الناس لفظ المبايعة

قال الشيخ العالم تاج الدين علي بن الحسن المعروف بابن الساعي شيخنا رحمة الله عليه . شاهدته يعني الخليفة المستعصم وهو اسمر اللون مسترسل اللحية ربعة ليس بالطويل ظاهر الحيا لين الكلام

سهل الاخلاق سليم الصدر . واما اعمامهُ وكذا عم ابيهِ الممتنعون من الحضور والمبايعة فأُشير باستدامة غلق باب الفردوس الذي يحتوي على دورهم بحيث لا يدخل عليهم طعام ولا غيرهُ فبقوا على ذلك ثلاثة ايام فسالوا المبايعة واحضروا فبايعوا

واما سيرتهُ فكان فيهِ اوصاف لم تجتمع في غيره ممن رأى من اباثهِ واجدادهِ رحمهم الله فانهُ كان حافظاً للقرآن المجيد عاكفاً على تلاوتهِ مواظباً على الصلوات في اوقاتها وصوم الاثنين والخميس من كل شهر وصوم شهر رجب دائماً لا يخلُّ بذلك مدة خلافتهِ وقبل خلافتهِ وكان لهُ جاريتان قبل الخلافة لهُ من احداها ثلاث بنين وبنت ومن الاخرى اربع بنات فلما افضت الخلافة اليهِ لم يتغير عليها ولا اغارها بل راعاها حفظاً لعهدها ثم طلبت منهُ ام البنين ان يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك فلما ماتت استجدَّ اخرى وحظيت عندهُ فلم يعترض بغيرها وجاء منها بولدٍ ذكر وطلبت منهُ ايضاً ان يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك هذا فيما يرجع الى حسن العشرة وحفظ العهد ومراعاة الصحبة والوفاء . وكان عفيف الفرج لم ينكشف ذيلهُ على حرام قط ولا شرب مسكراً ولا وقعت عينهُ عليهِ ولم يعلم انهُ عصى الله تعالى بفرجهِ ولا فمهِ غير انهُ لم ينزّه سمعهُ عن سماع المحرّم فانهُ كان مغرم بسماع الملاهي محبًا للهو واللعب . يبلغهُ ان مغنية او صاحب طرب في بلدٍ من البلاد فيراسل سلطان ذلك البلد في طلبهِ . ثم وكل امورهُ الكليات الى غير الاكفاء واهمل ما يجب عليهِ حفظه والنظر فيهِ فانفذ الله فيهِ قضاءهُ وقدرهُ واجرى عليهِ ما قدّرهُ فقُتل في ليلة الاربعاء رابع عشر صفر من سنة ست وخمسين وستمائة . فكانت مدّة خلافتهِ ست عشرة سنة وسبعة اشهر واربعة ايام وعمرهُ ست واربعون سنة . فكانت مدة ملك بني العباس منذ انتقلت اليهم الخلافة من بني امية الى ان انقرض ملكهم خمسمائة وست وعشرون سنة من السفاح الى المستعصم الذي ازال الله ملكهم على يدهِ فسبحان الذي لا يزول ملكهُ ولا يتغير حكمهُ العليّ العظيم

فهرست الاسماء

باب الهمزة

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الراء

باب الزاء

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الضاد

باب الطاء

باب الظاء

باب العين

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

فهرست فصول الكتاب